

إدنا أوبريـن



الفتاة ذات العينين الخضراوين

ترجمة
محمد أبو خضور

روايات عالمية ١٠٢

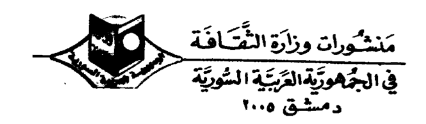
إدنا أوبريـن

الفتاة ذات العينين الخضراوين

رواية عالميـة

ترجمة

محمد أبو خضور



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ٢٠٠٥

العنوان الأصلي للكتاب :

Edna Obrien

GIRL WITH GREEN EYES

الفتاة ذات العينين الخضراوين : رواية عالمية = Girl with Green Eyes / إدنـا أوبرين ؛ ترجمة محمد أبو خضور . - دمشق : وزارة الثقافة ، ٢٠٠٤ . - ٢٨٨ ص ؛ ٢٥ سم . - (روايات عالمية ؛ ١٠٢) .

مترجم إلى العربية عن الإنكليزية .

١- ٨٢٣ إن أ و ب ف ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- أوبريـن ٥- أبو خضور ٦- السلسلة
مكتبة الأسـد

روايـات عـالميـة
« ١٠٢ »

إدنا أوبرين

ولدت إدنا أوبرين في غرب إيرلندا وهي تعيش الآن في لندن مع ولدين لها.

كتبت إدنا أوبرين عديداً من الروايات منها «فتيات الريف» و «الفتاة ذات العينين الخضراوين» و «آب في فم شرير» و «أحداث الحب» و «الحب هو الهدف».

ويتصف أسلوب إدنا أوبرين بالجمل المتقطعة واختيارها لمفردات متعاقبة وأسلوب قيل عنه إنه أسلوب مخاتل.

تكتب إدنا بأسلوب لغوي معاصر، أي أنها تختزل كثيراً من الموقف الروائي وتترك للقارئ مجالاً للإضافة إلى الحدث الذي يقرأه، وقد قال بعض النقاد، إن إدنا تثق بذكاء القارئ لذلك تترك له تعبئة كثير من فجوات الحوار أو تخيل الملامح الإنسانية لأبطالها».

أما في كتابة القصة فلديها مجموعة قصصية «الرقم عشرة [١]» وتتضح خاصية الأسلوب المخاتل والصعب في هذه المجموعة وبسبب هذه الخاصية في أسلوب الروائية والقاصة إدنا فقد ابتعد كثير من المترجمين عن نقل أعمالها إلى اللغة العربية.

---

(١) قام المترجم بترجمة هذه القصة التي عنونت القاصة بها مجموعتها، ونشرت في جريدة الأسبوع الأدبي - اتحاد الكتاب العرب - دمشق.

الفصل الأول

بعد ظهيرة رطبة من شهر تشرين الأول كنتُ أستخرج حسابات شهر أيلول من دفتر الحسابات- الأم [1] رمادي اللون. فأنا أعمل في محل بقالية في شمال دبلن ومضى على عملي هذا عامان:

كان صاحب البقالية وزوجته من أهالي الريف، مثلي أنا، كانا لطيفين ولكنهما يحبان مني أن أعمل بجد ووعداني بزيادة راتبي خلال العام الجديد، والشيء القليل الذي أعرفه أنني سوف أمضي بعدئذٍ إلى حياة مختلفة.

وبسبب المطر لم يأت العديد من الزبائن، ولذلك كتبت الفواتير بسرعة ثم عدت إلى القراءة، كان لديّ كتاب أخفيه في دفتر الحسابات- الأم، ولذلك كنت أستطيع القراءة دون خوف من مفاجأتي.

كان كتاباً جميلاً ولكنه مثير للحزن. وعنوانه (الليل ناعم)، وقفزت عن نصف الكلمات بسبب شغفي كي أقرأه بسرعة، لأنني أردت أن أعرف فيما إذا كان الرجل سيترك المرأة أم لا. فكل الرجال اللطفاء هم في الكتب، رجال غرباء، معقدون، وحالمون. ذلك الصنف من الرجال الذي أحبه كثيراً.

لم أعرف واحداً من أولئك باستثناء غيتلمان الذي لم أره منذ عامين. إنه الآن مجرد شبح، وتذكرته بذات الطريقة التي يتذكر بها إنسان ثوباً جميلاً ضاق فخلّفه وراءه.

في الساعة الرابعة والنصف أضأت الأنوار، وبدا محل البقالية رثّاً وسط

---

(١) دفتر الحسابات السري الذي لايعرض على جابي الضرائب.

عملت، وكان مليئًا بالشقوق. تطلعت إلى المرآة كي أرى تسريحة شعري. فقد كان يتوجب علينا أن نذهب إلى مكان ما في تلك الليلة، أنا وصديقتي بابا. بدا وجهي في المرآة مدوّرًا وناعمًا، مصصت خديّ إلى الداخل، كي أجعلهما يبدوان أقل انتفاخًا، وتمنيت أن أكون نحيفة مثل بابا.

(إنك تبدين وكأنك تحملين طفلاً) قالت لي صديقتي بابا في الليلة الماضية، عندما كنت أرتدي قميص نومي.

(إنك تهذين) قلت لها، وحتى مجرد التفكير بمثل هذا يقلقني. فقد كانت بابا دائمًا تناكفني مع أنها عرفت أنني لم أفعل شيئًا أبدًا أكثر من تقبيل السيد غينتلمان.

(ذلك يحدث لبنات الريف المتسكعات مثلك، فوراً عندما ترقصين مع صديق) قالت بابا وهي تمثل مشهداً تضم فيه رجلاً مُتخيّلاً بين ذراعيها، وترقص في الفسحة الضيقة بين السريرين الحديديين. ثم انطلقت في إحدى ضحكاتها المجنونة وصبت الخمر في كأس بلاستيكي شفاف كانت بجانب الطاولة.

لم نكن نحب طعم الخمر أو المنشطات كثيراً. ولكننا كنا نحب التطلع إليهما، كنا نحب برودتهما ولونهما الأزرق ونحن نتمدد على سريرينا القاسيين نشرب ونتظاهر أننا ثملنا بسرعة.

كانت بابا قد عادت إلى منزل جوانا من المصح، وبدت الأيام كتلك الأيام الخوالي باستثناء عدم مرافقة الرجال لأي منا. كانت لدينا مواعيد طبعًا، ولكن ليس مع رجال دائمين- لكن المواعيد كانت تشمتل على مخاطر.

وذات أحد كان لبابا موعد مع رجل يبيع بضائع تجميلية وجاء لأخذها في سيارة تغطيها شعارات دعائية مكتوبة بالدهان:

(قدّم لها الحرير) (الحرير الزهري لفتاة مدرسة في ريعان تفتحها).

كانت سيارة زرقاء، براقة وكانت الشعارات مكتوبة باللون الفضي. سمعته بابا يصيح بصوت أشبه بصوت الإوزة، وخرجت إلى الشرفة لترى أي نوع من السيارات يملك.

(يا إلهي، لن أخرج بسيارة السيرك تلك. اهبطي وقولي له إنني أعاني من دورة الطمث).

كرهت كلمة دورة الطمث. كانت كلمة الطمث من كلماتها الجديدة التي بدت قاسية. هبطت وقلت له إنها تعاني من صداع في الرأس.

(هل تحبين أن تذهبي بدلاً منها؟).

وأجبت بالنفي.

كانت في المقعد بطاقات دعائية وإعلانية وزجاجات صغيرة من النماذج لمساحيق التجميل (مسحوق لتجميل الوجه وجعله وردي اللون) وكانت النماذج مرصوفة في صناديق من الكرتون. وظننت أنه ربما يعطيني نموذجاً ولكنه لم يفعل.

(هل أنت متأكدة من أنك لاتحبين الذهاب إلى السينما؟)

قلت إنني لا أستطيع.

ودون أن يقول كلمة أخرى انطلق بالسيارة متخلصاً من المأزق. لقد كان خائب الأمل جداً. قلت وأنا أصعد درجات السلّم عائدة.

(ذلك سوف يهزّه. هل النماذج ضروية؟ أستطيع أن أدهن ساقيّ بقليل من الدهون للتخفيف من سمرتها التي خلفتها لسعة الشمس).

(كيف أستطيع أن آخذ العينات التي معه وهو جالس في السيارة؟).

(قومي بإلهائه. دعيه يهتم بصدرك أو بغروب الشمس أو بشيء ما).

كانت بابا غير مُحتملة فهي تعتقد أن الناس أكثر غباء مما هم عليه. فأولئك الأشخاص الذين يبيعون البضائع ويملكون المحال لايجيدون غير الحساب وعمليات جمع الأعداد.

(بالكاد تحدّث كلمتين) قلت.

(ياله من طراز هادئ) قالت بابا وحركت وجهها بشكل جعلته ممطوطًا.

(تستطيعين تخيل أية أمسية معه كيف سيكون شكلها. هيا البسي معطفك الفرو، فإننا سوف نذهب مشواراً قصيراً). ارتديت لباساً خفيفًا وتوجهنا نحو المدينة إلى مرقص في ليلة الأحد.

(لا تأخذي سجائر من أولئك الأشخاص الهنود الذين يعتمرون قبعات أشبه بقبعات النساء. ربما تكون السجائر ملغومة بالمخدرات) قالت بابا.

(كانت هناك إشاعة بأن فتاتين قد خدّرتا وتم نقلها إلى جبال دوبلن في الأسبوع الماضي).

(سجائر ملغومة بالمخدرات! ولم يطلب منا أحد مراقصته ولو لدورة. لم يكن هناك كثير من الرجال. وراقصت إحدانا الأخرى). ولكن بابا قالت إن ذلك يعني النهاية. ،لذلك جلسنا هناك. نفرك أذرعتنا وندلي بالتعليقات حول الرجال الذين وقفوا في ركن الصالة وهو يعاينون الفتيات اللواتي كنّ يجلسن على الكراسي منتظرات، ولم يتقدم منهم أحد بطلب فتاة للرقص. إلى أن انطلقت الموسيقى، وبعدئذٍ بدا أنهم التقطوا الفتيات القريبات منهم. تحركنا نحو ركن الصالة ذاك ولكننا لم نعثر على حظنا هناك.

قالت بابا أنه يجب ألا نذهب في مشوار آخر ثانية. قالت أنه من الواجب أن نقابل أناسًا جدداً، دبلوماسيين أو ما شابه ذلك.

وكانت تلك هي رغبتي الدائمة. اعتدت أن أستيقظ في بعض الصباحات.

وأنا مقتنعة بأني سوف أقابل إنسانًا جديدًا رائعًا. اعتدت أن أعتني بوجهي، خاصة وأنا أتنفس بدفعات قصيرة من الهواء لكي أعوّد نفسي على ذلك الموقف المثير إذا حدث. غير أنني لم أقابل أي إنسان أبدًا باستثناء الزبائن، أو الطلاب الذين عرفتهم بابا.

كنت أفكر بكل ذلك وأنا في الدكان، أفرز الملصقات الحمراء للفواتير، المتوجب دفعها على مدى ثلاثة أشهر، وأكتب عناوين الفواتير المرسلة إليهم بسرعة. فنحن لانرسل الفواتير في البريد أبدًا. لأن السيدة بورنز تقول إن استخدام ويلي أرخص. الولد المراسل الذي يقوم بإيصالها. ودخل في تلك اللحظة، ويلي، وهو ينفض المطر عن معطفه المطري المشمع.

(أين كنت؟)

(لم أكن في مكان ما).

وكالعادة في مثل ذلك الوقت مساء كنت أتناول وإياه وجبة خفيفة. قبل أن يصبح الدكان مزدحمًا بالزبائن. أكلنا قطع البسكويت المكسورة، والزبيب والخوخ المجفف وبعض الكرز. كانت يداه زرقاوين وحمراوين بسبب البرد.

(هل أحببته ياويلي) سألته وهو يتطلع إلى حذائي الأبيض الجديد. كانت أصابع قدمي طويلة لكثرة ما أجول في الحذاء ولكثرة ماكنت أصعد السلالم. انتعلت حذائي لأنني وبابا كنا نزمع الذهاب إلى حفلة راقصة تذوق خمر في تلك الليلة. قرأنا في الصحف عن تلك الحفلة وقالت بابا يجب علينا أن نتطفل على تلك الحفلة، فقد تطفلنا على حفلتين أخريين. حفلة عرض أزياء، وعرضًا خاصًا لفيلم سياحي عن إيرلندا.

بعد الساعة الخامسة والنصف بدأ الزبائن يحتشدون في طريق عودتهم من العمل، وسألتُ السيدة بورنز حوالي الساعة السادسة لكي تدعني أذهب.

(إن الجو حار جداً هنا) قالت السيدة بورنز لويلي في إشارة إلى أننا يجب ألا ندع جهاز التدفئة الزيتي مشتعلاً. أية حرارة! لقد كانت التيارات الهوائية تتدفق من كل مكان وكان هناك فراغ يفصل بين أرض الدكان والأرضية الخشبية التي تعلوها.

مسحت وجهي في البهو، ووضعت بعض الحمرة، وظللّت عيني ونثرت بعض الرشقات من عطر الورد. وأحسست بالنشوة لذكر كلمة عطر الورد. وفاجأني ويلي بكيس سكر فارغ، ولذلك كنت أستطيع أن أضع حذائي فيه وأن أحتذي جزمتي طويلة الساق. كانت الميازيب عائمة في الخارج، والمطر يبدو من خلال السماء في الصالة العلوية.

(لاتفعلي أي شيء لا أريد فعله) قال وهو يدعني أمرّ من باب الصالة، وصفّر عندما ركضت نحو مظلة الباص التي كانت لاتبعد إلا ياردات قليلة على الرصيف. وكان المطر غزيراً.

كان الباص فارغًا، وقليل من الناس يتوجهون إلى وسط المدينة في تلك الساعة من المساء. فقد كان الوقت باكراً على موعد بدء عروض السينما. وكانت أوراق السكاكر وعلب الدخان متناثرة على أرض الباص ورائحته مشبعة بالعرق، فقد كانت المنطقة فقيرة.

وبدأت بقراءة الجريدة التي وجدتها بجانبي على المقعد في الباص، وكانت تضم مقالة طويلة بقلم قس، يتحدث عن العذاب؛ الذي عاناه في الصين، وكنت أعرف كثيراً، عن هذا النوع من الأمور، لأنني في الدير حيث، كنت أذهب إلى المدرسة فقد تعودت الراهبة أن تقرأ تلك، القصص علينا في ليالي السبت. وكعادة تثير لديها المتعة فقد تعودت أن تقرأ جريدة عنوانها ستاندارد. وكانت تلك الجريدة مليئة بالقصص، حول نزع أظافر الرهبان، والراهبات اللواتي، كانت تغلق عليهن، الغرف المليئة بالفئران.

تجاوزت الموقف الذي، أقصده بسبب استغراقي، في قراءة المقال الطويل، الذي كتبه القس الإيرلندي.

كانت بابا تنتظرني خارج الفندق. بدت غريبة المظهر متكلّفة، وكأنها شجرة ميلاد مليئة بالزينة. ترتدي معطفًا جديداً، من الفرو وقد سوّت شعرها جيداً.

(يا إلهي إلى أين تنطلقين بجزمتك؟) سألت.

نظرت إلى قدميّ وتأكدتُ والأسى يغمرني، أنني نسيت حذائي في الباص.

لم يكن هناك من بد، إلا عبور الشارع وانتظار الباص، في طريق عودته، ولم تكن هناك مظلة لموقف الباص، وتبعثر شعر بابا. ثم ولكي تزداد الأمور سوءاً، فلم يكن حذائي في الباص، وكان هناك قاطع تذاكر جديد. وقال إن قاطع التذاكر الآخر، يجب أن يكون قد سلّم الحذاء إلى مكتب الأغراض المفقودة، وهو في طريقه لتناول الشاي.

(اتصلي بالمكتب في أي وقت، بعد الساعة العاشرة صباحًا) قال. وعندما سمعت بابا ذلك، قالت (يا إلهي) وركضت تعبر الطريق، عائدة إلى الفندق، وتبعتها مكتئبة يائسة.

عانينا مشكلة في الوصول، إلى غرفة المأدبة، ورغم أن بابا قالت للفتاة الواقفة، عند باب المدخل أننا صحفيتان. وبحثت في محفظتها، عن بطاقتي الدعوة، وقالت عند ذاك لابد أنها نسيتهما. قالت إن البطاقتين، لهما حافة وردية ذهبية. وقد عرفت ذلك، لأن الفتاة الواقفة قرب باب الدخول، كانت تحمل رزمة من، تلك البطاقات وتعبث في نهاياتها الذهبية، وهي في حالة ضجر. ارتعشت يدا بابا وهما تبحثان، وتوردت وجنتاها. وقد اختفت نقطتا الروج اللتين، وضعتهما على خديها بسبب المطر.

(أية جريدة تمثلان؟) سألت الفتاة. وكان قد تجمّع خلفنا، رتل صغير من المدعوين.

(ليلة المرأة) قالت بابا. وكان ذلك مُخطّطاً كي تقوله. ولم تكن هناك مجلة بهذا الاسم.

(ادخلا) قلت الفتاة، بحسد تمازجه ضغينة. ودخلنا.

وبينما نحن نعبر، أرض الغرفه الممسوحة، فقد صرّ حذائي صريراً عاليًا، وتصورت أن الجميع كانوا يحدّقون إليّ. كانت غرفة مليئة بالرياش الثمينة، حوامل قناديل مضاءة، وستائر زهرية مسدلة، وموسيقى الرقص، تنساب خافته وناعمة.

رأت بابا صديقنا/ تودميد/ وتوجهت نحوه. كان مدير علاقات عامة، يعمل في شركة صوف كبيرة، وقد تعرفنا إليه، في عرض أزياء، كان قد أقيم قبل أسابيع قليلة. اصطحبنا لتناول القهوة بعدئذٍ، وحاول الانفراد ببابا. كان متأثراً بأسلوب رجال الأعمال، ولكن ذلك كان مجرد تظاهر، لأنه أكل كمية كبيرة، من الخبز والمربى، وعرفنا أنه كان متزوجاً، ولكننا لم نقابل زوجته.

(تود!) صاحت بابا، وهي تخجل، لثم يدها وقام بتقديمها، إلى امرأة ورجل كانا معه. كانت المرأة صحفية، وتعتمر قبعة سوداء كبيرة أما الرجل فكان، ضامر الوجه وعرفنا أن اسمه يوجين غيلارد. قال (يسرني التعرف إليك) ولكنه لم يكن، يبدو سعيداً جداً. كان له وجه حزين. وأخبرنا (تود) عنه أنه مخرج سينمائي، وبدأت بابا في تكلّف الابتسام، وإظهار غمازتيها، وأسنانها الذهبية، كل ذلك دفعة واحدة.

(لقد أخرج فيلم كذا وكذا) قال تود، ذاكراً أفلامًا لم أرها أبداً.

(أفلام وثائقية كلاسيكية) قالت السيدة الصحافية.

تطلع السيد / غيلارد/ إليها بشوق وقال: (نعم، حقيقة إنها أفلام مثيرة،

وتكشف عن ملامح الفقر الحقيقي). وكان يكسو وجهه الطويل، والنحيف، تعبير الرضا وهو يتحدث.

(وماذا تفعل الآن؟) سألت الصحفية.

(أصبحت مزارعًا) قال يخبرها.

(ملاك أرض كبير) صحّح تود.

واقترحت الصحافية، أنها سوف تذهب، إلى أرضه في يوم، وتكتب مقالاً عنه. وكانت ترتدي ثيابًا جميلة، وتعطّر نفسها بعطر قوي، وتتجاوز الخمسين من العمر.

(ربما ننال بعض الخمر) قالت لي بابا. وقد خاب أملها، لأنه لم يعرض عليها، أحد الرجلين دعوتها، لتناول النبيذ. تبعتها نحو الصف الطويل، من الموائد التي كانت موضوعة، من أول القاعة إلى آخرها. كانت الأغطية البيضاء فوق الموائد، وكان الرجال السقاة يقفون وراءها، يصبّون الخمر، والنبيذ الأبيض والأحمر، في الكؤوس إلى منتصفها.

(إنهم لايبعثون على الملل) قالت بابا.

وصلتني أصواتهم، وسمعت / تود/ يقول، (تلك هي الفتاة السمينة التي، كنت أحدثك عنها)

(أيهما؟) سأله يوجيم غيلارد بكسل.

(ذات الشعر الطويل، والتي تنتعل حذاء مطاطيًا) أجاب تود، وسمعته يضحك.

أسرعت وتناولت كأسًا من الشراب، وكانت توجد صحون، مليئة

بالبسكويت، ولكنني لم أستطع الوصول، إلى أيّ منها، وشعرت بالجوع. ولم يكن لديّ كأس شاي.

(تلك الفتاة السمينة) لقد جرحني، بل طعنني ذلك التعبير.

(إن ذوقك أصيل، حذاء مطاطي وقبعة جلدية) قال يوجين، من وراء ظهري، وعرفت صوته الناعم، دون أن أستدير كي أتطلع إليه.

(إنك خجولة جداً) قال. كان طويلاً وبطول والدي تقريباً.

(ليس أمراً جديراً بالضحك عليه. لقد أضعت حذائي) قلت.

(ولكنه أمر طبيعي جداً. أن تأتي وأنت تحتذين حذاءك المطاطي. يمكنك أن تبتدعي موضة بهذا الأمر، هل سمعت بالرجال الذين لايستطيعون مضاجعة الفتيات إلا بقضيب بلاستيكي؟)

(لم أسمع أبداً) قلت بحزن وأنا أشعر بالخجل لأنني لا أعرف إلا القليل بشأن ذلك.

(حدثيني عن نفسك) قال. وفجأة شعرت وكأنني في المنزل معه. لاأعرف لماذا. لم يكن مثل الذين عرفتهم، كان وجهه نحيفاً ويغمره لون رمادي، وذكّرني وجهه بوجه قديس منحوت كنت أراه في الكنيسة كل يوم أحد.

(من أنت؟ ومادا تفعلين؟) سأل. ولكنه عندما رأى أنني كنت خجلى، بدأ بالحديث عن نفسه. قال إنه قد جاء لأنه قابل/ تيد ميد/ في شارع/ غرافتون/ وأن / تيد/ جرّه معه إلى هنا.

(جئت للفرجة، وليس من أجل الخمر) قال وهو يتطلع حواليه إلى الجدران، وإلى الستائر البراقة، وإلى امرأة طويلة وجميلة، تضع أقراطاً سوداء، كانت تقف وحيدة إلى جانب النافذة. وكان يودي أن أقول شيئاً ما جذاباً له.

(ما الفرق بين الخمر الأبيض والأحمر؟) سألت. ولم يكن يشرب.

(واحد أحمر وآخر أبيض) وضحك.

وجاءت بابا ترتدي معطفها الأبيض من الفرو، وتحمل بعض البطاطا المقلية المكرمشة.

(هل حكت لك ماري الحزينة كثيراً من الحكايات الحزينة عن طفولتها؟) وكانت تعنيني.

(كل شيء. منذ البداية الأولى) قال.

بدأت ملامح التقطيب تظهر على وجه بابا، ثم أطلقت وبشكل سريع، ضحكة زائفة عريضة، وحرّكت يدها إلى فوق وأسفل أمام عينها (ماذا تقول؟) سألت. كرّرت سؤالها مرات ثلاث ولكنه لم يفهم ماذا تريد.

(فوق طاقتك على الرؤية، ابتزاز، حليب معقم، هاهاها) وأخبرت يوجين غيلارد أنها تحرّر عمود / القلوب الوحيدة/ في مجلة ليل المرأة، وأنها تصرف كثيراً من الوقت في قراءة رسائل مرحة.

وتابعت (أمس فقط كانت لديّ رسالة من امرأة فقيرة في / بالناسول/ تقول (سيدتي العزيزة إن زوجي ينام معي في ليالي الأحد، وأنا أجد هذا امراً مزعجاً. لأن لدي كثيراً من الغسيل أيام الاثنين، لذلك فإن حياتي مليئة بالقلق والاضطراب، ماذا أستطيع أن أفعل دون أن أجرح مشاعر زوجي؟).

(قلت للسيدة من بالناسول) قالت بابا (اجعلي غسيلك يوم الثلاثاء) وأطاحت بيديّها الصغيرتين لكي تؤكد أسلوبها البسيط في التعامل مع شؤون الحياة، وضحك غيلارد ملاطفة لها.

(بابا فتاة ظريفة) قال لي، وكان مايزال يبتسم. وكما لو أنه من الواجب عليّ أن أبتهج. كانت النكتة لي. وقد قرأتها في مجلة في أحد الأيام عندما كان يتحتّم

عليّ أن أنتظر ساعتين في مستشفى لطب الأسنان من أجل حشو سن. قرأت النكتة وعدت إلى المنزل ورويتها لبابا. وبعد ذلك روت النكتة للجميع. فقد أصبحت بابا ذكية جداً. في العام الماضي، عرفت أنواعاً عديدة ومختلفة من الخمور، وأخذت دروساً في المبارزة بالسيف. وقالت إن صف تعلم المبارزة بالسيف كان مليئاً بالنساء اللواتي يرتدين السراويل واللواتي عزمنها لتناول الكاكاو في بيوتهن.

وفي تلك اللحظة جاء تود ميد يلوّح بكأس فارغة.

(لقد نفد الشراب. لماذا لانذهب جميعاً إلى مكان ما؟) وجّه / تود/ السؤال إلى يوجين.

(هاتان فتاتان جميلتان عثرت عليهما) قال يوجين، وبدأت بابا في الهمهمة. (أناس لطفاء وتصرفات لطيفة، لن يحصلوا على مال إطلاقاً).

(حسناً) قالت بابا (سوف نتناول طعام عشاء).

وفي طريق الخروج طلبت دزينة من زجاجات الخمر [1] وأن ترسل إلى جوانا صاحبة المنزل الذي نقيم فيه. وكانت الفكرة أن الناس الذين تذوقوا الخمر يجب أن ينالوا قسطاً منه.

(من هي جوانا؟) سأل يوجين ونحن نتجه نحو الباب. لوّحنا بأيدينا مودعين السيدة الصحافية وواحداً أو إثنين من الناس الآخرين.

(سأقول لك كل شيء عنها على مائدة العشاء) قالت بابا.

ولمس كوعي كوعه، وخالجني ذلك الإحساس الذي شلّ ساقيّ، ذلك الإحساس الذي لم أحس به منذ أن افترقت عن السيد غينتلمان.

* * *

(١) HOCK ضرب من الخمر.

الفصل الثاني

تناولنا طعام العشاء في الفندق. وترك يوجين رسالة مع أحد العاملين الوصفاء، أنه سوف يكون في غرفة الطعام، إذا جاءه هاتف يطلبه. وطوال فترة العشاء، شعرت برغبة وتمنيت أن تأتيه مكالمة هاتفية، وهكذا يستطيع أن يذهب ثم يعود إلينا ثانية، ولاحاجة للقول أنني أعتقدت، أن المكالمة لابد أن تكون، من قبل امرأة.

تناولنا حساء خفيفًا، وشرائح (كستليتة) مشوية من لحم الخروف، مغلّفة بالخبز، وبطاطا فرنسية مقلية. لم نأكل كثيراً. وكانت لديه عادة أن يسدل أكمام سترته حتى رسغيه، وكان رسغاه ويداه كثيفي الشعر، شعر أسود وغزير. ولم تتوقف بابا أبداً عن الكلام. لم أتحدث كثيراً، لم أستطع الموازنة بين السرور لرؤيته والحديث معه في ذات اللحظة. قال إنني أملك وجهاً مثل وجه الفتاة المرسومة على وجه الجنيه الإيرلندي.

(أنا لم أملك جنيهاً منذ فترة طويلة كي أتطلع إليه) قالت بابا.

(مرة ثانية، إنك تشبهينها) قال. وبعدئذٍ جاء الساقي وأعاد ملء كؤوسنا بالخمر. وشعرت بالسعادة كثيراً وكان الطعام لذيذاً.

(السيد غاي لورد، السيدغاي لورد) صاح شاب وصيف. وقفز قلبي ألماً وأسى.

(لك. لك. لك) قلت له، ورفستني بابا كي لا أكون مستثارة هكذا وأبدو غبية. اعتذر وقام خارجًا وهو يمشي بتمهل وبطء.

بدا جميلاً وهو يدير لنا ظهره، رجل طويل ورشيق. وله بقعة صغيرة من الصلع في قمة رأسه.

(إنه رجل رائع) قالت بابا.

(وغني) أضاف تود، وابتسم بطريقة غريبة. وشعرت أنه يغار من شيء ما.

(إنه لقطة [1] !).

(رويدكَ رويدك! رويدك!) قال تود. ولكنني عرفت من خلال التطلع إلى عينيه الزرقاوين الصغيرتين أنه يخفي شيئًا ما. وخطر لي أن يوجين ربما كان مخطوبًا أو متزوجًا.

وعندما عاد تظاهرنا بأننا لم نكن نتحدث عنه.

(أنا آسف جدًا) قال (ولكن يجب أن أترككم. يجب عليَّ الذهاب إلى المطار لوداع شخص مسافر إلى أميركا. وهو أمر هام ولا أستطيع أن أفعل ذلك بطريقة أخرى).

غاص قلبي وسقطت ملعقة بابا وهي مليئة بالآيس كريم فوق الصحن وندّت عنها آهة أسف. وقف تود، شديد القلق، يفكر، وأحسست أنه ربما يجب عليه دفع الفاتورة.

(يجب أن أذهب لوحدي يايوجين، فالعجوز سالي يتوقع مني المجيء لتناول الشاي) وبدت رقبته حمراء وهو يتكلم (سأوصلك إلى المطار، إن ذلك يقع في طريقي).

كدت أموت. وأنا أفكر بأن بابا وأنا ربما يجب أن ندفع ثمن فاتورة العشاء بقيامنا بغسيل الأطباق على مدى عشرة أو أحد عشر عاماً قادمة. غير أن يوجين دفع الفاتورة بهدوء.

---

(١) good catch لقطة (المترجم).

هزَّ يديّه، واعتذر، وتركنا نشرب الخمرة مع قهوتنا. وبدا السقاة حائرين، فمغادرة الرجلين وحذائي المطاطي جعلاهما يظنون أننا كنا فتاتين غريبتي الأطور جداً.

(ياإلهي، ياالحظنا!) قالت بابا عندما غادر الرجلان.

(أظن أن كثيراً من النساء يتحرقن شوقًا إليه) قلت.

(إنه أنيق من طراز رفيع) قالت (أتمنى الخروج معه).

وكل ماكنت أفكر فيه، هل تتاح لنا فرصة الإلتقاء به ثانية.

(نستطيع الكتابة إليه) قالت بابا (تستطيعين كتابة مسوّدَة رسالة وسوف أوقّع عليها).

(ماذا تقولين؟)

(لاأعرف) هزّت كتفيها وقرأت قائمة وجبات الطعام.

وكانت هناك ملاحظة جميلة مكتوبة في أسفل القائمة، تشير إلى أن الزبائن يستطيعون تفحص المطبخ إذا شاؤوا.

(دعينا نفعل ذلك ونتفحص الغاز) قالت بابا.

(كلا) ولم تكن لديّ أية نيّة لفعل أي شيء سوى الجلوس واحتساء القهوة والإشارة إلى الساقي بإحضار المزيد عندما بفرغ فنجاني. (هل سنراه ثانية؟ متى؟)

(تماسكي من أجل حياتك). قالت بابا أخيراً (لديّ فكرة رائعة). واقترحتْ أنه يجب علينا شراء تذاكر حفلة رقص، بالملابس الرسمية ودعوته إليها، وقالت إننا نستطيع التظاهر، بأننا حصلنا على التذاكر، لقاء لاشيء، أو ربحناها في اليانصيب، أو شيء من هذا.

(وسوف تكونين رفيقة، لتود أو بودي أو أي شيء) وبودي كان صديقها

ويدرّب كلاب الصيد في بلانشاردستون. واسمه الحقيقي كان / بيرتي كونهان/ ولكننا كنا نختصر اسمه إلى / بودي/ لأنه نادراً ماكان يغتسل. وكان يقول أن الاستحمام يؤذي الجلد. كان ضخماً وعريض المنكبين وله شعر أجعد ووجه طفولي مورّد اللون.

فعلنا تماماً مثلما خططت بابا. وفي نهاية الأسبوع (عندما تناولت أجري) اشترينا أربع تذاكر، لحفلة رقص، كانت ستقام في، صالة كليري في شهر تشرين الأول. ثم حصلنا على، عنوان يوجين، من تود. وكتبنا رسالة إليه، ولم تدفع أية واحدة منا خلال ذلك الأسبوع إلى جوانا أجرة السكن.

وانتظرنا بقلق جوابه، وعندما وصل رده كدت أبكي. كتب وأخبر / بابا/ أنه لم يرقص، منذ عدة سنوات، وأنه يخاف أن يكون، رفيقاً غبياً في، مثل تلك السهرة المفرحة. وكان شديد الأدب والتهذيب في اعتذاره.

(ياإلهي إذن لماذا فعلنا ذلك؟) تساءلت بابا وهي تناولني الرسالة. كانت كتابته اليدوية صعبة الوضوح.

(ياإلهي!) قلت. وقد أصبتُ بخيبة أمل أكثر مما توقعت. فقد كانت كل آمالي، معلقة على، حفلة الرقص تلك، وعلى رؤيته ثانية.

(ماهذه الحياة) قلت. (لدينا التذاكر ولكن ليس لدينا أي رجل. ولانقود. ولا ألبسة رقص).

(يجب علينا أن نذهب، لانستطيع أن نضيّع هذه البطاقات دون فائدة) قالت بابا.

(ليس لدينا أي معطف فرو). قلت. وغالباً عندما كنا نمضي إلى المدينة ليلاً للتفرج على الناس وهم يرتدون ألبسة حفلات الرقص، كنا نرى أن معظم النساء يرتدون معاطف فرو، أو أردية من الفرو إلى ما تحت الركبة تغطي ثيابهن.

(سوف نستأجر الثياب من محل التأجير في شارع دام) قالت بابا.

(إنه محل رهيب).

(إن الأمر الأكثر فظاعة هو أن نجلس في هذا المستنقع، ومعنا أربع تذاكر سوف تضيع، وهي ملقاة على مفرش الرف).

(ليست لدينا نقود لاستئجار الملابس) قلتُ وقد سررت لمثل هذا الحل البسيط للأزمة كلها. لم تكن لديّ أية رغبة للذهاب الآن.

(سوف نبيع جثمانينا إلى كلية الجراحين!). قالت (سوف يأتون ويرفعون جثمانك عندما تموتين. وسوف يضعك الطلاب على طاولة عادية ويقطعونك).

قلت إنها لايمكن أن تكون جادة. ولكنها قالت إنها سوف تفعل أي شيء من أجل شلنات قليلة.

فكرت به، وهو هناك، في منزله الكبير، غير عارف بالبؤس الذي سبّبه لنا. تصورت مكتباً هائلاً أسمرراللون جلده. وعليه العديد من أقلام الحبر والرصاص، وزجاجتي حبر أزرق وأحمر.

(تستطيعين أن تسرقي من المحل الحقير الذي تعملين فيه، إنهم مدينون لك) قالت بابا.

(إن ذلك خطيئة).

(ليس الأمر خطيئة. الأكويني يقول إنك تستطيعين السرقة من مستخدمك إذا كان مديناً لك).

(من هو الأكويني؟)

(لا أعرف. ولكنه شخص مهم في الكنيسة).

وأخيراً تدبرنا الأمر. استقرضنا خمسة جنيهات وعشر شلنات، من عدة أناس، واستأجرنا ثيابا طويلة، وأحذية رقص فضية اللون. كان ثوب بابا أبيض، وثوبي أرجواني، وهو الثوب الوحيد الذي وجدوه يناسبني. وكنت بالكاد أتنفس وأنا أرتديه، فقد كان ضيقًا جداً.

(بي.. بيب.. بي.. بيب) كان بوق عربة بودي يدق في الساعة التاسعة. ونزلنا ونحن نرفع ردائي الرقص عاليا كي لاتتسخ أذيال الرداءين. جاء في عربة زرقاء يستخدمها لحمل كلاب الصيد لعيادة الطبيب البيطري وكانت العربة تمتلئ بتلك الرائحة رائحة الكلاب.

وبعد ذلك اصطحبنا / إيمانون وايت/ وهو صبي صيدلاني، والذي كان من المفترض أن يكون رفيقي، في السهرة. كان فتى لطيفاً وهو يردد دائماً (طراز قديم، سرور عظيم، عربة عظيمة)، طوال الوقت.

وفي طريقنا إلى وسط المدينة، توقفنا في مشرب في شارع فريدريك، كي نتناول قليلاً من الشراب. وحدّق الزبائن إلى بابا وإليّ، ونحن نرتدي ملابسنا المخرمة، ومعاطفنا من قماش التويد، التي كانت ملقاة على أكتافنا. كانت بابا كئيبة وحزينة، لأنها لم تكن قادرة على استئجار معطف فرو.

(اذكر سمّك الذي تود أن تتجرعه) قال بودي وهو يضرب إيمانون على ظهره.

كان / إيمانون/ رائداً في اكتشاف الأمور. ولكنه كان يميل إلى التقشف. قال إنه يود أن يشرب عصير البندورة، وكان بودي منزعجًا جدًا، من هذا الطلب، غير أن بابا قالت إن ذلك يكلفنا كثيراً.

رقصتُ مع / إيمانون/ معظم تلك الليلة لأنه كان رفيقي، وظل يردد (رائحة عظيمة) وكانت تلك أول حفلة رقص بالنسبة إليه. اندهش من انسياب أرضية

الصالة، والأضواء والفرقتين الموسيقيتين، والورود الورقية التي تتدلى من السقف، والموائد الجميلة التي نصبت من أجل تناول العشاء. كان ردائي دون زنار، وأحسست بيديه الدافئتين على ظهري العاري طوال الليل. كان له شعر أحمر ورموش شقراء، وذكرّني احمرار جلده بالخنازير الصغيرة في المنزل.

وكان بودي مختلفا.

(أنت امرأة نبيلة) قال لي فيما بعد، وأنا أرقص معه، وأنا أحتذي حذائي الفضي المستأجر وأتساءل ما إذا كنت أرقص الفالس مع يوجين غاليراد. سررت لأنه لم يجئ، لأنه كان سيراني وأنا أرتدي ثيابي الكئيبة الحمقاء وأثرثر بأشياء سخيفة كي أبعث السرور لدى الآخرين.

شربنا الخمر ونحن نتناول عشاءنا، ثم شرب بودي كثيراً كالعادة، وأصبح متطفلاً وبدأ بالصياح. طوى قائمة الطعام وبدأ يخور كالثور وهو يلوّح بها:

(تعيش الجمهورية، يعيش نويل براون، يعيش كاسترو، أعيش أنا).

كان إيمانون خائفا، وغادر المائدة ولم يعد. ولكونه متهوراً وساذجًا، لم يفهم الجنون السعيد ومايمكن أن يسببه الشرب في الآخرين.

وفي الساعة الثانية، عندما أصبح الجميع مرحين وسعداء جداً، وبعد أن اعتمر أعضاء الفرقة الموسيقية قبعات ورقية، أعدتُ وبابا / بودي/ إلى المنزل. كان ثملاً جدا، ولايتسطيع قيادة السيارة، لذلك تركنا عربته الزرقاء هناك، واستأجرنا سيارة. لم تكن لدينا أدنى فكرة أين يعيش، وكان من المفارقة بمكان أننا نعرفه منذ عام، ولكننا لم نكن نعرف أين يعيش. فدبلن مدينة كبيرة. كنا نعرف حانته ولكننا لم نكن نعرف منزله. أحضرناه إلى المنزل ومددناه على الصوفاية في غرفة الرسم الخاصة بجوانا.

(بابا، كاثلين، لن أقول لكما شيئًا ما، إنكما امرأتان نبيلتان، وكان بارنيل

رجلاً فخوراً مثل افتخاره بالأرض. والرجل الفخور هو إنسان محبوب ولذلك دوّر الزجاجة. وماذا عن الشراب قليلاً، أيها الساقي، أيها الساقي). ولوّح بجنيه ورقي في الهواء وكان يظن أنه ما يزال في المرقص.

(يجب أن تنام) قالت بابا. وأطفأت الضوء. وتلاشى صوته وخلال دقيقة كان مستغرقًا في النوم ويتنفس بعمق.

وعرفنا أننا يجب أن نكون مستيقظتين في الساعة السادسة والنصف لإخراج بودي من المنزل قبل أن يبدأ جرس الإنذار لدى جوانا في القرع في الساعة السابعة صباحًا.

(لدينا فقط ثلاث ساعات للنوم) قالت بابا وهي تساعدني على خلع ثوبي، وقد خلّفت حمالة الثديين آثارا حمراء فوق جسدي.

(سوف نقاضي محل التأجير)، قالت عندما شاهدت، الآثار الحمراء على جسدي، ومضينا إلى النوم دون أن نغسل وجهينا، وعندما استيقظت شعرت وكأن المكياج على وجهي مثل الطين.

(ياإلهي!) قلت لبابا وأنا أسمع / بودي/ يصرخ في الطابق الأرضي (يافتيات! لايوجد هنا ذرّة من الكرم، لاتوجد خدمة هنا، أين أذهب؟).

ركضنا نحن الاثنتين معًا إلى الطابق الأرضي، من أجل إسكاته، ولكن جوانا سبقتنا إلى هناك.

(لقد قابل المسيح أمه الحزينة) قال بودي، في حين كانت جوانا، تهبط الدرج وهي ترتدي قميص نومها الأحمر الواسع، وشعرها الأشيب، ينسدل فوق ظهرها.

(حرامي! حرامي!) صرخت، وقبل أن تعرف شيئًا، ضغطت على زر الانقاذ من الحريق الذي كان مثبتا على الحائط في نهاية الدرج، وقد غمر الصابون الأبيض وجه بودي.

(أريد الشرطة) صرختْ. وكان يناضل من أجل شرح الأمور لها، إلا أنه لم يستطع أن يدعها تستمع إليه.

(توقفي عن هذا الأمر الفظيع، إنه صديقنا) قالت بابا وهي تركض هابطة الدرج.

كان بودي قد غمره الصابون الأبيض واللزج وبدا وكأنه شامبو شعر، وقد تلوث قميصه، وشعره المبتل يغطي وجهه بفقاعات زيتية.

(إنه صديقنا) قالت بابا بحزن. (اللهم احمنا من أصدقائنا).

(تدعينه صديقًا؟) تساءلت جوانا. وضع يده على دعامة الدرج، وصعد الدرجات، غير أن جوانا سدت الطريق أمامه.

(أريد أن أراجع رجلاً بشأن كلب) قال. وهو يمسح السائل الرطب عن وجهه بمنديل.

(أي كلب؟ ليس لديّ كلب، أنا متأكدة من هذا) صرختْ، ولكنه دفعها جانبًا.

(غوستاف! غوستاف) نادتْ. ولكنني عرفتُ أن غوستاف الجبان لن يخرج.

(لقد سقط المسيح في المرة الأولى)، حدّث بودي نفسه وهو يمسح عينيه.

ركضت بابا نحوه وساعدته على النهوض. وبعد فترة قليلة ساعدناه على دخول الحمام لازالة ماعلق بشعره ووجهه من رغوة السائل المضاد للحريق.

(أية بقرة تقبع في الخارج! ومن أي جحيم نبعت؟) تساءل وهو يتطلع في مرآة الحمام ورأى عينيه الحمراوين والتجاعيد تحتهما. وابتسم وهو يشاهد صورة وجهه.

(انظرا إلى انسياب الفك، انظرا يابابا وكاثلين. يجب أن أكون نجمًا سينمائيًا

أو ملاكماً) قال. (أنا وجاك دول وموفيثا، آه موفيثا، أنت سيدة لك ابتسامة سحرية، أين أنت من تلك البقرة التي تجثم في الخارج؟).

طرقت جوانا على باب الحمام (يجب أن تغارد منزلي، لقد تحدرت من أسرة نمساوية طيبة المحتد، إن أخواتي أطباء وموظفون مدنيون).

(لخصواتي) قال.

(أية خصوات تقول؟)

وضعت بابا المنشفة فوق فمه لإغلاقه ومن خلال المنشفة تمتم (فيرونيكا لطمت وجه المسيح).

(تعال، تعال سوف نرقص في الطريق) قالت بابا وبطريقة ما، أخرجته من المنزل وسارت به نحو موقف الباص. وكانت الساعة قد قاربت السابعة والنصف صباحاً.

وجدت جوانا دزينة بيض في طنجرة فوق موقد الطبخ. كان بودي على الأغلب يغلي البيض والماء يغلي، وسيطر عليها غضب شديد عندما رأت أن الطنجرة قد احترقت.

(غادرا بيتي هذا اليوم) قالت لنا. (إن طنجرتي الجيدة قد احترقت. إن دزينة من البيض البلدي من أجل غوستاف قد ضاعت كما نفدت قارورة إطفاء الحريق. أنا لا أنفق كل هذه النقود على شخص تافه وطائش. أقول لكما هذا إذا كنت سأصبح فقيرة فمن الأفضل أن أموت) كانت تكاد تبكي وهي تحمل في يديها الطنجرة المحروقة، وتُرينا البيض المسلوق بداخلها.

(حسنًا) قالت بابا (سوف نغادر) ومشت باتجاه الدرج غير أن جوانا أمسكت بطرف قميص نومها.

(لاتستطيعين تركي أليس كذلك؟ لقد أصبحت بمثابة أم لك. أخيط ثيابك وأكوبها لك).

(إننا راحلتان) قالت بابا.

(أرجوك) وانهمرت الدموع من عينَيّ جوانا فورا.

(سوف نفكر بالأمر) قالت بابا. وبعدئذ ركزّت جوانا نظرها نحوي، وعرفت أننا لن نرحل، وعادت لبذاءتها ثانية.

كل الذي أردته هو أن أعود إلى سريري، ولكن الوقت كان صباحًا، وكان يجب عليّ أن أرتدي ثيابي وأن أواجه يومي.

* * *

الفصل الثالث

ولحسن حظي فقد كان ذلك اليوم هو الأربعاء، (وكالعادة) فإن المحل يغلق أبوابه بعد الظهر.

أخذت توبّي الرقص والحذاءين وأعدتهما إلى محل التأجير. ثم أخذت صوراً لي، كان مصور في الشارع، قد التقطها لي يوم الأربعاء الماضي. شعرت بالتعب والإنهاك العصبي، من جراء النوم القليل، واختلاط المشاريب، التي تناولتها ليلة أمس. وتمنيت لو كنت غنية، كي أستطيع تناول القهوة، طوال فترة ما بعد الظهر، أو أن أشتري ثياباً جديدة لإنعاش روحي.

وكالعادة توجهت نحو المكتبة أسفل شارع داوسن حيث أقرأ دون مقابل كل أسبوع. قرأت ثماني وعشرين صفحة من دون إزعاج. ثم خرجت كان لديّ ميعاد مع بابا في شارع أو كنول.

وأنا أهبط درجات المكتبة الحجرية التقيته، مباشرة وعن كثب، رأيته في تلك اللحظة قبل أن يراني، وكنت مندهشة لأنني كدت أن أهرب بعيداً.

(آه أنتِ!) قال وهو ينظر إليّ بدهشة. لابد أنه قد نسي اسمي.

(مرحباً سيد غيلارد) قلت وأنا أحاول أن أخفي إثارتي.

بدا وجهه في ضوء النهار مختلفاً، انحف وأكثر سحراً. وزخة المطر أجبرتنا على الاقتراب واحدنا من الآخر. مشي نحو مظلة في البورش ووقفت معه تحتها. وأصبح جسدي هلامياً لمجرد وقوفي بالقرب منه، وهو يبتسم ابتسامته الساحرة. ظللت أحدّق إلى أصابع قدمي، في حذائي الأبيض، الذي أصبح لونه أسوداً من المطر والاهتراء.

(ماذا تفعلين عدا ذهابك إلى حفلات الرقص؟) سأل.

(نعم. لقد ذهبنا ليلة أمس. كانت حفلة رائعة، وفرقة موسيقية رائعة، وتناولنا العشاء وكل شيء) ياإلهي، فكّرتُ شدّ ما أنا غبية، مثل عجوز تغسل الأطباق. لماذا لا أستطيع قول شيء ما مثيراً. لماذا لا أستطيع إخباره بمشاعري نحوه؟.

(إن المطر يلمع فوق الرصيف الأسمر) قلت في فصاحة مزيفة.

(يلمع؟) تساءل وابتسم بغرابة لتعبيري الذي بدا غريبًا بالنسبة إليه.

(نعم. إنها كلمة جميلة).

(بالفعل) وهزّ رأسه. شعرت أنه كان ضجراً، وصليت للإله، أن يحدث طوفانٌ وأن نبقى هناك إلى الأبد. وتصورت المياه ترتفع إنشاً بعد إنش وتغمر الطريق، الرصيف، الدرجات، وكواحلنا، وساقينا، وجسدينا وتغرقنا سوية وكما يحدث الأمر في حلم، وأن تنتهي كل حياة أخرى حولنا.

(إن الجو يصبح أكثر سوءاً) قلت وأنا أشير إلى، غيمة سوداء، تغطي سماء مدينة دبلن، التي كانت تزداد حلكة.

(إنها مجرد زخة مطر) قال وهو يبدّد كل، أحلامي المجنونة.

(مارأيك بتناول كأس من الشاي، هل تحبين تناول بعض الشاي؟) سأل.

(أحب ذلك) وعبرنا الطريق تحت المطر، إلى محل لتناول الشاي. نسيت ماتحدثنا به، أتذكر أنني كنت صامته، تغمرني السعادة والشعور، بأن الله أو شخصاً ماقد، جمعنا الواحد إلى الاخر. أكلت ثلاث كعكات، وأصرّ كي آكل رابعة، ولكنني لم أفعل، لأن ذلك يعتبر أمرًا مبتذلاً. وعندئذٍ سألني عن اسمي. إذن كان قد نسيه.

(قولي لي ماذا تقرئين؟) سأل. وكانت لديه عادة الابتسام كلما ضبطت عينيه، وشعرت أن عينيه تعكسان أسى كلما ابتسم.

تشيخوف وجيمس جويس وجيمس ستيفنس و ... وتوقفت فجأة، مخافة أن يظن، أنني كنت أتظاهر متفاخرة.

(يجب أن أعيرك كتابًا في وقت ما) قال.

وقت ما؟ متى يحين ذلك الوقت ما؟ كنت أتساءل وأنا أتطلع، إلى بقايا تفل الشاي، في قعر فنجانه، وصببت له فنجانًا آخر من الإبريق الصغير، الذي أحضرته الساقية قبل قليل. انسكب الشاي ببطء من خلال فوهة الإبريق الجميل.

(ياالجمال عزف ذلك الكمان؟) قال. وهكذا تركنا الإبريق، تركناه على جانب الصحن وبقايا الشاي تقطر منه.

كنت أعرف أن بابا تنتظرني، وأنني يجب أن أمضى إليها. ولكنني لم أستطع النهوض وتركه. أحببت وجهه، النحيل والحزين، ويديه القويتين.

(أتساءل غالبًا بماذا تفكر الفتيات الشابات مثلك. بماذا تفكرين؟) سأل بعد أن كان يتطلع بثبات إليّ خلال دقائق قليلة.

(أفكر فيك)، فكرّت واحمرّ وجهي قليلاً. وأجبته بصوت غبي وبليد (حقيقة لاأفكر كثيراً. أفكر بالحصول على ثياب جديدة، أو الذهاب خلال عطلي، أو بماذا سوف، أتناول على طعام الغداء).

بدا لي الآن أنه تنفس، واغتنمت الفرصة لاخفاء ارتباكي، وأنني قلت إن بعض الفتيات يفكرنّ بالزواج من رجال أغنياء، وأن فتاة أعرفها تفكرّ فقط بشعرها، فهي تغسله كل ليلة، وتقيس إلى أي طول نما خلال أسبوع، وأنه إذا وصل إلى منتصف ظهرها وكان يبدو مثل رداء ذهبي. ولكن ذلك الشعر، لم يمنحها أية سعادة، لأنها كانت قلقة جداً بشأنه.

(أين تذهبين في العطلة؟) سأل، وتنهدتُ، لأنني أمكث كثيراً في الفندق، وأتناول فطوري في السرير. أنا لم أتناول الفطور، أبدًا في السرير، ماعدا مرة أو مرتين، عندما كنت في حالة مرض، وبعدئذ كان هناك كأس من شراب السنامكي الفاتر، الذي يجب أن أشربه أولاً. وكانت الأخت مرغريت، تقف دائمًا، هناك وأنت تشرب السنامكي الفاتر، وهي تقول لك أنه شراب جيد من أجل الروح، مثلما هو جيد للجسم.

(يجب أن أذهب إلى المنزل).

(أين المنزل؟) سألني.

وقلت له وأضفتُ:

لقد عاد والدي من المأوى إلى منزلنا الخاص، وعاش هناك مع عمتي، وشرحت له ذلك بأفضل أسلوب وبالقدر الذي أستطيع.

(هل تحبين منزلكم؟) سألني.

(هناك أشجار كثيرة. إنه منزل منعزل).

(أحب الأشجار) قال (أزرعها طوال الوقت، لديّ آلاف من الأشجار).

(حقًا؟) تساءلت. وشعرت أنه كان يخادع، وأنا لا أحب المخادعة.

تطلّع إلى ساعته وبدا أنه يجب أن يغادر.

(أنا آسف، ولكنني مع موعد مع شخص في تمام الساعة الرابعة).

(آسفة لتأخيرك) وقلت ونحن ننهض. دفع الفاتورة، وتناول معطفه، من على حامل الثياب الخشبي، بالقرب من الباب.

(أشكرك، مصادفة سارة) قال ونحن نقف على الدرجة الحجرية. شكرته. رفع طاقية معطفه ومضى بعيداً عني. راقبته وهو يمضي. رأيته كإله غائم الوجه،

وهو يدير ظهره لي. مددت يدي لأناديه، ولكنني لم أقبض إلا على المطر. وظننت أن الدنيا سوف، تواصل المطر حتى الأبد. كانت الباصات مليئة كالعادة، بعد الساعة الخامسة. وكانت بابا شديدة الغضب، عندما وصلت متأخرة ساعة، على موعدنا.

(محتالة مرحة) قالت. ولم أخبرها بأنني قد قابلته.

تناولنا القهوة، وفيما بعد وكما كان مخططًا، فقد جاء بودي. تناولنا المزيد من القهوة، واعتذر عن كل مابدر منه، وأعطانا خمسة جنيهات، لتغطية ثمن التذاكر لحفلة الرقص، ثم أخذنا بسيارة أجرة، نحو عربة كلاب الصيد، في تقاطع هارولد.

وفي يوم الأربعاء التالي ذهبت إلى شارع داوسون. وبقيت واقفة خارج المكتبة طوال ساعتين. ولكن يوجين غاليراد لم يأت. ولا الأربعاء الذي بعده ولا الأربعاء الذي تلاه.

انتظرت أربعة أيام الأربعاء، وتمشيت في الجوار، أبحث عن رؤيته. في معطفه الأسود الطويل ذي القبه من فراء الاستراخان. تخيلته يجلس، في مقهى / روبرت/ ينظر إلى الفتيات، ذوات الشعر الأسود. قال إنه يحب الشعر الأسود والعيون السوداء، وكل بشرة سمراء. قال تلك الأمور بروّية وهدوء بال. جلست في مقهى / روبرت/ كثيراً وفكّرت به. لم يأكل البطاطا، وشرب الماء مع عشائه. ولذلك بدأت أتناول الماء مع وجبات طعامي. ماء الصنبور في منزل/ جوانا/ لم يكن بارداً أبداً، ولم يكن الماء يلمع كما يجب، ولكنه أمر جميل أن أفعل شيئًا مافعله.

انتظرت وتمشيت في الجوار. وأنا متأكدة من أنني سوف ألاقيه. وكان الأمل الطائش الجامح قد عّمق من ألم مشاعري. كنت أستطيع شم رائحته وتخيل الشعر

الأسود على يديه، ومشيته المرحة. ولكنني طوال شهر لم أره. وحالما رأيت سيارته تقف في شارع / بولزودرث/ خايلني إحساس وكأن دهراً قد مضى علي، وأناأجتاز مدخل، محل الصوف، الذي كان يغلق. أخيراً دفعني الجوع، نحو المنزل، وفي اليوم التالي، كتبت رسالة إليه، وسألته أن يتناول الشاي، معي يوم الأربعاء القادم.

مضى الأسبوع، وجئت إلى المطعم، وأنا اشعر بالخزي. كان هناك جالساً على طاولة قرب الباب من الداخل، ويقرأ جريدة.

(كاثلين) قال حالما رآني أدخل. وكانت المرة الأولى التي ينطبق بها باسمي.

(مرحبا) قلت وأنا أرتعش، وتساءلت فيما إذا كان، يجب أن أعتذر، لأنني كتبت رسالة له. جلست وكنت ما أزال، أرتدي معطفي القديم، وأتلفح بوشاح أزرق، من الشيفون حول عنقي.

(اخلعي معطفك) قال وخلعته، وتركته معلقًا، فوق المقعد.

(أنسى دائمًا كم أنت جميلة، إلى أن أراك مرة ثانية) قال. وهو يتطلع بعناية إلى وجهي (آه ياالجمال تورد خديك، أحب رؤية خديك، وأنت تقودين الدراجة، فوق الطريق الدائري الشمالي).

كان خداي دائماً متوردين، مهما وضعت من مسحوق. طلب سندويشاً وكعكًا عاديًا، وكعكًا مدوراً وبسكويتاً. وشعرت بالقلق، وراودني خوف، بأن من الواجب علي أن أدفع الفاتورة، لكل ذلك. لأنني دعوته وليس معي، إلا عشرة شلنات في حقيبتي. استند بكوعيه إلى الطاولة، وقبضة يدة تحت ذقنه. وكانت جفونه مفتوحة، وعندما يحاول رفعهما، تصيبك الدهشة للتعبير الناعم، الذي يطل من عينيه. كان وجهه صلبا وواضح الملامح، ولكن عينيه كانتا ودودتين وساحرتين.

(حسنًا!) قال. وهو يبتسم متطلعًا إلي. (وهكذا نحن هنا) وكانت هناك، نقطة دم على فكه، حيث جرح فكه وهو يحلق.

(آملة ألا أكون قد أزعجتك بالمجيء إلى هنا) قلت.

(لا. لاتعيري الأمر هماً. إنني في الواقع سعيد جداً. فكرتُ بكِ مراراً، خلال الأسابيع القليلة الماضية).

(خمسة أسابيع)، قلت بسرعة.

(خمسة ماذا؟)

(خمسة أسابيع، أنت تعرفني منذ خمسة أسابيع) وضحك وسأل فيما إذا كنت أحتفظ بمذكرة، وراودني تفكير، بأنه إنسان خبيث ماكر.

(ألا تحدثيني بالمزيد عن حياتك الاجتماعية؟) سأل وأنا أقطع شريحة صغيرة، من الكريما، ومن ثم لعقت شفتي).

(فكرت أنني يجب أن أراك) قلت بصراحة.

(أعرف ولكن) وتوقف، وهو يعبث بفم وعاء السكر (أنت ترين، إن الأمر صعب، سوف أكون صادقًا تمامًا، أنا لا أريد أن أتورط، لابد أنه حذر طهراني طبيعي عندي لأنك وبابا فتاتان جميلتان، وأنا رجل كبير في السن كفاية، أعرفا أفضل.

ابقِ بابا بعيدة عن هذا، وفكرتُ وأنا أساله (ماذا تعني بالتورط؟) ارتجف صوتي وكان قلبي يدق.

(أنت فتاة لطيفة) قال. ووضع يده، على معصمي وربّت عليه. وسألت بعد ذلك، إذا كان بالإمكان أن، نتناول الشاي مرة ثانية.

(إننا نتناول الشاي الآن) قال وهو يشير إلى وعاء الشاي الفضي (ويمكننا حتى أن، نتناول طعام العشاء).

(عشاء!)

(نعم عشاء.) قال. وأنا أضبط أنفاسي، وأتحكم بصوتي، الذي بدت الدهشة في نغمته.

تناولنا العشاء في تلك الأمسية وبعد ذلك توجهنا إلى الخارج نحو / كلونتراف/ وسرنا في نزهة جميلة. كانت الليلة يوشّحها الضباب. ليلة من ليالي كانون الأول. أمسك بيدي، لم يضغط على أصابعي أو يثنيها بين يديه، أمسك بيدي بشكل طبيعي جداً، بذات الطريقة التي، تمسك بها، يد طفل أو يد أمك.

تحدث عن أمريكا، حيث عاش بعض السنوات. وكان قد عاش في نيوريورك وفي هوليود.

كان البحر هادئًا، وكانت الأمواج تتكسر، بهدوء فوق الصخور، الملساء والقاسية، وكانت تنبعث في الجو رائحة الأوزون الكريهة. لم يكن باستطاعتي، القول ما إذا كان، المد يجيء أو يبتعد.

إن المد يبتعد، قال وصدّقته، أنا أصدق كل شيء يقوله. ونحن نتمشي، فوق الرصيف الاسمنتي، الممتد داخل البحر، تشاركنا في شرب سيكارة. كانت هناك طلائع ضبابية تحجب الأضواء المنبعثة من الميناء، وكانت البيوت المضاءة تلمع من بعيد أضواؤها ثم تبهت من جراء الغيوم، وأحببت التفرج على، تناوب لمعانها وخفوتها، وكانت السفن المنفردة في البحر، تزيد المنظر بهاء، وجعلتني السفن أفكّر بكل الناس في العالم، وهم ينتظرون أناساً آخرين، سوف يجيئون إليهم، بعد طول غياب. للحظة لم أكن وحيدة، لأنني كنت مع إنسان، أحببت أن أكون معه. مشينا إلى نهاية الرصيف، داخل البحر، وتطلعنا إلى الصخور، والبحيرات، والمضائق الصغيرة، على حافة النهر. تحدث عن بحر الشمال، وعن المحيط الأطلسي البعيد.

(تعودت أن أقود سيارتي هناك في أيام الأسبوع. عندما تزدحم الأمور كثيراً في لوس أنجلوس. السماء دائماً زرقاء في كاليفورنيا. زرقاء جداً. وأرصفة الشوارع حارة وخانقة. والوجوه حمراء، تمضي إلى الأمام، ولاتلوي على شيء. أنا أحب المطر والعزلة). تحدث بهدوء شديد، وكان يستخدم يديه في التعبير طوال

الوقت، كنت أرى تعابير وجهه، والانعكاس الأخضر لشعاع القمر، وجذوة السيكارة الحمراء التي نتشارك في تدخينها.

(وأنت هل كنت تخرج في نزهات هناك؟) سألته وكلي أمل، أنه بالتالي سوف يخبرني، شيئًا ما عن حياته الشخصية.

(كنت أخرج في نزهات هناك، وأقطع مسافات على الشاطئ الأبيض للمحيط الأطلسي العظيم، وكنت أتقدم برهافة، محاذراً التلوث بآثار البترول، في جانب، مشدوهاً لعظمة رافعات الزيت، في جانب آخر. وكنت أضرب بقدمي علب البيرة الفارغة، ثم أعود إلى المنزل).

وفكرت لشدَّما هو الأمر غريب، لأنه لم يأتِ، على ذكر أناس، في حديثه، واستعرض بعض ذكرياته. كان المكان هو، الأمر الوحيد الذي وصفه، الساحل الأبيض، علب البيرة الفارغة، أو البرتقال على طول طريق الساحل.

(أنت دائمًا تتحدث، عن الأمكنة، وكأنك فقط كنت تعيش فيها) قلت.

(نعم. لقد ولدت كي أغدو راهبًا).

(ولكنك لست كاثوليكيًا) قلت بسرعة.

ضحك بصوت عالٍ، وكان أمراً غريبًا، أن تسمع ضحكته أعلى، من صوت الأمواج المتلاطمة، والتنفس المتلهف لشخصين تمددا بين الصخور ويمارسان الحب. قال بأن الكاثوليك كانوا أكثر الناس تشبثًا بآرائهم على وجه الأرض، حب الذات، قال ذلك بخوف.

في نهاية الرصيف، الممتد داخل البحر، تطلعنا إلى المياه في الأسفل، وهي تصدم الجدار الاسمنتي، وقال لي، إنه نال كؤوسًا وميداليات، في مسابقات السباحة، عندما كان ولداً. عاش معظم حياته، في دبلن مع أمه، وذهب إلى

العمل، عندما كان ولداً صغيراً، ولما كان طفلاً فقد وجب عليه، أن يمشط السواحل بحثًا عما تقذفه الأمواج.

(وجدت مراراً شلنات) قال (كنت دائمًا محظوظًا، كنت دائمًا أعثر على أشياء، وحتى لقد وجدتك بعينيك، الواسعتين، الشبيهتين، بعيني قرد الليمور [1]. هل تعرفين ماذا يكون الليمور؟)

(ونعم) وكنت كاذبة. وبعد ذلك امتلأت خوفًا من أن يسألني، لذلك غيرّت الحديث، وتكلمت عن شيء آخر.

وهو يقود السيارة، عائداً بي إلى المنزل، قال (لقد مضت مدة طويلة لم أقض فيها أمسية مع فتاة جميلة مثلك).

(تابع) قلتُ، متطلعة إلى بروفيل وجهه الجانبي، راغبة أن أعرف، جميع النساء الأخريات، اللواتي كان معهن، أن أعرف عطرهن، وماذا تحدثن، وكيف انتهت علاقاته بهن. وقال إنه حتى سن الخامسة والعشرين، فقد مارس العديد من المهن، عامل سينما، حدائقي، كهربائي، كان يتطلع إلى الفتيات بذات الطريقة التي يتطلع بها إلى الأزهار أو القوارب في ميناء / دون لافايير/ .

(إن تلك حقيقة) قال وهو يلتفت نحوي مبتسماً.

كانت الابتسامة عذبة، واقتربت منه، ملتصقة به، ولامست بخدي معطفه.

لم يقبّلني في تلك الليلة.

* * *

(١) من فصيلة القرود.

الفصل الرابع

وبدأنا نلتقي في ثلاث أمسيات في الأسبوع، بعد ذلك. وخلال هذه المدة أرسل إليّ، بطاقات بريدية. وبعد أن مضى وقت، كتب إليّ رسائل. دعاني / كيت/ ، وكما قال فإن اسم كاثلين، كان طويلاً جداً، وهو لا يحبه، وعلى أي حال، فلم يكن ذلك يعني لي كثيراً.

وفي مساء كل اثنين وأربعاء وسبت، كان ينتظرني بجانب المحل في سيارته، وفي كل مرة كنت، أجلس بجانبه، كنت أرتعش من السعادة الخيالية، وبعد ذلك وذات ليلة، بقي في الفندق في شارع / هاركت/ ، وخطط لملاقاتي، في وقت الغداء، في اليوم التالي، من أجل أن يشتري لي معطفاً. وكان الوقت يقترب من عيد الميلاد، وعلى أية حال، فقد كان معطفي الأخضر، القديم بالياً. اشترى لي، معطفاً رمادياً، من فرو الاستراخان، له قبة مخملية حمراء، وتنورة واسعة.

(إنني موله بك الآن) قال، وأنا أتمشى داخل المحل، بينما كان يعاين المعطف من الخلف. وتمنيت لو أنه لايدقق، النظر كثيراً لأن لي مشية ثقيلة، وكنت أخجل عندما يتطلع الناس إليّ.

(إنه يلائمك) قال، ولكنني كنت أظن، أن المعطف يجعلني، أبدو أكثر بدانة.

واشتريناه، وطلبت من معاونة البائع، أن تلف معطفي القديم. كانت متكلفة جداً، وذات شعر فضي، وترتدي رداءً خاصاً بالمحل، له أزرار معقودة حتى العنق. ثم اشترى لي، ستة أزواج من الجرابات، وأعطاني البائع زوجاً واحداً، دون مقابل

كـهـدية . وقـال إن ذلك أمراً، غـيـر أخـلاقي، الحـصـول على زوج مـجاني، لأننا نستطيع شراء ستة أزواج، ولكنني كنت سعيدة.

فكّرت بأمي، وكـيـف ستـحب ذلك، وتمنيت لو أنها تستـطيع، أن تقـوم من قبرها، في بحيرة / شانون/ ، وتشهد بنفسها مثل هذه الصفقة. لقد غرقت عندما كنت في الثانية عشرة من عمري. وشعرت بالذنب ثم تجاوزت ذلك، لأنني كنت سعيدة معه، ولأنني لم أرَ أمي سعيدة أو ضاحكة أبداً. وبقائي في محل الـ Posh يذكّرني بها دائماً. وقبل أسابيع من غرقها، ذهبت وإياها إلى / لايمرك/ من أجل التسوق. كانت قد وفّرت نقود بيع البيض لعدة أسابيع لأننا، ومع أننا نملك أرضاً كبيرة، إلا أنه لم تتوفر لدينا، النقود للدفع الفوري. كان والدي يشرب كثيراً، ويحتفظ بالنقود دائماً. وكانت تعمد إلى بيع الدجاجات الكبار، لرجل كان يطوف في الجوار، يشتري الجلود والسلع المستعملة. واشترت من / لايمرك/ أحمر الشفاه. وأتذكرها وهي تجرّب، وضع الظلال العديدة لأحمر الشفاه، على ظاهر كفّيها، إلى أن تستقر بعد مدة طويلة على اختيار لون معين، وغالباً مايكون أصبع أحمر الشفاه، من اللون القرمزي محفوظاً في غطاء أسود وذهبي.

(إن أمي ميتة) قلت له ونحن ننتظر إعادة مابقي له من نقود، أردت أن أقول شيئاً ما آخر، شيئاً ما ينقل عمق، تضحيتها المألوفة خلال حياتها، عن كتفها المائل، من جراء حمل، سطول الغذاء للدجاج، عن احتفاظها بألواح الشيكولاته، تحت الوسادة، كي آكلها في السرير، إذا خفت من الوالد أو من الريح.

(إن أمك المسكينة) قال (أتوقع أنها كانت امرأة طيبة).

وتناولت طعام الغداء، في مطعم بعيد، عن المحل. وكنت قلقة لكوني، قد تأخرت في العودة إلى العمل.

وهو يتبعني في زقاق ضيق إلى حيث أوقف السيارة قال (تشبهين آنا كارينينا [1] في معطفك).

ظننت أنها لابد أن تكون فتاة صديقة له، أو ممثلة.

وفي طريق العودة وهو يقود السيارة قلت بطيش (هل تحب أن تأتي وتتناول الشاي في هذا المساء في المنزل حيث أقيم؟)

فقد حرضتّني بابا، على دعوته للمنزل، لتناول الشاي، كي تستطيع مغازلته. قال إنه يود، ووعد أن يأتي في الساعة السابعة.

وبينما كنت أتوجه مسرعة نحو الدكان، ناداني ضاحكًا، طالبًا مني العناية، بالمعطف الجديد، ونثرت له قبلة في الهواء.

وصرخ (إن عجيزتك أصبحت سمينة) وكدت أموت خجلاً، فقد كان هناك زبائن، ينتظرون بجانب باب الدكان، وقد سمعوه يقول ذلك.

وعندما لم تكن، السيدة بورنز تتطلع، كنت أكتب ملاحظة، إلى جوانا أسألها إذا كان كنا، نستطيع تحضير شيء خاص، لتناول الشاي. كان اليوم الجمعة. وكنا دائمًا في أيام الجمع، لدينا أقراص عديدة من الحلوى البودنغ [2]، وكانت لدينا ذات الأصناف في كل أسبوع، أما الأقراص البودنغ فكانت بابا تسميها (طرازًا جديدًا).

حمل / ويلي/ الملاحظة، ووأصلها إلى جوانا، ثم عاد بجوابها وهو يشير إلى شفتيه الزرقاوين الجائعين. (ياإلهي! إنني لن أقوم بأي تبذير، من أجل هذا الرجل الغني).

اشتريت لها كعكة، من مخبز يبعد محلين عن الدكان، وكانت كعكة مغطاة

---

(١) بطلة رواية آنا كارينينا لتولستوي.

(٢) نوع من الحلوى.

بجوز الهند، وأرسلتها فوراً مع علبة من البسكويت، وحنجور من مربى التوت. عـاد / ويلي/ وقـال إن جـوانا، وضـعت الكعكة في علبـة، وكـان ذلك يعني أنهـا تحفظها بعيـداً لعيد الميـلاد. وكـان مايزال على، حلول يوم، عيـد الميلاد خمسة أسـابيع. وظل قلبي يدق، طوال فـترة مـابعـد الظهـر، بإثـارة وسـعـادة. وقـمت باختبارين خاطئين، وسألتني السيدة / بورنز/ فيما إذا كنت أمرّ في وضع سيء. وفي النهاية، تابعت عملي، آملة ألا يجيء إطلاقًا. فأنا أستطيع رؤية وجهه طوال القوت، وتخيل عينيه الجميلتين، والعروق الدموية، في جانب صدغه المتنفخ. وبعـد ذلك أصبـحت مرعـوبة، لأنه حـالما يرى أين أعـيش، فـإنه لن يطلب مني الخروج ثانية معه.

كان منزل جوانا نظيفًا، ولكنه رث، كانت له مصطبة وهو مبني من الآجر، ويغطيه مشمع من أعلاه إلى أدناه. وكانت لديها، حصيرة مخططة (حصلت عليها بثمن رخيص) فرشتها، في البهو في الطابق الأرضي. وكان الأثاث أسود اللون، وثقيلاً وكانت الغرفة الأمامية، مليئة باللعب الصينية وتمثل كلاباً مزخرفة، وبألعاب الحيل. وكانت هناك نبتة كاوتشوك، خضراء في وعاء، موضوعة فوق البيانو.

عندما وصلت إلى البيت، كـانت / بابا/ هناك مرتدية ثيابها ومتأنقة، فلا بد أن جوانا قد أخبرتها، أنه سوف يجيء. ارتدت بنطولها الواسع وبلوزتها ذات القبة حرف ٧.

وعندما دخلت الغرفة، سمعت جوانا تقول (ليس جميلاً لأرض الغرفة، أن تنتعل الفتيات، أحذية مليئة أكعابها بالمسامير).

ذلك أن آثار مسيرنا قد بدت واضحة على المشمع.

(ليس لديّ حذاء آخر) قالت بابا بصوتها البارد، (اذهبي إلى الجحيم).

لديّ أحذية، الطابق الأعلى مليء بالأحذية، تحت الأسرّة، وتحت الشومينيه. لا أرى إلا أحذية، أحذية، أحذية.

ولاحظت الاثنتان معطفي الجديد.

(من أين عثرت عليه؟) سألت بابا.

(معطف جديد، ومن فرو الاستراخان) قالت جوانا، ولمست فرو المعطف بيدها وقالت (غنية! أنت فتاة غنية! إنني لم أحصل على معطف جديد، منذ أن غادرت وطني، منذ تسعة أعوام مضت). ورفعت أصابعها التسع، وكأنني لا أعرف عد الأرقام.

لقد سألتني ماذا عن الإعداد لحفلة الشاي! (أنت تعرفين ماذا يجب أن يكون) قالت جوانا.

(ولكن انظري ياجوانا، إنه شخص له أهمية خاصة، وهو ثري وواسع الاطلاع، يعرف نجوماً سينمائيين، وقد قابل جوان كراوفورد [1]، آه ياجوانا، أرجوك) وقد بالغتُ من أجل التأثير عليها.

(غني) قالت جوانا، (وهل يقود سيارة رولزرويس) وتلك كانت جملتها المحببة، القصيدة الوحيدة التي تحفظها!

(أقول لك أنا لست غنية. أنا امرأة فقيرة، ولكنني انحدرت من بيت جيد، من أسرة، نمساوية محترمة ومعتبرة، وطردت من وطني الأصلي).

(وهو من نواحي تلك البلاد أيضاً) قلت وكلي أمل في أن أهدئها.

(من أين؟) سألت وكأنني وجّهت إليها إهانة.

(من بارفاريا أو رومانيا) قلت.

(هل هو يهودي؟) وضيّقت عينيها (أنا لاأحب اليهود، إنهم أناس وضيعون وأنذال).

---

(١) نجمة سينمائية أميركية.

(أنا لا أعرف ماذا يكون، ولكنه ليس خسيساً أو وضعياً، هو شريف وصادق) قلت ، وكدت أقول لها إنه اشترى لي المعطف.

ويسرعة ومن أجل، ترطيب الجو، بدأت بابا في التغريد (من أين حصلت على المعطف؟) ثم إلى نغمة (من أين حصلت على تلك القبعة [٢]؟).

(أرسل والدي لي النقود) كذبت عليها.

(كل ماترثينه أو تملكينه هو من الملجأ!) ولم تكن تضع حمالة لنهديها! وكان المرء يستطيع، رؤية حلمتي ثدييها من خلال بلوزتها البيضاء.

(وماذا عن حفلة الشاي؟) سألت ثانية.

(أقراص من حلوى البود) قالت بابا. وطغى فجأة على صوتها، جرس الباب يقرع، وهرعت إلى الطابق الأعلى لأضع شيئاً من البوردة على وجهي.

ودعته بابا للدخول.

ارتديت ثوباً خفيف الزرقة، لأن الألوان الباهتة تناسبني، كان الثوب موشى بالخيوط الفضية، وعليه خطوط تمثل سقوط الثلج، وكانت القبة منخفضة. كان ثوباً صيفياً، غير أنني أردت أن أبدو جميلة في عينيه.

وخارج باب غرفة الطعام، مسحت ذراعيّ، وأصخت السمع لأسمع، ماذا كانتا تتحدثان إليه. وكنت أستطيع سماع صوته المنخفض. وكانت بابا تناديه باسمه الأول. ودخلت وأنا بكامل استعدادي.

(أهلاً) قال وهو ينهض لكي يصافحني. جلست بابا بالقرب منه، وكان كوعها، يستند على ظهر مقعده المدوّر، بدا طويلاً جداً، تحت السقف المنخفض، واعتراني الخجل بسبب الغرفة الصغيرة. بدت أكثر رثاثة، وهو بداخلها. وكانت

---

(٢) قطع من أغنية شائعة.

الستائر المخرّمة، باهتة بسبب الدخان، وبدت الكلاب الصينية، الخزفية، الموضوعة على الخزانة سخيفة.

(هل عثرت علينا بسهولة؟) قلت متظاهرة بأن لا أكون خجلي. فمن المثير أن تكون، شديد الخجل مع الناس، في بيتك الخاص. في الخارج، في الشارع، أستطيع أن أتحدث إليه، ولكنني في المنزل، كنت خجلى من شيء ما.

حملت جوانا حلوى البودنغ، ملفوفة في قماش الموسلين [1] الرقيق، وكانت موضوعة على صحن.

(من صنع يديّ، وهي طازجة جداً) قالت، وهي تضع الصحن، على قطعة قماش مخرّمة. كان غوستاف قد قطعها من قطعة إضافية من المشمع. وفكّت جوانا قماش الموسلين الرطب.

(طازجة من المطبخ) قالت بابا ليوجين، وغمزت بعينيها. وبدت حلوى البودنغ، بيضاء وشهية. وذكرتني بجيفة.

(من صنعي، صنعٌ منزلي) قالت جوانا بافتخار. وقسمّت الحلوى، إلى قطع، وبينما كانت تقطع الحلوى إلى أجزاء، اندلق بعض مربى التوت على الصحن، ثم وضعت المربى، بالملعقة فوق قطع الحلوى.

(من أجل ضيفي الجديد الجميل) قالت وهي تقدم، له أول قطعة، اعتذر، وقال إنه لا يأكل المعجنات أو الفطائر أبداً.

(كلا! كلا! هذه ليست معجنات ولا فطائر) قالت جوانا (إنه مجرد ضيافة نمساوية).

(إن بذور المربى تلصق بين أسناني) قال شبه مازح.

(انزع أسنانك!) اقترحت.

---

(١) قماش قطني رقيق.

(إنهـا أسناني الأصلـية) ضحك. (ألا نـستطيـع أن نشرب كـأسًا لذيذًا من الشاي).

(أنت لم تأكل طعامي) بدا وجهها المسكين متأثرًا، وابتسمت بغباء وهي تتطلع إليه.

(إنها معدتي) وضّح. (لديّ ثقب فيها، هنا) ووضع يده فوق كنزته السوداء، ودقّ على معدته. وكان قبل وقت سابق، قد استأذن من جوانا كي تسمح له بخلع سترته. كانت الكنزة السوداء تلائمة، وقد أعطته منظرًا، بدا نحيلاً، وأشبه مايكون برجل دين.

(تقبّض في الأمـعاء؟) سألت جـوانا. (لديّ حـقـيـبـة في الطابق الأعلى أحضرتها معي من بلدي الأصلي، ماذا تدعوه، فقر دم؟)

(ياإلهي) قالت بابا (دعيه يتناول شايه أولاً)

(إنه مجرد ألم لديّ) قال لها يوجين، (قلق).

(قـلق، ومـن رجـل غنـي؟) تسـاءلت جـوانا (أي قلق يمكن أن يصـاب به رجل غني؟)

(العالم) قال.

(العالم!) صاحت (إنني أعتقد أنك مجنون قليلاً) ثم، خافت من أن تكون، قد تجاوزت حدها، قالت (إنه أمررهيب إزاء معدتك المسكينة، إنك رجل مسكين) ولامست البقعة الصلعاء، وسط رأسه وربّتت عليها، وكما لو أنها تعرفه طوال حياتها. وخلال دقيقة، أحضرت جرزة من بقلة الشبت [1]، والنقانق، والزيتون الأسود، والمربى المدخّن، وصحنًا من حلوى المعكرون [2] من صنع بيتيّ.

---

(١) نوع من بقلة التوابل.

(٢) نوع من الحلوى Macaroon

(أيتها الطيبة!) قالت بابا وهي تهدل. وتناولت حبة زيتون، سوداء رطبة، وأمسكت بها بين أصابعها، أثناء ماكانت تقبّلها.

(لا. لا تغلطي) قالت جوانا، وهي تعيد حبة الزيتون إلى الصحن، (إنه خاص ومن أجل السيد يوجين).

(ذلك صحيح ياجوانا، ونحن غريبان ويجب أن نتكاتف معًا) قال. ولكنها عندما خرجت، لكي تعد الشاي، قام بإعداد سندويشة مربى لكل واحدة منا.

(ما الذي جعلني أعتقد أن الفتيات رقيقات؟) تساءل وهو يرفع صحن المربى، وأطلقت بابا عندئذٍ، إحدى نوبات ضحكها. وكانت بابا قد بدلّت، الآن من إيقاع ضحكاتها، واتبعت نغمة جديدة للضحك، بصوت عالٍ، التفتت نحو يوجين وقالت:

(لا يوجد شيء أحبه أكثر من محبة الرجل المهذب).

أحنى لها رأسه وابتسم وهو يتطلع إليها.

بدت بابا شديدة الملاحة، وفي تلك الأمسية الخاصة. كان لها وجه صغير، ونظيف وبشرة سمراء. وكانت عيناها صغيرتين كثيراً، وبراقتين وذكيتين جداً. وتذكرانك بعصفور يقفز من غصن إلى اخر، وكانت أفكارها رشيقة ونافذة كالسهم أيضًا. وتخلّف انطباعًا بأن لديها حيوية فائقة.

(عرفت ذات مرة فتاة تشبهك) قال لها. واستمرت بابا في الابتسام.

(شاي طيب، أفضل شاي) قالتْ جوانا، وهي تعود إلى الغرفة، تحمل ابريق فضي ومعه إبريق ماء ساخن.

(هل هو طيب وجيد؟ ياإلهي!) سألت قبل أن يرفع الكأس إلى شفتيه.

(دعيني أبرّده قليلاً).

وسألها عن وطنها، وعن أسرتها، وعما إذا كانت تنوي العودة إلى هناك،

وأجانب باستطراد طويل وممل، حول أخوتها وأسرتها الطيبة، وذلك أمر سمعته وبابا أكثر من خمسة آلاف مرة.

(بدأتْ بفتح المناحة) قالت بابا لي، وهي تشير إلى زجاجة الخمر، التي جلبها يوجين.

(سوف تفتحها حالما تغدو عاطفية) قلت. وكانت جوانا منهمكة في الحديث جداً ولم تسمعنا.

(إنها في قمة عاطفتها الآن، لقد قفزت عن الصفعة، التي كالها لها أخوها، على ثديها، عندما كانت في السنة الثانية من العمر، وكان هو في الرابعة) قالت بابا.

(وذات ليلة أخذني أخوتي إلى دار الأوبرا) تابعت جوانا حديثها، ثم ربّتت بابا على كوع جوانا مشيرة إلى زجاجة الخمر وقالت:

(قدمّي للرجل الشراب).

وبدت الحيرة على وجه جوانا، كأن الأمر أسقط في يدها، بدت محتارة، مرتبكة، قالت (أنت تحب الشاي أليس كذلك؟)

(نعم) أجاب (أنا لا أشرب الخمر حقيقة).

(رجل حكيم، أنا أحبك) وابتسمت، وهي تتطلع إليه، وتنهدت بابا بصوت مسموع.

(يجب ألا تتزوج فتاة دكان من إيرلندا) قالت جوانا (يجب أن تتزوج فتاة من وطنك، كونتيسة). كانت جوانا غبية جداً، وهي تظن أنني لم أسمعها تقول ذلك. وحرقت شعر ذراعيها العاريتين بسيكارتي.

((ياإلهي، أنت تحرقيني) وقفزت ناهضة.

(آسفة).

وبعدئذ دخل جياني الملاك الآخر، وفي غمرة الارتباك بتقديم يوجين، لم أعتذر لجوانا.

وعندما وقفت جوانا، لتناول كأسه وصحنه، أخفت زجاجة الخمر وراء لعبة الكلب الخزفية.

(تلك، تلك) قالت بابا. وصبت لنفسها بعض الشاي البارد.

(من فضلك) كان جياني الملاك يقول، وهو يطلب من بابا، تمريره وعاء السكر إليه. كان يحب التظاهر، ويستخدم يديه، ويتلاعب بتعابير وجهه. لم أحبه، كان قد وصل إلى بيت جوانا، في اليوم الذي أملت، أن أذهب فيه إلى فيينا، مع السيد غينتلمان، في البداية، ساعدته في تحسين لغته الإنكليزية، ثم ذهبنا إلى لصوص الدراجات معاً. وفيما بعد أعطاني طوقًا، وظن أنه يستطيع أن يكون حراً جداً، معي بسبب ذلك. وعندما لم أرغب بتقبيله ونحن نقف في فسحة الدرج ذات ليلة، انتابته نوبة غضب، وقال إن الطوق كلفه مبلغًا كبيراً من المال. عرضت أن أعيد الطوق إليه، غير أنه طلب مالاً بدلاً، من ذلك. ومنذ تلك الواقعة أصبحت علاقتنا باردة.

(يبدو أنك تنحدر من دم أجنبي!) قال يوجين مداعبًا جياني.

(جئت من ميلانو) قال جياني، وقد بدت عليه علائم الانزعاج. فهو من أكثر الناس، الذين عرفتهم بلادة، في فهم النكتة أو الملاطفة.

(إنها لاتستطيع التنفس) قالت بابا، عندما مرّر يوجين سيكارة ثانية لي. تناولت السيكارة على أية حال، وهمس وهو يشعل لي سيكارتي، من عود الثقاب، لقد لمحتُ عينيك وكل شيء) وفكّرت بالقبلات الرقيقة الرطبة، التي طبعها على جفنّي، وبالأمور التي همس بها في أذنيّ عندما كنا وحيدين.

(هل تعرف ايطاليا جيداً؟) سأل جياني بعدئذٍ.

استدار يوجين، قليلاً بعيداً عني، وأطفأ الثقاب في صحن، كان غوستاف قد سرقه من معرض / موني/ ، وكان مكتوباً باللون الأحمر على صحن السكائر (بجنيه واحد وهو الأفضل)!.

(عملت في صقلية مرة، كنا نقوم بتصوير، فيلم هناك، حول صيادي السمك، وعشت في باليرمو لعدة أشهر).

(صقلية ليست جيدة) قال جياني، وهو يتلاعب بملامح وجهه، كي يجعلها تبدو صبيانية!

إنه أناني وأحمق، فكرت وأنا أراقبه، وهو يلتهم قطعة نقانق، داخل فمه الواسع. إنه يحصل على النقانق، لأنه ملاك عازب. وجوانا لديها فكرة ما، بأن المُلاك العازبين، يجب أن ينالوا غذاء جيداً. كنت أراقبه وهو يلتهم قطعة النقانق، وقد سقطت سيكارتي، داخل ثوبي المنخفض القبة. لا أعرف كيف حدث ذلك، ولكنه أمر حدث. لقد انزلقت السيكارة من بين أصابعي، وشعرت بالتالي أنني أحترق. صرخت، وأنا أحس، أن صدري يُلسع، وشاهدت الدخان يتصاعد نحو ذقني.

(أنا أحترق، أنا أحترق) ونهضت واقفة، واستقرت السيكارة على حاملة نهدي وكان الألم رهيباً.

(ياإلهي! أخمدوا النار!) قالت جوانا، وهي تسحب ثوبي، وتحاول خلعه عن جسدي.

(ياإلهي) قالت بابا ثم انفجرت بالضحك.

(افعلوا شيئاً ما، ياإلهي) صرخت جوانا، واستدار يوجين نحوي، وفجأة بدأ يبتسم.

(فعلتْ ذلك جلباً للاهتمام) قالت بابا، ورفعت إبريق الحليب، ودلقته داخل ثوبي.

(أمر جيد، الحليب جيد)قالت جوانا، ولكن الأمر جاء متأخراً، كنت تقريبًا مبللة بنصف إبريق من الحليب، وانطفأت السيكارة طبعًا.

(بشرفي ظننت أن ماتقومين به هو نكتة) قال يوجين موجهًا، حديثه إليّ.

كان يحاول السيطرة، على نوبة الضحك، عندما أدرك أنني غاضبة.

(أنتن فتيات سخيفات) قالت، جوانا لكلينا أنا وبابا. وخرجتُ كي أبدّل ثوبي.

(بحق الإله ماذا كنت تفعلين، تحلمين بهذا الشكل؟) قالت بابا (إنك تبدين غريبة تمامًا)

(كنت أفكر) قلت، وكنت أفكر بخطة، أجعل يوجين يرافقني، إلى الخارج بعيداً عنهم، وهكذا نستطيع تبادل القبل داخل السيارة.

عن ماذا أسأل؟ لم أقل لها. كنت مستغرقة في التفكير، في أول ليلة قبّلني فيها. فجأة وفي ذات ليلة ممطرة، عندما كنا ننحدر سائرين بجانب LiFFY نحو مبنى الجمارك باتجاه المدينة، قال: هل أستطيع أن أقبّلك؟ وقبّلني بنحو مفاجئ تمامًا مثلما يخرج أفواج الناس من السينما. شعرت بضعف واهن، وأصبت بدوار، وليست لديّ أية فكرة، ما إذا كانت القبلة سريعة أو طويلة. أحببتُ ذلك الجزء من دبلن بعدئذٍ وإلى الأبد، لأنه كان المكان الذي أغلقت فيه عينيّ على صورته التي كنت قد أبدعتها له، وكان الحمام يهبط على سطح مبنى الجمارك، وكأنه أزهار بيضاء، والحجارة القديمة للأدراج وفناءات المنازل تلمع في الظلام.

وبعد ذلك وضمن السيارة، تذوقت طعم لسانه، واكتشف كلانا ملامح وجه الآخر، بذات الطريقة التي تتعارف فيه الكلاب عندما تلتقي. وقال (إنك شهية بالنسبة لي) وبينما كنت أفكر بكل هذا، تطلعت بابا داخل توبي، لترى التلف الذي، أحدثته السيكارة، وكانت هناك بقع رمادية اللون وندبة، وقد احترق صدري.

(اصعدي وبدلّي ثوبك) قالت.

(تعالي اصعدي معي) لم أكن أريد، تركها مع يوجين. كنت تقريباً غيرى، من الطريقة التي تقول بها كلمة (تماماً) لكل كلمة ينطق بها، وتبتسم لكي تُظهر غمازتيها.

(لا. لن تظفري بذلك طوال حياتك) قالت، وهي تمسك بقبضة الباب، وترتّب قمة شعرها الأسود، قبل أن تعود وتدخل إلى الغرفة. كي تجلس إلى جانبه. وكانت تبدو سخيفة للرائي من الخلف، وهي مرتدية سترة الصوف المحبوك، من الخلف إلى الأمام، والأزرار التي تنحدر على ظهرها.

نثرتُ بعض النفثات من عطرها، في الطابق الأعلى، ومزيداً من البودرة، وارتديت ثوباً آخر.

وعندما هبطت كان جياني، جالساً خلف البيانو القديم، ويعزف على أصابع البيانو برقة، ويدمدم بشيء ما، وسط الحديث الذي كان، يجري في الغرفة. وكانت المائدة قد أزيحت إلى الوراء قريباً من النافذة. وقالت لي بابا أننا سوف نستمع إلى أغنية، ثم انحنت فوق زاوية البيانو، وبدأت تغني بصوتها الرشيق، والطفولي النديّ:

(أتمنى، أتمنى، غير أن أمنياتي

تذهب سدىً

أتمنى لو عدت طفلة مرة ثانية

وأنا أعرف أن ذلك لن

يحدث أبداً،

إلى أن ينمو التفاح

فوق شجرة صفصاف).

ويعدئذٍ وقبل أن نستطيع التصفيق، بدأت تغني أغنية ثانية، كانت جميلة وحزينة بشكلٍ لايصدق. وكانت الأغنية، تدور حول رجل، كان قد رأى فتاة في الغابات حيث مرابع طفولته، وخرج إلى فيافي العالم وما زالت تسيطر عليه صورتها. وكانت لازمة القرار:

(اذكريني! اذكريني طوال حياتك).

وقبل أن يتوقف صوت بابا المتهدج، كانت الكلمات، وكأنها تغني شيئًا ما، شديد الخصوصية بالنسبة لها. وقال يوجين، إنها غنت مثلما، يغني طائر غريد. ازرقّ وجهها قليلاً، ورفعت ردنيها إلى مافوق مرفقيها، لأن الغرفة كانت حارة. وبدا ذراعها العاري، مع زغب شعرها الذهبي، جميلاً وشهيًا، وهي تلقيه على جانب البيانو وتغمغم أنها تشعر بالحر. رأيته يتطلع إليها، وعرفت أن غناءها، سوف يخطر مرارًا في ذاكرته.

دخل غوستاف، وفتحت جوانا، زجاجة الخمر وصبت الشراب في الكؤوس، من أجل أن يستقر الشراب. وقد غنى فيما بعد / جياني/ و / بابا/ مناوبة وقالت بابا بعدئذٍ أنني يجب، أن أتلو أغنية بما أنني لا أستطيع الغناء.

(لا أستطيع) قلت.

(رجاء ياكيث!)

(هيا) قال يوجين. وغنى (جوني بالكاد عرفتك) بصوت حلو ولامبالٍ.

وتلوتُ الأم (لباتريك بيرسي)، وهي القصيدة الوحيدة التي أعرفها. كانت شديدة العاطفة بالنسبة لتلك الغرفة الصغيرة والحارة.

تلوتُ:

(ياإلهي، إن الفن لا أمهات له.

إننا نعاني لمجيئهم ورحيلهم).

غنت بابا وألقت شعراً ثم قالت بصوت عالٍ (وماذا عن علاوات الأطفال؟) ضحك الجميع عندئذٍ، وشعرت أنني غبية، وأظن أنه قال (برافو، برافو) وكرهته لأنه ضحك مع الآخرين.

غنت بابا مزيداً، من الأغنيات الأخرى، وكتب يوجين بعضها على ورقة، ووضعها في محفظة جيبه.

احمرّت وجنتا بابا، ليس من الروج ولكن من متعة السعادة.

(أنت منفعلة) قال لها، ووقف أمام النار، لكي يحميها من حرارتها.

هل هناك حب أكثر من هذا، إنه ليس رجلاً مهجوراً، وفكرّت بمرارة، وهو يقف أمام النار مبتسماً، ويتطلع إلى بابا. وكان الثنائي غوستاف وجوانا، قد انطلقا في الغناء من جديد.

كانت الليلة بالنسبة لي، طويلة ومخيبة للآمال، وعندما غادر حوالي الساعة الحادية عشرة، لم يقبّلنَي ولم يقل شيئًا خاصاً.

وحتى أثناء النوم، كنت قلقة بشأن فقدانه. وأول شيء تذكرته، عندما استيقظت أن بابا كانت تغني (حياتي القرمزية) والطريقة التي كان يبتسم بها، وهو يتطلع إليها. كان الجو بارداً، ولذلك نهضت ومازالت ثياب النوم عليّ، ثم قمت بارتداء ملابسي. كانت النافذة بيضاء، من جراء الصقيع الجليدي، والندف الثلجية المتناثرة، عالقة بإطار النافذة الأعلى.

ذهبت إلى العمل مبكرة، فاليوم هو السبت. يومنا الحاشد، وأردت أن تكون، رفوف الدكان، مليئة بالمواد التموينية.

(يا عزيزتي) قالت السيدة بورنز، وهي تراني أدخل، كانت قد خرجت لجلب النقانق، وبعض المواد الأخرى، من فترينة المواد اللحمية، على رف رخامي

خلف الحاجز الخشبي (الكاونت). وكنت ارتديت المعطف، الذي أعطاني إياه، وقد أعجبت به. قلت لها إن يوجين غاليرد، قد أعطاني إياه، وحدقت به وقالت (ماذا؟ ياإلهي!).

وخمنت بما كانت تود أن تقوله، حتى قبل أن تبدأ. كان رجلاً متزوجًا، ألقت تحذيرها، واللّه يعلم كم هو، عدد الفتيات، الصغار البريئات، اللواتي دمرّهن في طريقه.

فكرت، ليست هناك فتيات بريئات. هن جميعًا فتيات قرمزيات [1] مثل بابا، وتطفح عيونهن بالمكر والخداع. وسألت عما إذا كان متزوجًا حقًا.

قالت إنها قرأت، كل شيء، حول ذلك في الصحيفة قبل عام أو عامين. وتذكرت قراءة ذلك، في الوقت الذي، كانت ترقد فيه في المستشفى، بسبب جرح وريد لها، وأن المرأة في، السرير المجاور، لها قد، علقت عليه، وقالت إنها تعرفه، عندما كان يحجل وحذاؤه مثقوب.

(تزوج فتاة أميركية، كانت رسامة، أوممثلة أو شيئًا من هذا) قالت السيدة بورنز، وخلعت معطفي وتركته، يتكوم فوق أرض الدكان. كرهت المعطف حينذاك.

(واجب جيد أديته لك) قالت، وهي تمضي إلى الداخل، تحمل طبقًا من حلوى البودنغ، وبيضتين وبعض اللحوم.

أغلقت عيني، وشعرت بمعدتي تغوص، وتغوص إلى الأسفل. وذلك يوضح كل شيء: تحفظه، مدخراته، المنزل في الريف، وتلك القصص عن سواحل كاليفورنيا، المهجورة والمليئة، بعلب البيرة والبرتقال المتعفن، ووحدته.

كانت الذكريات الحزينة، تستدعي الواحدة الأخرى. وقفت بجانب المعطف

(١) إشارة مبطنة إلى بطلة رواية (ذات الحرف القرمزي).

الجديد المتهاوي، وتذكرت الليلة التي غرقت أمها فيها، وكيف تعلقت بأمل أحمق، بأن كل ذلك كان، مجرد غلطة، وأنها سوف تدخل إلى الغرفة، وتسأل الناس لماذا يفجعون، ويرتدون ثياب الحداد عليها. وصليت من أجل ألا يكون متزوجاً.

(ياإلهي أرجوك. اجعله غير متزوج) استجديت. ولكنني عرفت أن صلواتي كانت بلا أمل.

وملأت وبشكل آلي، الرفوف بعلب الأغراض، وأخرجت البيض، من الصندوق الخشبي، ونظفته بيضة، بيضة بخرقة رطبة. وضعت قطعة، من الخبز، فوق بقعة سوداء كنت أعرف أنها صعبة التنظيف، ثم قمت بتعداد دزينات، البيض النظيف، في الصناديق المقسمة، والتي كانت معلمة بلافتة (بيض بلدي طازج).

انكسرت بيضتان بين يديّ، انفلتتا من يدي بخفة، وكان ذلك أمراً غريباً. وكانت رائحة الفوسفور المنبعثة من البيض العفن، مرتبطة في ذهني بالفقر والبؤس.

في بعض الأحيان، أشعر أنني عنيفة، وأود أن أصرخ، إلا أن أسرة بورنز كانوا في المطبخ، ويأكلون السمك المقلي، ولايوجد شيء أستطيع فعله.

هاتفني في الساعة الحادية عشرة، كان المحل مزدحماً، والسيد بورنز وزوجته يقومان بتلبية طلبات الزبائن من خلف الحاجز.

بدا مرحاً، هتف يدعوني إلى منزله في اليوم التالي. وكان قد تحدث عن دعوتي، من قبل، مرة أو مرتين.

(أحب أن أقابل زوجتك، أمر غريب أنك لم تقل أنك متزوج) قلت.

(أنت لم تسأليني أبداً) قال. لم يعتذر. بدا صوته حاداً، وتخيلت أنه سوف يغلق سماعة الهاتف.

هل ترغبين بالمجيء غداً؟ سأل. وبدأت ساقاي ترتجفان. كنت أعرف أن الزبائن، كانوا يتطلعون إلى ظهري، ويسمعون إلى ما أقول. فقد اعتادوا أن يمزحوا معي بشأن الفتيان.

(لا أعرف، ربما، هل ستكون زوجتك موجودة؟).

(لا.) وسكت (ليست موجودة الآن)

(آه) وفجأة امتلأت بالأمل والنشوة العميقة.

(هي ليست ميتة، هل هناك احتمال لحدوث ذلك؟) سألت.

(كلا. هي في أمريكا).

سمعت قرقعة آلة الحساب، وراء ظهري، وعرفت أن السيدة بورنز، سوف تظل مقطبة طوال النهار، إذا ظللت مدة أطول، على الهاتف.

(يجب أن أذهب الآن، نحن مشغولون) قلت. وكان صوتي مرتفعًا وعصبيًا.

وقال أنني إذا أردت المجيء، فسوف يجيء، ليأخذني في الساعة التاسعة، صباح اليوم التالي.

(حسنًا، في الساعة التاسعة) قلت.

ووضع السماعة، قبل أن أضعها أنا.

وظللت أبكي طوال ذلك اليوم، أمام المغسلة وفي المرحاض، وفي جميع الأمكنة. هتفت / لتود ميد/ كي أسأله عن كل شيء يتعلق بالزواج، غير أنه لم يكن في مكتبه. ولذلك لم أعرف أي شيء في ذلك النهار.

* * *

الفصل الخامس

خرجت باكراً صباح الأحد، وكانت أجراس الكنيسة، في دبلن، تُقرع وتُسمع واضحة أصواتها، التي ينقلها الهواء النقي والصافي. وكان الناس الآخرون، في طريقهم لحضور القداس، في حين كنت ذاهبة لزيارته، في منزله الخاص. لم أشعر بالذنب لغيابي عن القداس، لأن الوقت كان مبكراً، ولأنني كنت قد غسلت شعري. كانت المدينة يجللها البياض، الذي خلّفه الصقيع، وبدا الطريق في أمكنة كثيرة، وكأنه مطبات تزحلق.

مضيت إلى الناصية كي أنتظره، لأن جوانا كانت قد هددّت، بإرسال غوستاف معي.

(أنت تحتاجين إلى، رفيق لحمايتك ورعايتك) قالت. وقالت إنه ليس صحيحاً، بالنسبة لي أن أكون وحيدة، مع رجل غريب في منزله. وقالت إنه قد يكون جاسوساً أو مجنوناً. دعته مجنوناً.

(إنني ذاهبة لوحدي، وقد قررّت ذلك) قلت. كنت أريد أن، أسمع قصة زواجه.

(لن يكون غوستاف في الطريق) قالت. كانت فعلاً قلقة عليّ. لمعت حذاء غوستاف، البني ووضعته بجانب النار، مع جراباته الخضراء، الطويلة والنظيفة، وهو يلبس جراباته وحذاءه دائماً، بجانب النار بعد أن يقوم بتدفئة قدميه.

(حسناً، إذن هكذا) قلت وخرجت من المنزل، بحجة أنني ذاهبة إلى القداس المبكّر.

تأخر يوجين عشرة دقائق، كان يمشي ببطء، ووجه أصفر، وبدا الأمر وكأنه يعاني من، نقص في النوم. تطلع إليّ فقط وغمر وجهي مرحبًا.

(ياإلهي) قال مشيراً، إلى قبعة القش العريضة، التي كنت أعتمرها، كانت قبعة صيفية حقيقية، وعليها رسومات لبراعم وردية من الشمع.

(تبدين كعروس شابة، في مثل هذه القبعة) قال مبتسماً وهو يتطلع إليها. وظننت أنه يستهجن القبعة، وكان شعري الطويل، والنظيف واللامع، ينسدل فوق كتفيّ، إضافة إلى أنني وضعت قليلاً، من البودرة البيضاء على وجهي. أخبرته عن غوستاف الذي أراد المجيء معنا، غير أنه ابتسم فقط. وشعرت أن الابتسامة كانت لها، مسحة استفهام واستغراب، إذا كان يجب أن أجلب شخصاً مابعد ذلك. وتلوت صلاة إلى ملاكي الحارس ليحميني:

ياملاكي الإلهي، ياحارسي العزيز

إلى الإله الذي يغمرني بحبه الآن

كن اليوم إلى جانبي،

كي تضيء لي الدرب وتحرسني،

وتقودني عبر الاستقامة.

مادمت ملتزمة بعهدك

وسألني فيما إذا تناولت إفطاري، وأجبت بالنفي. وكنت متشوقة إلى الأكل. ثم مد جذعه إلى المقعد الخلفي، وتناول وشاحًا صوفيًا، ولفه حولي. وربط عقدة ناعمة، تحت ذقني، وقبّلني قبل أن ننطلق.

مررنا عبر المدينة بسيارته، ثم تجاوزنا الضواحي، وبعد ذلك سرنا في طريق، عريض وطويل، تحف الأشجار جانبيه، كنا أحيانًا نمر في قرية، أو بيوت مجمعة، وأسواق. إلى أن مررنا بالقرب من محطة بنزين، ثم كنيسة صغيرة.

(أنا أذهب عادة إلى القداس) قلت ونحن نبطئ من سيرنا في السيارة، كي ندع الناس يخرجون، من بوابات الكنيسة ليعبروا الطريق.

(لديّ قليل من صور الغفران المسيحي، وطلبات حرمان كنسي في المنزل. يمكن أن تنشطك) قال. وضحكت وأشرت إلى مدى جمال الريف. كانت الغيوم تتناثر، وكأنها أجنحة في السماء الفضية، لم أكن قد ذهبت، إلى الريف خلال شهور، منذ أن كنت في البيت، خلال الصيف الماضي. وفكرت بعمتي وبوالدي، يقرآن صحيفة الأحد وينالان قسطًا طويلاً من النوم، بعد غداء الأحد. كانت عمتي ترعى والدي، وهما يعيشان في منزلنا القديم، ويشغلان غرفة أو غرفتين، من الغرف الكبيرة الرطبة.

(هل تشعرين بوشيش في أذنيك؟) سألني ونحن نصعد، تلاً صخريًا طويلاً، نحو أرض جبلية جرداء، كانت الأرض خالية من الأشجار، ولم يكن إلا بضع شجيرات من نبات الوزال، وصخور الغرانيت. وكان قطيع غنم يرعى، بين الصخور الرخامية، وشعرت بأن أذنيّ توشان كما قال. وصلنا إلى منزله حوالي الساعة الحادية عشرة، وكان الصقيع قد تلاشى عندئذٍ، وكان السياج الشجري من نبات الغار، شديد الخضرة أما المنزل، فكان أبيض، وله درفات نوافذ من الطراز الفرنسي، وتحيط به الأشجار.

ركض نحونا كلب رعاة ضخم، وفتحت / آنا/ الباب. كنت قد سمعت عنها، فهي ترعاه بطريقة فوضوية، وتعيش في طابق أرضي، خلف المنزل وكانت متزوجة ولها طفل.

(حسنًا، وأخيرًا وبعد طول انتظار) قالت ونغمة استهجان تعلو لهجتها.

(مرحبًا آنا) وأعطاها اللفائف، من السيارة، ثم قدّمني إليها. كانت هناك شرائح لحم من الأضلاع، ورأس خاروف من أجل الكلب، وزجاجة من الجن وقطر ميز قهوة جديد.

(هذا كثير) قالت. كانت امرأة شديدة الهزال، ولها وجه دهني، وشعر طويل ينسدل على ظهرها. بدت وكأنها نعسانة، أو أنها تجر نفسها، أو شيئًا من هذا القبيل.

وعلى الرغم من أن، الفصل كان شتاء. إلا أن الأزهار، كانت متفتحة، ومتناثرة هنا وهناك، بين أكوام الحجارة. شعرت بأنه كان مشوقًا، من أجل أن أرى منزله، وكان يغمغم ونحن، نرقى الدرجات الحجرية، نحو الباب.

كانت الصالة الأمامية نظيفة، وبرآقة ومدهونة، بطلاء أصفر شاحب، أما الأثاث فهو من الطراز القديم، ومطلي باللون الأسود، وكانت هناك خزانة من الطراز الصيني مليئة بالعصي التي يحملها الإنسان أثناء سيره.

(يشقى الشيطان في تنظيفه) قالت آنا، وهي تشق طريقها نحو المطبخ، وحالما دخلنا من باب إحدى الغرف، سمعنا زوجها يخرج من غرفة ثانية وقالت: (إنه رجل خجول).

(والآن ألست سعيدة لأنك جئت؟) سألني يوجين، عندما مضت آنا إلى، المزرعة لاحضار وعاء من الزبدة، ثم قام بصنع القهوة.

(نعم. إنها جميلة) قلت وأنا أتطلع حولي، إلى المطبخ الكبير، والمبني بالحجارة. وكانت الطناجر والقدور، معلقة على الجدران عاليًا، ويبدو أنها لم تستخدم لسنوات طويلة. وكانت أكوام صغيرة من الحطب، مصفوفة كي تنشف، في إحدى الزوايا، بينما كان الإبريق يغلي، ويصدر صوت صفيره المألوف، كان مطبخًا جميلاً.

ارتدى سترة قديمة، ومضى خارجًا لجلب بعض الحطب، وفي ذات الوقت، قالت، قالت آنا إن / دنيس/ قد خرج لعمله النهاري، من أجل أن يحصي الغنم،

ويصلح السياج. رغبت في أن ألحق بيوجين، غير أنها سحبت كرسياً إلى قرب النار من أجلي، وهكذا جلست وتحدثت إليها، بينما كانت تقطع الملفوف على طاولة المطبخ الكبيرة. بدت امرأة قذرة، في تنورتها القطنية السوداء، وسترتها الكالحة، التي امحت ألوانها. كانت تعتمر قبعة رجالية، وتغرز ريشة بطة، في الشريط الأسمر الذي، يلتف حول القبعة.

(هل أنت ممثلة؟) سألتني عندما أصبحنا وحيدتين.

(كلا).

(إنه يعرف كثيراً من الممثلات).

وصبت لنفسها قليلاً، من شراب الجن، من الزجاجة التي جلبها يوجين، وقالت لي إنها ليست خادمة حقيقية، ويجب ألا أفكر بذلك. قالت عن نفسها إنها وكيلة، وهي تشير برأسها إلى المبنى الخلفي، حيث يقع بيتها، الذي ينام ابنها فيه. كان لها طفل عمره تسعة أشهر، تحدثت عن ذاتها وعن زوجها.

(المرأة الوحيدة التي، اتقد قلبه بحبها، كانت هي السيدة غالارد لاورا) قالت وهي، تتطلع إلى عيني. كانت عيناها لامعتين، تخالطهما نظرة خبيثة.

((إن لديه حجراً أزرق، صغيراً في الطابق الأعلى، ويحتفظ به من أجلها. وقد وجده في الخارج، في الجبل).

وتحدثت عن الأيام العظيمة، والحفلات الكبيرة، التي شهدتها في أيام لاورا. وتخليت الغرف الأمامية، وهي مليئة بالناس، والشموع فوق الموائد الضخمة، من خشب الماهوغاني، والقناديل المعلقة، فوق أغصان الأشجار. لم أكن أصدّق تماماً بأن لاورا موجودة، حتى ذلك الحين. غير أنني بت أومن بحقيقة ذلك الآن.

لأن آنا قالت (كانت لاورا رياضية كبيرة، وتحب الحياة، كان لديها معطف فراء كبير، ولها سيارتها الخاصة، وكل شيء. إن المكان الآن مثل باحة كنيسة) وصبت دفعة جديدة، من شراب الجن لنفسها، عصرت فيه قليلاً من الليمون.

كانت قد توفرت لديها، قطع عديدة، من الملفوف، فرمتها في وعاء الطبخ، ثم بدأت تضع بعضها الآخر بواسطة طرف السكين التي كانت بيدها.

وجرّ يوجين، عربة ملأى، بالحطب داخل المطبخ، في حين، اعتذرت آنا بأن لديها، بعض الأعمال في الطابق الأعلى، يجب أن تنجزها.

(هل شربت؟) سأل. كانت زجاجة الجن، على الطاولة، وبجانبها الليمونة المقطوعة. تناول الزجاجة وأبعدها، وأخبرني عن، الطاقة الكهربائية الجديدة، التي يجب أن أراها. كان قد انتهى لتوه، من تكسير الحطب. كنت أستطيع رؤية، العقد العنبرية في القطع، وأن أشم رائحة الخشب الطازجة.

(ذلك أمر حسن) قلت، رغم أن الأمور الآلية، تسبب ضجراً لي. تناهز على، رؤوس أصابع قدميه، وقبلني، وسألني عما إذا كان، هناك شيء ما يقلقني، لأن وجهي بدا متوترا.

(هل كانت تروي لك الملاحم الطويلة؟) سألني.

وهززت برأسي أن نعم.

(لاتصدقي أية كلمة، مما قالت، إنها تخترع حكاية جميلة كبيرة، هل أخبرتك بأنه، كان لدينا سيارة رولز رويس وساقي؟)

هززت برأسي ثانية مؤمنة، وابتسمت لرؤية، خصلة شاردة من شعره، انسدلت فوق أذنه. كان يعتمر قبعته بطريقة جانبية، وبدا شاحب الوجه، في سترته القديمة تلك.

(سأحدثك عن ذلك فيما بعد) قال وكنت متشوقة جداً، لكي يحدثني

بذلك، وكنت أرغب بصورة عميقة، أن أعرف كل شيء، ولذلك فإن / آنا/ لم تفاجئني، بأي شيء جديد.

تناولنا طعام الغداء، على مائدة صغيرة، مستديرة في غرفة الجلوس، وكان الوقت متأخراً. وكانت آنا قد احتست، بخفة كثيراً من شراب الجن، ولم تضع الفواكه على المائدة، إلا في الساعة الثانية.

(يجب أن تحرث صخور باون) همهمت، وهي تدخل حاملة الصحون. كانت لاتزال تعتمر الطاقية الرجالية، مما جعلني أتساءل، عما إذا كانت تلك عادة لديها، كان لحم الخنزير المقدد، بشكل شرائح على صحوننا، وكانت تحمل حبات بطاطا، ينبعث البخار منها.

(لحم خنزير جيد) وغمزته، فابتسم وهو ينظر، إلى وجهها الكالح. كانت قد ظللت ماتحت عينيها، بلمسات من اللون البنفسجي، ولكنها لم تحسّن من مظهرها، لأن دوائرسوداء، كانت تحت عينيها. قال إنها قد، استخدمت كل مساحيق التجميل، التي تركتها المرأة وراءها. وكان نادراً ما يذكر لاورا باسمها.

(هل بإمكانك أن تكوني معاونة في ميدان الرماية هذا؟) قال ضاحكًا، وأنا أتطلع في نواحي الغرفة معجبة بها. كانت الجدران، مطلية باللون الأزرق الفاتح، لم تكن هناك ستائر، على النوافذ ذات الطراز الفرنسي (كانت الأباجورات مفتوحة إلى الجانبين) وكان الضوء ينساب، إلى داخل الغرفة، وبشكل بهي، وكان المرء يستطيع رؤية الثياب، التي تركتها آنا متناثرة فوق، قطع الأثاث الأسود، والغبار يغطيها. وكان المنظر من، خلال النافذة يبدو ساحراً. كان يرتمي خلف السياج، سهل أمامي منبسط، ومن ورائه تبدأ الغابة، بأشجارها السامقة التي، تسمح من خلال فجواتها، برؤية الوادي وحوافيه الحالمة. قال إن الوادي مليء بأشجار الصنوبر، وأشار إلى أننا، سوف نذهب للتفرج، هناك بعد الغداء، غير أنني لم أود الذهاب، وخربت الحلم الجميل.

(قولي لي أي نوع من الأكل تحبين؟) سألني وهو، يضع الزبدة، على قطعة من الملفوف، ويمرّر لي حنجور الخردل. ونحن في المنزل، كنا دائماً نخلط الخردل مع البيض.

(أنا أحب كل شيء).

(أي شيء؟) سألني والحيرة، تطفح على وجهه.

وشعرت بالحزن بعدئذٍ، لأنني لم أتظاهر، بأن لي ذوقًا ما. تحدث عن عمله، كان قد أنهى لتوه، نص فيلم سينمائي يدور حول جياع العالم. وكان قد سافر حول العالم، إلى الهند، الصين، صقلية، إفريقيا لجمع معلومات حول ذلك. وعلى مكتبه، كانت صور المدن المتدهورة، والضواحي بالأطفال الجائعين، أمام أبواب أكواخهم. وبمجرد مشاهدتي لهم شعرت بالجوع.

(البنغال، هونولولو، تنجنيقا) وكنت أردّد الأسماء بعده، بصوت حالم، ذاكراً المدن التي أقام فيها، ولم تكن لديّ أية فكرة، عن تلك الأماكن وأين تقع.

(هل قمت بإخراج أفلام عديدة؟) سألته.

(لا. قمت بعمل أفلام، قليلة غريبة. قمت بعمل، أعتقد أنك ستحبينه، ويدور حول طفل من شعب نيوزيلندا الأصلي).

(وهل اسمك مكتوب على الشاشة؟) كنت متشوقة لكي أكون قادرة على إخبار عمتي بذلك.

(إنه مكتوب بأحرف صغيرة) مشيراً إلى حجم الكتابة، بواسطة الإبهام والسبابة المتباعدين قليلاً. (ولا أحد يقرأ ذلك إلا نادراً، قمت بعمل فيلم في هوليود، فيلم عاطفي، واشتريت هذا البيت، من أرباح ذلك الفيلم).

لابد أن ذلك كان في فترة / لاورا/ ، هكذا خمنّت، بينما استطرد يتحدث، عن فيلم جديد أخرجه بالعمل على آلة المافيولا، وانتهى من عمل المونتاج له.

(المونتاج؟)

(نعم. سوف ترين ذلك. طريقة مثيرة).

تطلعت إليه، ورأيت أنه، جاد تماماً. وأدركت أنني لا أستطيع، إخبار عمتي أبداً عنه الآن.

(إنها أفلام جميلة وساحرة، واعتدت أن أفكر بحياتي، كحياة فاشلة، لاهدف لها، إلى أن كبرت وأصبحت مدركاً للأمور. إنني الآن أعرف، أن مشكلة الحياة لاتحل بالنجاح، بل بالفشل: النضال والإنجاز والفشل، وهكذا دواليك) قال الكلمات الأخيرة، وكأنه يهمس بها لنفسه.

وذكرني بما قاله، بفيلم كنت رأيته يدور حول سلحفاة، وضعت بيضها على الرمال، ثم عادت تشق طريقها نحو البحر، وهي تزعق من الإرهاق.

(أحب أن أشاهد بعضاً من أفلامك) قلت.

(سوف ترين) ولكنه لم يخطط، من أجل ذلك. كان هناك سرير، في الغرفة وعليه شرشف. قال إنه قد جُلب من الطابق الأعلى، مرة عندما كان شخص ما مريضاً. غير أنه لم يقل من هو.

وخرجنا في نزهة، واستطعت أن أشاهد الغابة، قبل أن تغيب الشمس. أعارني معطفاً مطرياً وله ياقة من الفرو، وحذاء من ماركة ويلنغتون، كانا موضوعين تحت الدرج. قلّبت الحذاء قبل أن أحتذيه، لأنني ذات مرة وجدت فأراً ميتاً، في حذائي، وفي هذه المرة، سقطت بعض حبوب، من القمح من داخل الحذاء.

(هل كل شيء على مايرام؟) سأل.

(تماماً، أشكرك) كان الحذاء ضيقاً قليلاً. لابد أنها كانت تملك، قدمين أصغر من قدميّ، و / بابا/ تقول دائماً إنني ربما أملك قدمين، أكبر من قدميّ، أية فتاة في إيرلندا.

صعدنا إلى الغابة، التي تقع خلف المنزل، ثم توجهنا إلى مظلة لنحتمي، من زخة من مطر الضباب. كانت توجد جميع أنواع الأشجار، وكانت الأرض لزجة بركامات أوراق الأشجار. وقال إن الفطر الأحمر، والأرجواني، ينموان في الغابة، خلال فصل الصيف. كان الجو هادئًا جداً، ماعدا هسيس المطر، ووقع خطانا التي، كانت أوراق الأشجار تتكسر تحتها. ورغم أن الفصل كان شتاء، إلا أن الغابة كانت خضراء، وتوفّر حماية، وكانت هناك أشجار عديدة وكبيرة، تشكّل رافداً جيداً لأشجار عيد الميلاد.

(هكذا إذن، لقد سمعت أنني متزوج) قال وأنا أتأمل، معجبة بثمر العليق.

(نعم، لقد أخبرتني زوجة رئيس العمال).

ابتسم وبدا على الأرجح مزهواً، لأن يعرف شخص ماحياته الخاصة.

(وهل تعتقدين أن هذا شيء سيئ جداً؟)

(كلا!) قلت، وظللت أحدّق أمامي، إلى شجرة بلوط، ترتفع شاهقًا على ساقين بدتا، وكأنهما ساقاعملاق. وتابع:

(نعم، لقد تزوجت فتاة أميركية، عندما كنت هناك. كانت فتاة جميلة، وشديدة الحضور، في شخصيتها وإنسانية، ولكن بعد عدة سنوات، لم تعد تهتم بي أبداً، لم أكن مسلياً، فتاة ثرية، منحتها الظروف امتيازات، وتربّت على أساس أساس أن تعتقد، أنها من شريحة خاصة، وتبدّل الزوج غير المريح، ربما مثلما تبدّل قميصها، وهي تعتقد أن السعادة من حقها).

(إنها تستحق الشفقة) قلت. وكان من الغباء أن أقول ذلك. وخفت أن أبكي لذلك قلت شيئاً ما.

(كانت رسّامة فاشلة، عشنا في هوليود في كوخ- منزل جدرانه من الجص، وكانت رخيصة خلال الأعوام القليلة الماضية) قال بطريقة جانبية، وكأنه يوجّه

الحديث إلى، الشجرة التي كانت بقربنا. (كانت اللوحات ذات السماوات الزرق، التي ترسمها تصيبني بالجنون تقريباً. وهكذا يفعل الناس، هاي جو، هاي آل، أيها الفن! وجئنا إلى إيرلندا، واشتريت هذا المنزل. كانت لديّ دائماً نقود من فيلم صنعته، وكان لديها دخل. كانت قد ذهبت إلى المدرسة، بسيارة رولز، لها طاسات ذهبية، وكانت تكره الجميع).

وكان يخيل لي، أحيانًا أنه كان فخوراً وبصورة سرية لهذا، رغم أنه لم يكن يدرك ذلك.

(كانت لديها خطط كبيرة) قال (صيد، ورماية، واعتقدت أنها يمكن، أن تدعو مخرجي الأفلام والكتّاب. وفعلنا ذلك، ولكنهم لم يأتوا. وتوالت الأمور وعاودني مرض الروماتيزم) وحرك عنقه بقوة، وكما لو أن مرض الروماتيزم، ينتظره دائمًا للانقضاض عليه (ولبستُ ثيابًا داخلية طويلة)، وعلتْ وجهي إمارات الأسى والاكتئاب، (وقالت إن لديّ اتجاهات إقطاعية، نحو النساء لأنني، تركتها تحمل الحطب لموقد النار، ورحلتْ ذات يوم، عندما كنت في الخارج أخزّن الحشيش مع / دنيس/ . كانت هناك رسالة على الطاولة و) وتوقف متراجعاً عما كان قد نوى أن يقوله.

(أنا آسفة) قلت. وكنت حقًا أشعر بالأسف.

(آه. أشكرك) وابتسم، ومد يده ليقبض على حبات المطر، التي كانت تتساقط من على الأشجار. كانت المرة الأولى التي يبدو فيها خجلاً أو مضطربًا.

وانعكست ظلال الأوراق الخضراء، فوق بشرته الشاحبة، وهكذا بدا مخضرّاً قليلاً ومعتلاً، وأحببت أن أطوقّة بذراعيّ، وأن أواسيه. وتابعنا سيرنا.

وفي وسط الغابة، ارتقى مرتفعًا عشبيًا، وشدني عاليًا باليد كي يريني المنظر.

(آه) قال، وهو يتنفس الهواء، في سكون المكان العجيب.

(يجب ألا تكوني قلقة حول كوني متزوجًا).

(أنا لست قلقة) قلت كاذبة.

(سوف أخبرك عن ذلك فيما بعد) قال (أنا لا أتحدث حول، بعض الأمور بسهولة. الخطيئة والفشل هما موضوعان مؤلمان، وكلما تقدمت في السن، حاولي أن تبعديهما عن فكرك).

ارتجفت قليلاً، لا أعرف لماذا، وطوّقني بذراعه، معتقداً أنني كنت مصابة بدوار بسبب، وقوفي في مثل ذلك الارتفاع.

وكانت تحتنا أغنام، ترعى العشب اليابس المصفر، والذي كان يمتد حتى أسفل الجبل. وكانت بعض مساحات من نبات الوزال محروقة، وفي ظل الضوء الشاحب، كانت أغصان ذلك النبات تبدو، مثل هياكل من الأشباح. وقد ولّد المشهد اليأس في جوانحي.

(وكان ذلك هو السبب، في أنني لم أحب، أن أتورّط معك منذ البداية) قال بهدوء.

(عرفت الآن) قلت، والتفت بحدة، ليرى ما إذا كنت أبكي، أو أقوم بشيء ما.

ثم ابتسم وهو يتطلّع إليّ (إنك فتاة برية، كان يجب أن تعيشي في وسط مفتوح).

فكّرت بحقلنا الأمامي، في المنزل المليء ببحيرات، من الماء الموحل، والذي كان يحيط بجذوع الأشجار، وشعرت بكآبة.

(إن لك هيئة صوفية تبدو على وجهك) قلتُ.

كانت تعابير وجهه الشاحب، قد علتها الدهشة، ثم انفجر ضاحكًا، وسألني

من أين عثرت على، مثل تلك الكلمة. وتيقنت أنها كانت ليست في محلها، غير أنني قرأتها، في كتاب ما، وأحببت نغمتها.

(فتاتي العزيزة، يجب أن تتوقفي، عن قراءة الكتب) وتناول يدي، وانحدرنا راكضين أسفل المنحدر، وعدنا إلى الغابة. تفرجنا على مستنبت لأشجار الصنوبر الصغيرة، التي وضعها قبل مدة قليلة، وكان سياج من الشريط الشائك يحيط بمكانها، لكي يبعد عنها الفئران والغزلان. ومد يده وكأنه يريد، أن يلامس قمم تلك الأشجار، وقال يجب أن يزرع شجرة بمناسبة قدومي. وتساءلت فيما إذا كان، قد زرع أشجاراً لزوجته، وفيما إذا كان مايزال يحبها.

وخرجت آنا وزوجها بعد تناول الشاي للعب الورق، وأخذا معهما طفلهما، ورغم أن يوجين قال إنها سوف تصاب بذات الرئة.

شعرت بالقلق لأنني وحيدة معه، في ذلك المنزل الكبير، أضاء مصباحين، وأرخى الستائر في غرفة الجلوس، وقال (دعينا نسمع قليلاً من الموسيقى).

كانت توجد، أكوام قليلة من الاسطوانات، على أرض الغرفة، وتناثر الكتب في كل مكان، وفاجأتني قرون وعول، معلقة على أحد الجدران، وقال إن المالك السابق، الذي كان ماهراً، في الذبح قد خلّف وراءه آثاراً عن ذاته- قرون ورؤوس، وجلود مجففة ممدودة على أرض الغرفة. وصدحت الموسيقى في أرجاء الغرفة، وكان يدور في الغرفة، يرافق الموسيقى، بإيقاعات من أصابعه، ويسكت ليرى ما إذا كنت أُحبُّ ذلك. كان الصمت يرين على الغرفة.

(حسنًا، وما هو رأيك بهذا؟ وبماذا تذكّرك؟) طرح السؤال، عندما توقفت الأسطوانة، عن الدوران. إنها موسيقى تذكّرني بالطيور، مشكلة حرف ٧ في كبد السماء.

(تذكّرني بالطيور)

(طيور) ولم يكن يعرف ماذا كنت أقصد، وذلك وضع اسطوانة أخرى، وبدت شبيهة بالسابقة.

(مزيد من الطيور؟) سألني ضاحكًا، وهززت برأسي أن نعم. وأظن أنه كان خائب الأمل، لأنه لم يضع أية اسطوانة أخرى في تلك الليلة.

(دعينا نتمتع برؤية النار في الطابق الأعلى) قال، غير أنني لم أكن، أحب الصعود إلى هناك. خفت أن يكون ذلك، ربما خطة كي يستدرجني، إلى غرفة نومه. كان قد أشعل النار، هناك في وقت أبكر، بسبب الرطوبة فوق إطار المصطلى كما قال.

(سوف أجلس هنا) قلت وهو يخرج حاملاً مصباحًا، وشمعة جديدة غير مضاءة. نظرت إلى مكتبه، محاولة استطلاع أي شيء عنه. كان عليه ركام مبعثر من الأوراق والرسائل، وأغلفة بريد جوي، وأكياس صغيرة من بذور الأزهار، ودبابيس نحاسية في، حنجور زجاجي، كان بالأصل يحتوي المربى، ومنافض سجائر عليها رسومات هزلية.

(هل تستطيعين إحضار الوسائد إلى فوق؟) ناداني من فوق وأنا في الطابق الأرضي.

كانت النار في غرفة النوم مشتعلة، كانت غرفة واسعة، وبها سرير مزدوج، وأثاث من خشب المهاغوني الأسود، كانت هناك، وأربع وسائد على السرير، وسادتان على كل جانب وقد وقع نظري عليها!

(حسنًا، أنام أحيانًا على جانب واحد، وأحيانًا أنام على الجانب الآخر، إن في ذلك تبديلاً) قال وهو يحاول تشتيت أفكاري.

(امكثي) قال وهو يربّت الوسائد، وينفض الغبار، عن صورة امرأة عارية، فوق الموقد تستلقي على جنبها.

(يجب أن أهبط) قلت محاولة، أن أبدو لامبالية، فامرأة عارية لم تكن شيئًا ذا بال، وهي تحدّق إليه، في كلة ليلة وهو في سريره، وثارت دفقة من الدخان المنبعث من المدفأة (شمينيه) بوجهه وجعلته يسعل.

(من فضلك هل تستطيعين فتح النافذة؟) سألو ونوبة السعال تكاد تأخذ أنفاسه. كانت النافذة قاسية ولذلك كان يجب عليّ أن أشدها مراراً، وانفتحت النافذة، وفجأة هبت دفقة مفاجئة، من الهواء أطفأت الشمعة.

(يجب أن أذهب إلى المنزل الآن. إن الساعة هي الثامنة) قلت بصوت، تعلوه رنة عصبية خفيفة وأنا أتوجه نحو الباب.

(اذهبي) قال (ولكن يافتاتي العزيزة، فإنني لم أقم، بإغوانك حتى الآن!) ضحك، وفكّرته بصورته التي بدت لي كصورة راهب، وأنا في الطابق الأرضي. أمسكت بأكرة الباب / وكانت الريح قد أغلقت الباب/ ولكنني لم أستطع تدويرها. أصبحت يداي بلا حول. أعاد إشعال الشمعة، ووقف هناك بالقرب، من المصطلى وهو يحمل الشمعة.

قال (كفّي عن الارتعاش) ثم أضاف إنه لايوجد، أي شيء لكي أخاف منه، وأنه كان يمزح. وتأكدت أنني كنت حمقاء وبدأت أبكي.

(اهدئي! اهدئي!) قال وهو يقترب مني، ويهدأني (إنك فتاة سخيفة)، وانحنى وقبّل فمي الرطب، برقة لم يقبلني بها من قبل.

هبطنا إلى الطابق الأرضي وقام بصنع الشاي، وتحدثنا ثم قال، إنه يجب أن يرافقني إلى البيت. سرّحت شعري الذي تبعثر عندما قبّلني.

في الخارج، كانت النجوم تبرق، من خلال السحب، وقد نشفت الأرض قليلاً، وكانت أشجار الصنوبر ساكنة وجميلة جداً. وتحت ضوء القمر استدرت إليه، لأقول إنني لم أكن، أحب أن أرحل مبكّرة هكذا. بدا المكان ساحراً، وسط

خفّض من ضوء القنديل، وجثمت الاسطوانة الأخيرة على آلة الغرامافون ساكنة.

(أكره أن أذهب الآن) قلت، غير أننا كنا قد، ارتدينا معطفينا، وكان قد طلب السيارة إلى أمام المنزل. وقال إنه على أية حال، يجب علينا أن نقود السيارة، ببطء بسبب الجليد، كما أشارت نشرة أخبار الساعة التاسعة.

(هيا! لنعد إلى القرية) قال. وكانت عبارة تعوّد، أن يقولها وهو يعيدني، إلى منزلي.

* * *

الفصل السادس

وذهبت في معظم أيام الأحد إلى هناك بعد ذلك، وذات ليلة أحد قرّرت أن أبقى.

نمت في غرفة الضيوف، حيث تم طلاء، خشب أرض الغرفة، وكل الأمتعة الخشبية من جديد، وكان كل شيء تعلوه لزوجة خفيفة.

في الواقع لم أنم، ظللت أفكّر فيه، كنت أستطيع سماعه، يصفر في الطابق الأرضي، ويجول إلى ما بعد الساعة الثالثة. كان قد ترك لي مجلة لكي أقرأها. وكانت تشتمل على، كثير من الرسومات، أناس بأنوف ناتئة، وبيوت سلالم خارجة من آذانهم، ورسومات لم أفهمها. وأبقيت الضوء مضاءً، لأن / آنا/ قالت إن امرأة، قد ماتت في تلك الغرفة، قبل فترة قصيرة من شراء يوجين للمنزل، وكانت زوجةً لكولونيل، وتتناول حبوب القمعية (١).

وظللّت إلى ماقبل الصباح، أغفو فترات قصيرة، ولكن جرس الساعة المنبه، انطلق في تمام الساعة السابعة، وكان يجب عليّ النهوض، من أجل عودتي إلى العمل.

(هل نمت؟) سأل. وتقابلنا على الدرج، ونحن هابطين، وتثاءب وتظاهر بأنه يترنح.

(كلا. لم أنم جيدًا) أجبتُ.

(هراء. أليس كذلك؟ شخصان في، جناحين متقابلين، في المنزل يتمددان مستيقظين!)

(في المرة القادمة، سوف نحافظ على رفقتنا، ونضع حاجزاً في السرير بيننا.

---

(١) القمعية عشب ذو زهر ناقوس وهي منبّهة للقلب.

ألا نفعل ذلك؟) سأل وهو يقبّلني. حدّقت بدهشة. فقد تربيت على، الاعتقاد بذلك، كشيء لايشار إليه، إلى امرأة يجب عليها، أن تتظاهر بالحب، إرضاء لزوج.

أحضر دثاراً لركبتيّ، ودورق شاي، شربته وأنا في السيارة، حيث لم يكن يتسع لنا، الوقت لتناول طعام الفطور.

في الأحد التالي بقيت. وظللت أمضي إلى غرفتي، لم أرغب في، النوم في سريره، الذي وضعه بتردد، ولكنني حقيقة كنت خائفة. وصباح اليوم التالي، وباكراً طرق باب غرفتي، ونهضت عندما استيقظت، وخرجنا للتنزه عبر الغابة.

هناك لحظات في حياتنا، لانستطيع نسيانها أبداً، أتذكر ذلك اليوم الباكر، والأغصان البيضاء لأشجار البتولا، في الضباب المبكر، ثم شروق الشمس، من خلف الجبل، في منظر بهي، ورائع وكأنه اليوم الأول من، خليقة الكون. أتذكّر الصفاء المفاجئ، لكل شيء، والضوء الذي، كانت تشعه الشمس، من خلال الضباب، والندى يتساقط، والأعشاب تتمايل بخضرتها البهية. والحرارة تبعث الحياة بكل ما يحيط بنا.

(أتمنى لو نظل سوية) قال، ويده تحيط عنقي.

(هل يمكن أن نستمر؟) سألت.

(يبدو الأمر الآن طبيعياً. أمر حتميّ جداً. أنا لم أعانق إنساناً، في المقاعد الخلفية من السيارة أبداً. إن ذلك يجلدني وأحس وكأنني مريض).

(مقبّلاً أو معانقاً) كما سمّى الأمر، وقد لاءمني ذلك كثيراً، غير أنني لم أستطع، أن أقول له ذلك. ولكنني استطعت إرجاء ذلك حتى عيد الميلاد.

دعا بابا، وجوانا، وغوستاف، لحضور عشاء، بمناسبة عيد الميلاد. ولذلك كان يجب أن أشعر بالراحة والاطمئنان، في حين أن أصدقاءه أخافوني، إن لم

أقل، بعثوا الرعب في أوصالي. كانوا في معظمهم أناسًا من بلدان أخرى، وتبادلوا النكات المبهمة، وشعرت أنهم ينظرون، إليّ، كنوع ما، يثير حب الاطلاع، جُلب من أجل إثارة السرور والمتعة.

كان عشاء مفرحًا، بالشموع الحمراء، على طول المائدة، والهدايا للجميع فوق، شجرة عيد الميلاد كانت جوانا في الجو المناسب لها، نالت إطاراً قديمًا، مطليًا بالذهب من أجل الصورة، وبعض جذوع الأشجار، من أجل الحامل الناري، في غرفة الطعام. رقصت بابا مع يوجين، بعد العشاء على موسيقى الغرامفون، وشرب الجميع كثيراً.

في منتصف الليل، ذهب الضيوف، إلى بيوتهم، ولكنني بقيت. بدا الأمر محترمًا تمامًا، لأن والدة يوجين كانت أيضًا قد بقيت. كانت امرأة ضئيلة الحجم، محبة للجدال قليلاً، لها وجه كثير التجاعيد، وجبهة كبيرة مثله، وكانت تسعل كثيراً.

وساعدها يوجين، في الصعود إلى، الطابق الأعلى، إلى غرفة الضيوف (الغرفة التي أنام فيها عادة) وجلب كمية من الويسكي الحار، ووعاء صغيراً، من أجل تنظيف أسنانها. ثم هبط وأكلنا بعض اللحم، من ديك رومي، وبسكويتا هشا ممسوحًا بالكريما.

(بالكاد رأيتك طوال النهار، وقد بدوت جميلة، أثناء تناول العشاء) قال ونحن نجلس على، بساط من جلود الغنم، أمام النار نأكل. قرأ لي، قصائد من شعر لوركا، لم أفهمها، ولكنه قرأ بصورة جيدة. أراد مني أن أقرأ، غير أنني شعرت بالخجل، أحيانًا أغدو خجلة جدًا، خلال صحبته. وأصبح خدي المواجه للنار، دافئًا جدًا. ولذلك نزعت، الأقراط الحمراء من أذني. رفع عينيه عن الكتاب، ورأى شحمة أذني الحمراء، من جراء الدفء وعليها آثار فص القرط

الرخيص وتنهد.

(يمكن أن تصاب أذناك بالتهاب وعفن) قال، وهو يعاين الأقراط الحمراء التي، كنت قد اشتريتها مساء عيد الميلاد، كي أبدو فاتنة في عينيه.

(مصنوعة في هونغ كونغ) قال، وهو يرميها في النار. حاولت إنقاذها بالملقط، ولكن المحاولة كانت متأخرة جداً، فقد غارت الأقراط في، الرماد الناري الأحمر.

قطبّت قليلاً، ولكنه قال أنه سوف، يشتري لي قرطين من الذهب.

(لو لم أكن مهتما بك، لما كنت قلقًا بشأن أذنيك) قال. وضحكت لقوله ذاك، كان إطراؤه غريبًا جداً.

(أنت ناعمة، رقيقة، ومجنونة، ومثيرة، لك عيون جميلة) قال وهو يحدّق النظر إلى عينّي، وأكد أنهما خضراوان.

(عينان خضراوان، وشعر نحاسي، لن تثق أمي بك) قال. كانت لأمه عينان، باردتان وزرقاوان، ولهما نظرة نارية وقارسة. وتحيط بها رائحة زيت الأوكاليبتوس.

تمددت على ظهري، على البساط الصوفي، وغمر وجهي بالقبل.

وبعد فترة قال: (هل سنمضي إلى السرير يا آنسة بوتس؟) كنت سعيدة بالتمدد هناك، وهو يقبلني، كان السرير، المطاف الأخير، بالنسبة لي، لذلك جلست وطوقت ركبتيّ بيديّ.

(مازال الوقت مبكراً جداً) قلت. كانت الساعة حوالي الثانية صباحًا.

(سوف نغسل أسناننا) قال، ولذلك صعدنا إلى الطابق الأعلى، وغسلنا أسناننا. (أنت لاتفرشين أسنانك بالشكل اللائق، يجب عليك أن تفرشي أسنانك،

من فوق إلى تحت ومن الخلف إلى الأمام).

اعتقدت أنه يقول ذلك، ليبعث الإطمئنان فيّ. كنت قد توقفت عن الكلام، وكانت عيناي مثل، عينيّ البومة، كما تبدوان دائماً، عندما يساورني الخوف. عرفت أنني كنت مُقدمة، على فعل شيء ما مخيف، أنا مؤمنة بالجحيم وبالعقاب الأبدي بالنار، ولكن ذلك يمكن تعليقه وإرجاؤه.

كانت غرفة النوم باردة، ومن الطبيعي أن / آنا/ كان يجب، أن توقد النار هناك، ولكن بسبب إثارة العشاء والهدايا التي، نالتها نسيت أن توقدها.

خلع ثيابه بسرعة، ووضعها على ذراع المقعد. وقفت أراقبه وأنا واعية لكل حركة، كانت أسناني تصطك من الخوف أو البرد.

(هيا تعالي! قبل أن تصابي بالزكام) قال وهو يتناول شيئًا ما، من خزانة الجدار، كانت تبدو على ظهره الطويل وحمة كريز، وكانت نتف من الشعر الأسود تبدو تحت إبطه، وعلى ضوء القنديل كانت أطراف جسده الناعمة، تموج بلون متوهج جميل.

اندس في السرير، واستند برأسه إلى قبضة يده، بينما كان ينتظرني.

(لا تتطلع إليّ) رجوته.

ووضع يديه فوق عينيه، وكانت أصابعه منفرجة، ولذلك فلقد كانت هناك، فرجات رؤية بينهما، وعندما كنت أخلع ثيابي كان يتلو:

(رعب أصاب السيدة وايت

في منتصف الليل،

رأت شبحًا، يأكل

خبزًا محمّصًا في منتصف

ثم طلب مني، أن أطفئ ضوء القنديل، وانداحت رائحة خفيفة، من الزيت واندعمت مع صوت مياه المستراح، التي قد دلقتها، على يدي ورسغي قبل قليل.

(إنك فتاة جميلة، ريانة الجسم) قال وأنا أتجه إليه. واستغرق القنديل ثواني قليلة، لكي يخمد تماماً.

خلعت المعطف الذي، كنت أستخدمه كقميص نوم، ورفع الغطاء عاليًا، وأفسح لي مكانا قربه.

ارتجفت وظن، أن سبب ارتجافي، هو البرد، فرك بشرتي برشاقة، ليدفئني وقال، إن ركبتي باردتان مثل الثلج، فعل كل شيء كي، يجعلني أحس بالاطمئنان والراحة.

(هل لديك زغب في سرة بطنك؟) سأل بينما كان، يمد أصابعه ساخرا نحو سرتي. وكانت هي الأمر الوحيد الذي كنت أتقزز منه جداً، وعلى الفور / بدأت أنقبض خوفًا/ ، وتيبس كل جسدي.

(ما الخطأ؟) سأل وهو، يقبّل شفتيّ المطبقتين. لاحظ الأمور بسرعة شديدة (هل تشعرين بالندم؟) لم أكن نادمة، وحتى لو كنت متزوجة، فسوف أكون خائفة.

(ماذا في الأمر ياحبيبتي؟، إنه مجرد تدليك للبشرة) ولو كان لطيفًا جداً، وناعماً، فربما يجب أن أكون شجاعة. وبكيت على كتفه العارية.

(لا أعرف) قلت بيأس. وشعرت بأنني، غبية لبكائي في السرير، خاصة وأنني ضحكت كثيراً، في فترة النهار، وأعطيت انطباعًا بأنني فائقة السعادة.

(هل مررت بتجربة صدمة مخيفة؟) سأل

(صدمة؟) لم أكن قد سمعت، بهذه الكلمة من قبل، ولم أعرف ماذا أقول.

(لا أعرف) قلت (لا أعرف) كانت هي، الجملة الوحيدة التي، تشكلت في دماغي، خلال نوبة بكائي.

حاول أن يهدئني، وقال إنني يجب، ألا أقلق وألا أخاف، فلا شيء هناك، كي أخاف منه، وفي الواقع لم أكن خائفة منه، داعبني ببطء، وبلطف، ولكنني ظللت خائفة. وقبل ذلك، وعلى المقعد، في السيارة، وفي المطعم كنت ألامس يديه، وأقبل الشعر على رسغي يديه، وأحب أن أحس بأصابعه على، المناطق المخفية والناعمة، من لحمي، ولكن الآن تبدل كل شيء.

قال يجب أن أتحدث عما يخيفني، وأن أقول له، بالضبط ما الذي يرعبني، وأن أناقش ذلك. غير أنني لم أستطع فعل ذلك. كنت أريد فقط، أن أنام وأن استيقظ وأجد أن الأمر كله قد انتهى، بذات الطريقة التي تستيقظ فيها، بعد إجراء عملية جراحية.

استرخيت باكية بين ذراعيه، وقال يجب ألا أبكي، وأننا لن نفعل شيئًا، سوى نيل كفايتنا من النوم العميق، والطويل، كي نستيقظ بكامل نشاطنا. كان هادئًا قليلاً، ولام نفسه، لأنه غبي بتلك الصورة، ولم يفكر جيداً، ولأنه لم يحسب أنني، قد أكون عصبية وخائفة هكذا.

ثم استدار فيما بعد، لينام على جانبه، وتناول قرصاً منوماً، مع كأس من الماء.

(أنا آسفة يايوجين. . أنا أحبك حقًا) قلت.

(كل شيء على مايرام ياحبيبتي) قال وهو يربت على عجيزتي الدافئة بيده. . (كنا على الأقل قد نلنا قسطًا كافيًا من الدفء).

(غدا لن أكون خائفة) قلت، وأنا أعرف أنني، سوف أكون خائفة.

(أعرف ذلك) (أنت مرهقة فقط، نامي الآن، ولايساورك القلق، حول أي شيء).

تشابكت أيدينا، أردت أن أنفّ، وبالكاد كنت أتنفس، بعد كل ذلك البكاء، خجلت من أن أنفّ، لأن ذلك العمل كان سوقيًا.

ومضيت إلى النوم، وأنا شاعرة بالخزي.

وقبل انبلاج الفجر، حاولنا ثانية، إلا أنني وجدت نفسي أرفض مداعبته.

وعلى الفور، قام بعد ذلك بارتداء ملابسه، وقمت بالإعتذار منه.

(توقفي عن القول أنك آسفة) قال، وهو يسحب حمالة بنطاله إلى أعلى. (لا حاجة للاعتذار، إنه أمر طبيعي جدًا) قال، وجلس على الكرسي ليلبس جوربه.

(إنك تستيقظ باكرًا!) قلت.

(نعم. أنا غالبًا، استيقظ عند الفجر، عندما لاأنام جيدًا، وأخرج في نزهة قصيرة، أو أقوم بعمل ما).

(إنها غلطتي).

(كفيّ عن القول إنها غلطتك، توقفي عن الخوف) قال، وكنت مسرورة، لأن الجو مازال مظلمًا بالنسبة لي، كيلا أرى تعبير وجهه، لم أكن أستطيع التطلع إليه.

غادر الغرفة، وفيما بعد سمعت، وقع خطواته في الخارج، على الأرض الحصباء.

تمددت على السرير وبكيت. لم يخالجني إحساس بالخجل، مثل خجل تلك اللحظة طوال حياتي، كنت متأكدة الآن أنه قد أنهى علاقته بي، لأنني كنت طائشة

هكذا. وعندما بزغ ضوء النهار، حوالي الساعة الثامنة والنصف، كانت ماتزال بعض النجوم القليلة في صفحة السماء، كانت نجوم باهتة ضعيفة مثلما تبدو النجوم في الصباح.

(اذهبي إلى منزلك، غيبي) قلت للنجوم أو لنفسي، ونهضت وارتديت ثيابي، عندما سمعت / آنا/ وهي تعد الموقد، في الطابق الأرضي. لم أعرف كيف سأواجهها، أو أواجه دنيس، أو أمه أو هو، وبثوبي الأسود المزين بالترتر، وبدون أكمام والذي، كنت أعتقد أنه ساحر، على مائدة العشاء. أحسست به سخيفًا في الصباح الباكر. وتمنيت لو أنني أستطيع، أن أخرج من المنزل، وأن أهرب عائدة إلى منزل جوانا، دون أن يراني أحد، تطلعت إلى المرآة، كان وجهي أحمر، ومنفوخًا وملطخًا، وأن الجميع سوف يعرفون ما الذي حدث بيننا.

وبدأ الثلج ينهمر، هطل سريعًا جدًا، وبشكل مفاجئ، وكان يسقط مائلاً فوق السهل الأمامي، وعلى مدى مجال البصر، ولكنه لم يكن يتراكم، فقد كان يذوب، بمجرد ملامستة للأرض. مددت رأسي إلى الخارج، آملة أن المطر البارد سوف يبدل لون وجهي، وبعد ذلك ذهبت، إلى غرفة الضيوف الثانية، لأشوش السرير الذي كان من المفترض أنني نمت، فيه. بدا أمرًا طائشًا وحزينًا، أن أضطر لمثل ذلك الفعل، ولكن / آنا/ كانت شديدة الملاحظة، وكان لابد أن تلاحظ ذلك، وتحت ذلك السرير- الديوان وجدت، صندوقًا من الألعاب القديمة، والكتب الممزقة.

(هذا الكتاب يعود إلى الطفلة فرانسيس غالارد) قرأت ذلك، على حافة الصفحة من كتاب الحيوان، وكدت أصعق. إنه لم يقل أبدا، أن كان لديه طفلة، ولكنني كنت أندهش، لماذا كان لطيفًا جدًا مع طفل آنا. وكان هذا الأمر، يجعل كل شيء أسوأ حالاً. تطلعت إلى الألعاب، الممزقة والمصنوعة وبكيت. وبدا لي المطر الثلجي، وخداي المحمران من قلة النوم، والثوب المطرز بالترتر، والبورسلان

الأخضر البارد للموقد المطفىء، كل ذلك بدا لي سخيفاً، وعمّق إحساسي بالخجل. جلست هناك أبكي، إلى أن قرعت / آنا/ على الباب لتقول لي، إن طعام الفطور جاهز.

وفي المطبخ في الطابق الأرضي، لم أكن قادرة على إجبار نفسي، على التطلع إليه، ظللت منكسة رأسي، ناولني كوبا من الشاي وقال: (هل نمت جيداً ياآنسة كاثلين برادي؟)

كانت / آنا/ موجودة وتراقب.

(نعم أشكرك)

أحنى رأسه، وتطلع ضاحكا إلى وجهي الذي احمرّ من الخجل.

(أنا سعيد كثيراً، أنك نمت جيداً) قال وهو يقودني، إلى مائدة الطعام، ويمسح لي قطعة، من الخبز المحمص بالزبدة.

وفيما بعد نزلت أمه، وتناولنا طعام الفطور معاً. تذمرت من أن، العصيدة كثيرة الكتل. وهي تعيش مع أخت لها في دبلن، وقالت إنه يوجد شيء واحد، لاتستطيع فهمه، وهو لماذا تحدث كتل في العصيدة.

أخذها في نزهة بالسيارة، إلى ماقبل الظهر، وفكرت أنني يجب، أن أذهب أيضاً. غير أنه طلب مني، أن أبقى لفترة أطول، وكما قال، لأنه يجب أن يتحدث معي. وبقيت. أأراك مرة ثانية ياعزيزتي) قالت أمه، وهو يساعدها في ركوب السيارة. كانت تضع شالاً فوق معطفها الفرو، وتحمل زجاجة ماء ساخن من أجل ركبتيها. بدت على الأغلب سعيدة، لأنه أعطاها شراباً، من الويسكي وشيكولاتة، ولحم ديك رومي، ملفوف في ورق زبدة. هي تحب أن تُدلَل، فقد كانت تُخطط لذلك طوال، كل السنوات، عندما عملت ساقية من أجل تربيةابنها. كان باردا تماماً نحوها، بل غير ودود، في حين كانت حادة معه، ولكنها كانت تبدو سعيدة وهو يحيطها، بضروب العناية المتملقة.

عندما ذهبا، مضيت إلى الغابة، كان المطر الثلجي قد توقف، وبدأت السماء تمطر زخات خفيفة. لم أكن أعرف ما إذا كان، يجب أن أخاطر بالبقاء لَيلة ثانية أم لا. كنت أحاول أن أقرر الرأي، بينما شكّل سقوط المطر، خلفية غامضة، امتصت جلبة أفكاري المتصارعة، فكّرت بالغابات الأخرى، والمستنقعات، وبأفواه البقر وهي، تلتهم العشب المرتفع في الحقول، وكل الرجال الذين، تخيلتهم و ضمن أي، حضن قوي سوف أتهاوى في لحظة متعة ولحظة نشوة. غير أنني لم أصل إلى قرار، فأنا لم أتخذ أي قرار، أبدا في حياتي، ثيابي كان يتم شراؤها لي، وطعامي يقرر لي، وحتى نزهاتي كانت / بابا/ تقررها، مشيت كثيراً، وتحسست أشجار المستنقع، وشممت الرائحة الغريبة، المنبعثة من رطوبة الغابة.

عندما سمعت، صوت السيارة تعود، مشيت عائدة نحو المنزل، وبعدئذٍ سمعت صفيره، وهو يصعد نحو الغابة للعثور عليّ. كان يعتمر قبعة، بنية قديمة، مما جعلته يبدو خليعًا فاسقًا، وعندما تقدم نحوي، عرفت أنني سأبقى ليلة ثانية، وأن المخاطرة ستجعلني أستسخف نفسي ثانية.

(سوف أبقى) قلت فوراً، وكان مسروراً. قال إنني أبدو أحسن بكثير، لأنني تنزّهت في الخارج، وأن المطر يناسبني، وأنني يجب أن أعيش دائمًا، في بلد ممطر، وأن أترك شعري طويلاً، ينسدل فوق ظهري، وأن أرتدي معطفًا واقيًا للمطر من اللون الأسود.

(ولن أكون خائفة) قلت، ونحن نركض هابطين، تلة الغابة نحو باحة المنزل، من أجل إعداد بعض الشاي، كان متشوقًا جداً لتناول الشاي. ولم أشعر بأنني نعسانة ثانية، ورأينا / آنا/ وهي تنظر الينا عبر منظاره المقرّب.

(سوف تكسر ذلك المنظار) قال، ولكنه عندما دخل إلى المنزل، كانت قد وضعت المنظار، داخل كيسه الجلدي الأسمر، والذي كان معلقًا، على عمود

الستارة، في غرفة مكتبة. وعندما تذمر، قالت / آنا/ أنه لا بد قد خيِّل له أنه شاهد ذلك، قام بتجهيز اللحم المفروم من الديك الرومي، وقمت وآنا بتقطيع الخضار.

وقبل العشاء حمل قنديلاً أبيض، من الزجاج إلى، الطابق الأعلى، ووضعه على المنضدة في غرفته، بحيث أستطيع تزيين وجهي، مكث هناك متفرجاً، في حين قمت بمسح وجهي، ووضع ماكياج خفيف، عبر لمسات خفيفة هنا وهناك. جعلني ذلك المكياج أبدو شاحبة، وبدا وجهي في المرآة مدوّراً وطفولياً.

(الرجل العجوز والطفلة) قال وهو يلتقط المرآة، التي كانت مركزة بزاوية، تستندإلى حنجور كريم، من بقايا / لاورا/ دون شك. وتساءل عما إذا كان يجب عليه أن يحملّق أم لا؟

(ألا يبدو من المحتمل أنني سوف أقبّل شخصاً ما؟) سأل المرآة، وهو يضرب ذقنه، بجذع المرآة، المتبقي.

ضحكت. (ألست جميلاً؟) سأل، أحببت تقبيله. وفكرّت، لو أن الناس يقبّلون بعضهم فقط، لو أن الحب توقف عند ذلك.

تناول فرشاة شعري، وبدأ يسرّح شعري ببطء شديد. أحببت ضربات التمشيط البطيئة، والقوية للفرشاة، على جلدة رأسي، وبعد فترات شعرت بانتعاش، من جراء ذلك. وابتسم لي كثيراً، وهو ينظر إليّ عبر المرآة.

(أنا أملك ذقناً كبيرة، وأنت تملكين ذقناً دقيقة، وسوف نخلّف أولاداً ذقونهم جميلة جداً) قال. وتوقع مني أن أضحك، غير أنني لم أضحك. كانت هناك بعض الأمور التي كنت شديدة الولع بها: الأطفال مثلاً، والأطفال يثيرون الرعب لديّ، مع شدة تعلقي بهم. ثم تذكرت صندوق الألعاب، الذي لم أنسه أبداً، بل أجلّت التفكير به.

(يوجد صندوق من الألعاب في غرفتي وتحت السرير) قلت.

(نعم . أعرف، إنها ألعابي. لديّ طفلة).

(ياإلهي!)

(لي ابنة. إن عمرها ثلاث سنوات الآن) وأظن أن صوته، علاه تبدل آنئذٍ، غير أنني لم أكن، متأكدة من ذلك. وتخيلته يحني ظهره وكتفيه، كي تعتليهما فتاة صغيرة، وحركّت فيّ الفكرة مشاعر الغيرة!

(هل تشتاق إليها؟)

(إنني اشتاق إليها كثيراً، أنا أشتاق إليها كثيراً، تقريبًا وفي كل لحظة، من اليوم أفكّر فيها، وفي كل مرة، أشرب فيها أسمع صوتها، وعندما يكون لك طفل، فإنك ترغبين بالحياة معه، ومراقبته، وهو ينمو ويكبر).

واستمر في تمشيط شعري، غير أن الإحساس لم يكن مثل ذي قبل.

نمت في سريره تلك الليلة، وأعارني قميص نوم أبيض، وعليه براعم ورد. وكان شبيهًا بقميص نوم، احتفظت به أمي، في صندوق الثياب في المنزل، في حالة ذهابها إلى المستشفى. ربط الساعة على السابعة، ووضعها فوق الطاولة قرب السرير، ثم أطفأ القنديل. فكرت / بلاورا/ لأن قال إنه اشترى الساعة في نيوريوك. قال إنك تستطيعين، شراء البضائع في منتصف الليل هناك، أو تذهبين إلى دور السينما.

رغبت أن أذهب معه إلى لندن، حيث كان يمضي يومًا أو يومين. وخلال العشاء، وصلته برقية تطلب منه الذهاب، إلى لندن بأقصى سرعة ممكنة. قرأت البرقية في، غرفة المكتب بعد العشاء، عندما كنا نتناول البرتقال اليوسفي. كانت البرقية تقول: (أيها العجوز اللوطي هل تستطيع المجيء إلى هنا، وأن تفعل شيئًا ما لهذا النص القذر، حول شبكة المجارير؟ إنه منتن). كانت البرقية مرسلة، من

شخص يدعى سام. وقال يوجين أنه يجب أن يذهب، إلى هناك لأيام قليلة. أخذ حقيبة قماشية، من خزانة الأسلحة لتذكّرة بإعادتها.

(إنها فرصة جيدة لك) قلت، وظننت أنه من المحتمل، أن يأخذني، وبدلاً من ذلك سألني، ماذا أفعل ببذور البرتقالة اليوسفية؟

(أبلعها) قلت. وكان يوجد الكثير منها، لدرجة أن تنظيفها يستغرق يومًا بطوله.

(تبلعينها) كرّر ذلك، وهو يرفع نظره محدقًا، إلى شقرق في السقف.

(كيف أستطيع أن، آخذك لتقديمك إلى المجتمع؟)

(سأكون شديدة التهذيب) قلت، وكنت متأكدة أنه، سيدعوني إلى لندن، ولكنه لم يفعل.

ذهبنا إلى السرير باكراً، وأعطاني قميص نوم، من الخزانة، وربط الساعة على السابعة.

(ليست الليلة باردة جداً) قال عندما أصبحنا، داخل السرير، وكانت هناك مدفأة تعمل بالزيت، في الغرفة مشتعلة منذ ساعات، وكان هواء الغرفة دافئًا.

(ليس غريبًا كثيراً؟ الجو أكثر دفئًا، أليس كذلك؟) سألني وهو، يمسح ركبتيّ برشاقة، وسأل فيما إذا كنت أنام عادة، ومعي نصف دزينةمن، زجاجات الماء الدافئ. نملك أناو / بابا/ زجاجة واحدة من الماء الدافئ، نضعها بيننا، ونحن دائماً نعد بشراء زجاجة ثانية، ولكن كان الأمر يبدو، وكأننا نضيّع نقودنا الثمينة، التي قاتلنا من أجل تحصليها كثيراً، وفي بعض الأحيان، كنت أمضي، إلى، السرير باكراً جداً لكي أحوز على تلك الزجاجة أولاً.

(ليس غريبًا) كذبت، في حين، كانت يده تجول فوق جسدي، وتعبث أصابعه في المناطق التي أحب كثيراً أن يداعبها. كنت أفكر في اليوم التالي، سوف

يكون في لندن، بعيداً عني، وبدأت تقريباً أصبح أكبر إثارة من خوفي وعصبيتي. شلحت قميص نومي، وتركته ينسدل فوق ركبتيّ، وقلت يجب أن نتحدث عن أمور ما.

(ولكنني أرغب في حبك) [1] قال (لقد أمضيت النهار بطوله وأنا أفكر كيف سوف أضاجعك وأجعلك سعيدة [2]) واستمر في مغازلتي، وفي طريقة فاترة، وتعوزها الحماسة، غازلته، وتمنيت لو أستطيع إيقاف نفسي، عن أن أكون خائفة جداً. وكانت تلك الليلة فاشلة أيضاً.

استيقظنا، وكنا مستعدين للرحيل إلى دبلن، قبل مدة طويلة من رنين الساعة، سمعت الساعة تدق، عندما كنت أرتدي معطفي، ولكنني كنت مكتئبة جداً لكي أنهض وأكبس زرها.

في السيارة نادراً ماتحدّث، كان منظره الجانبي، يبدو شاحباً، وكالحًا، وفكّرت بأن له وجهًا قاسياً وحقوداً.

(إنني آمل أن تتمتع في لندن) قلت.

(آمل كذلك) قال، وسألني فيما إذا كان، معي الكتابان اللذان، أعارني إياهما. كان قد أعارني إياهما الليلة السابقة، قبل أن نمضي إلى السرير. كان أحدهما رواية والآخر عنوانه (الجسد والسلوك الراشد).

(إنهما لديّ هنا) قلت، ولمست حقيبتي، إشاررة إلى مكانهما. وفكّرت للحظة واحدة، أنه في طريقه لكي يسألني إعادتهما إليه، غير أنه لم يفعل ذلك.

(هل ستكتب لي من لندن؟) سألت.

---

(1) (But I Want to love you)

(2) (I, ve been thinking all day how I shall make love you and make you happy).

(طبعًا) قال، ولكن ببرودة. (سوف أرسل لك بطاقة) وفكّرت بأسى، كيف سيكون الأمر مختلفًا، فيما بيننا لو لم أكن خائفة في السرير.

أحببت أن أقوم بشيء مادرامي، أن أصرخ، أو أن أرمي معطفه الجديد، فوق رأسه، أو أن أقفز من السيارة وهي تسير. وبعد لحظة، أحببت أن أكون بين ذراعيه، دون خوف كي أسعده. كنت أحب أن أسعده أكثر من أي شيء. وبدا وكأن أسابيع مرت، منذ أن وضع شعري وراء أذني، وهمس (لن أدعك تذهبين) حدث ذلك، قبل ثماني أو تسع ساعات فقط، عندما مضينا إلى السرير، وقبّل حلمتيّ ثديّ الخائفتين، فتبرعما مثل بذرتي بطاطا، وقبل أن تنتابني نوبة الخوف.

أوصلني إلى الدكان تمامًا. وطلبت منه ألا يقبّلني، فقد تكون السيدة بورنز، تتلصص عبر نافذة غرفة النوم، غير أنه تجاهل ذلك، أو ربما لم يسمعني. خرجت من السيارة بسرعة، وودّعته وشكرته.

(وداعًا) قال. كان فظًا، وكما لو أنني كنت غريبة ما، قام بتوصيلها. ركضت نحو باب الدكان، وفتحته بالمفتاح، الذي أحتفظ به دائمًا، في متناول يدي. دخلت الدكان دون، أن أستدير لألوّح بيدي.

وبعد لحظة عندما، رفعت ستائر نافذة الدكان، لم يكن هناك أثر لسيارته، وعرفت أنه قد ذهب. لقد انتهى كل شيء، عيد الميلاد، والقبل وكل شيء.

* * *

الفصل السابع

غاب خمسة أيام حتى اليوم، ولم تكن هناك أنباء منه، وقالت بابا من المحتمل أنه قد، رتب للقاء زوجته في لندن، وأننا لن نراه ثانية أبداً.

(لقد نلت معطفاً منه) قالت (ولم أنل إلا لعنة كاملة).

(لم تكن زوجته) قلت بغضب (قرأت البرقية بنفسي، وكانت تدور حول عمله).

(إنها مرتبطة بتلك، الشيطانة التي تزوجها) قالت بابا، وكانت تؤكد أن جميع الزوجات هن، شياطين وبغايا.

وعلى أية حال، قالت أننا سوف نعرف حالاً، لأننا كنا نزمع الذهاب، إلى قارئة حظ في، / دوني بروك/ . وعند كنيسة/ دوني بروك/ نزلنا من الباص، ولأننا لم نكن في تلك الكنيسة، من قبل فقد تمنينا ثلاث أمنيات، ودلتنا امرأتان كانتا، تعبئان زجاجات من شراب الليمون، مع الماء المقدس، من صنبور داخل، جدار بيت قارئة الحظ.

كان منزلا كبيراً، مبنياً من القرميد. وفي رواق مغطى بالقرميد، كانت تجلس سبع، أو ثماني فتيات منتظرات، وقالت ثلاث منهن، لنا بأنهن يجئن بانتظام كل أسبوع، وأن الباقيات قد جئن إلى، قارئة الحظ مرة من قبل، على الأقل.

وقلن (إنها رائعة) وقلن أيضاً، أنها كانت كئيبة ونكدة. وذكرني المكان بالدير، الجدران مقبية، من نقطتين تلتقيان وسط السقف، والفتيات بروائحن،

المختلفة من العرق، والعطر، والصابون، ودخان السجائر، ولافتة مكتوبة بالحبر، ومن عمل يدوي تشير إلى (ممنوع التدخين) ولاتقول حتى رجاء. كان يجب علي أن، أغلق عيني كي أشم، ثانية رائحة ملفوف الدير، وأسمع الراهبة تعاتب / بابا/ بشأن الثقب في جوربها.

(هيا ندخل إلى المكان) قالت / بابا/ لي، ونزلنا سوية إلى المرحاض، في الطابق الأرضي كي ندخّن.

وكانت هناك قوالب صغيرة، من المطهرات، لؤلؤية اللون، مطروحة داخل صحن، على قرمية من الخشب، وقدمنح ذلك المكان رائحة صحية.

(ياإلهي إن هذا المكان، يصيبني بالخدر) قالت بابا. وتناقشنا فيما إذا يجب أن نبقى أو نغادر المكان، ولكنني أردت أن، أعرف كل شيء، عن/ يوجين/ ولذلك بقينا. وعندما خرجنا، وأخذنا مجلسينا فوق مقعدين، وصلت أربع فتيات أخريات. بالنسبة للعديد من الفتيات، كان الأمر وسيلة استجمام، هن يجئن مرة، في الأسبوع بدلاً من، الذهاب إلى دور السينما، أو الرقص.

(والآن لا تعطيها أية مفاتيح [1]، حول حظي الملعون) حذرتني بابا، وفي ذات اللحظة، خرجت امرأة في متوسط العمر، من غرفة قارئة الحظ. كانت المرأة تبكي. وحدقنا جميعنا إليها. وافترضت أنها قد، سمعت شيئًا ما خيفًا، مثل أن زوجها تركها، من أجل امرأة أخرى.

(سندخل معًا) همست بابا، وقلت نعم،

وكان علينا أن ننتظر ساعة.

(اجلسا) أمرتنا قارئة الحظ، بصوت لامبال، عندما دخلنا إلى الغرفة. وخمنا أنها لابد أن تكون، في حالة سيئة من المزاج، لأن الأخريات أخبرننا أنها،

---

(١) بشأن الأسرار أو الألغاز.

إذا لم تتكلم فإن ذلك يعني، مزاجًا سيئًا. كانت جالسة قرب مدفأة كهربائية، تشرب الشاي، وتدفئ يديها بإمساك كأس الشاي، بين يديها بالتناوب. وكانت ترتدي ثوبًا أسوداً، ودلّ وجهها الشاحب، على أنها لم تتعرض للهواء النقي أبداً. كانت الغرفة واسعة، وبها ستارة كالحة، وتتألف من طبقتين، ووكزتني بابا بمرفقها، كي تلفت نظري إلى أنها مخيفة.

(حسنا) قالت قارئة الحظ أخيراً، وهي تلتقط يد/ بابا/ وكما لو كانت جزءا طليقًا، وغير متصلة بذراع بابا.

(لماذا تضعين خاتم خطبة؟ فأنت لست مخطوبة).

كان خاتم خطبة أمها، وكانت بابا تضعه في إصبعها. نزعته وأعطتني، إياه لأحفظه.

(توجد مشكلة في، المخزن بالنسبة لك) قالت قارئة الحظ، وهي تحدق إلى كف بابا النظيف. مسكينة بابا فقد بدت، خائفة جداً، وجلست وكتفاها مشدودان

وتابعت قارئة الحظ (سوف تتزوجين، من رجل غني، ذلك هو نصيبك، عندما تقطعين علاقتك مع، هذا الرجل المتزوج).

واحمرّ وجه بابا. وعرفت أنه لابد، أن يكون / تود ميد/ .

(لك أخ واحد وعيد ميلادك في شهر حزيران) قالت وهي تترك يد / بابا/ بجلافة وحدة، وتطلب منا أن نبدل مواقعنا. وكانت الطريقة المتبعة، أنها تقرأ الكف أولاً، ثم تطالع الحظ بواسطة الورق، وأخيراً بواسطة كأس من الكريستال. الجميلة، من الزجاج الأخضر مستقرة على جانب الطاولة.

(ستقومين برحلة) قالت لي، وكانت تلف وشاحًا أسود، معقودا حول رأسها، ولذلك لم يكن باستطاعة المرء رؤية شعرها. كان صوتها منخفضًا، وعريضًا، ولكنه يتسم بإيقاع هادئ. وقالت إنها لاتهتم بالأمور، التي أخبرتها عني.

وأضافت (وسوف تكون الرحلة مزعجة، وقبل نهاية العام، ستزوجين رجلاً، غريب الأطور، ويجب أن تتزوجيه، لأنك سوف تكونين أما لتوأم).

(توأم) قالت بابا، وانتابتها نوبة ضحك، لم تستطع التوقف عنها، وكذلك فعلت أنا، لم يكن وجهي يضحك فقط، بل أخذ جسدي كله، يهتز وأنا مستغرقة في الضحك، وانتظرتنا حتى توقفنا عن الضحك، ولكن مزاجها صار أكثر حدة، وتركت يدي، وطلبت منا أن نغادر الغرفة.

نهضت بابا مسرورة، بعد أن سمعت الكفاية عن حظها، وحاولت أن أعتذر غير، أن قارئة الحظ، لم تستمع إلي.

(أعيدي مالنا) قالت بابا بمرح، وهي تسترد القطعتين، الماليتين الورقيتين، وكل قطعة بعشر شلنات، وكانتا موضوعتين على صحن، كنا قد وضعناهما عندما دخلنا.

(ضعي تلك النقود ياشابة) صرخت قارئة الحظ. وأسقطت بابا النقود، في وسط الصحن، وخرجنا هاربتين، من الغرفة ضاحكتين.

(لا أعرف) قالت بابا متحدثة من خلال أنفها (لماذا لاتصعدين طريق النهر بالدراجة؟)

ضحك أيضاً، وحتى هو فإنه يضحك من أنفه.

(تحدثي عن صندوق الفحم المعتوه) قالت بابا، ونحن نهبط راكضتين، نحو الناصية. قالت بابا إنه من الممكن أن تنطلق، في إثرنا الكلاب الشاردة، المجنونة، ولذلك ركضنا بسرعة، قاطعتين المسافة المؤدية، إلى الطريق.

ركبنا الباص إلى شارع / غرافتون/ ، ثم نزلنا فيما بعد، لنتفرج على واجهات المخازن، لأن الفترة كانت، فترة أوكازيونات للبيع.

ثم ذهبنا إلى مقصف / دافي بيرنز/ ، وطلبنا شراب البرنود [1] ، شراكة بيننا، لم نكن نملك نقودا كافية، كي نشتري طلبين.

(انظري بسرعة) قالت بابا. كنا نجلس قرب الباب، وقالت بابا إنه مغفّل ما سوف يقدّم لنا شرابا من كل ولابد. وابتسمت بإشراق لرجل، يرتدي سترة جلدية، وله شارب كث.

قالت إن الشراب يجب، أن يستمر ساعتين، إلى أن يغلق البار - المقصف. قالت ذلك وأنا أتناول جرعة، من الشراب. كانت الزجاجة مثل، زجاجة دواء السعال، وكان المشروب يغدو أبيض، عندما يضاف الماء إليه. وظلت تضيف الماء إلى المشروب، طوال الوقت، لكي تجعله يستمر، وسألنا صبي البار، عما إذا كنا على مايرام تماماً.

(نحن مفلّستان) قالت بابا، فمضى وجلب، لنا كأسي بيرة،

(ذلك كل ما أستطيع فعله) قال، وهو يضع الكأسين، على ورقة جريدة كانت تحمل إعلانا عن شيء ما.

(لن أنساك) قالت بابا. كان شاباً صغيراً، جاء من / تيبريري/ ، كنا قد تحدثنا إليه، ذات ليلة من قبل.

(حقّاً؟) تساءل بصوت يحمل، رنة شجاعة مزيفة.

(سوف أرسل رباط جوربي بالبريد) قالت بابا، ومضى يبتسم، وقد احمرّ وجهه.

(إنه مهذب) قلت لبابا، وكان مذاق البيرة، غير مستساغ بعد شراب البرنود.

---

(١) شراب فرنسي مسكر.

(مهذب! إنه ساحر لأنه جعلنا ننال مثل، هذا النوع من التكريم) قالت بابا. ثم تلفتت لتنظر إلى الرجل صاحب الشارب. كان يقف أمام الحاجز، ويشرب وحيداً. وأعتقد أنه بذلك الشارب، لايستطيع أي إنسان أن يجلس، أو يقف أمامه، مواجهة دون أن، يتمالك نفسه من الضحك.

(اعذرني، هل ساعتك مضبوطة؟) مدت بابا جذعها وسألته.

(مضبوطة تماماً!) وكانت هناك ساعة حائط، تكاد تلامس وجهها. كانت الساعة التاسعة والثلث.

ابتعد مثاراً، وقد تسربت، حمرة الارتباك إلى خديه، وأعتقد أنه ربما ظن، أن مجرد الحديث، إلينا سوف يسيء إلى اسمه الجيد، عرفته جيداً بالرؤية، فهو يبيع Scooters [1] في دكان في شارع دولر، فجأة شعرت بالمهانة والمذلة، وأحببت لو أن يوجين يأتي ويأخذني إلى الكاتدرائية، ذات الأشجار العالية، التي تقع خلف منزله.

(سوف نجري مخابرة هاتفية إلى بودي) قالت بابا. وكان ذلك مانقوله دائماً- نخابر شخصاً ما، أي شخص- عندما لايكون لدينا، شيء خاص نفعله. إنه يشرب في حانته المحلية، في / بلانشوردزتون/ معظم الليالي، بدءاً من الساعة التاسعة. تناولت بنسات، وقامت نحو الهاتف.

جاء إليّ فتى، ريفي المظهر، وقال (إنني أبحث عن نبات متسلق.)

(من أين أتيت؟) وملأت قلبه، رعباً بنظرتي الصفيقة، كان شعري منساباً، حول وجهي، وكنت أردّ ذوائبه التي، كانت تغطي عينيّ، بين فترة وأخرى. ظل واقفاً هناك، وهو يتطلع إليّ، يرتدي معطفه المفتوح، وسترته المفتوحة، وتحتها كنزة صوفية، صفراء اللون. عادت بابا وكررّ القول، بأنه دخل إلى هنا بحثاً، عن بعض النباتات المتسلقة.

---

(١) Scooters دراجات نارية صغيرة يركبها الأطفال.

(هل تشرب ويسكي؟) سألته بابا.

(لم أثلم عهد تعميدي أبداً) قال بصوت خشن، خال من الظرف، وجلس على طاولتنا.

(أين بودي؟) سألتُ بابا.

(ذهب إلى قمة ميلوري للاعتراف) فكل مرة وفي شهر، كانون الثاني، يذهب بودي إلى دير بندكتي، في قمة ميلوري، كي يصوم ويصلي، ويعود دائماً مليئاً، بقرارات طيبة، ولكنه بعد أسبوع أو اثنين، يعود ثانية إلى الشراب.

قال لنا الشاب الريفي، أنه من / أورانمور/ ، وأنه جاء إلى دبلن، من أجل المعالجة، لأنه تعرض لحادثة في الصيف الماضي، وأنه مازال ضعيفاً بسببها.

(سأدخل غداً إلى / روتوندا) قال، وضحكت بابا، لأن / روتوندا/ هي مستشفى توليد. بحث في جيبه عن مغلف، ورأينا أنه كان معنوناً، إلى مستشفى رشموند. كان المغلف الأسود، وآثار الأصابع بادية عليه، وكان المرء يدرك منذ الوهلة الأولى، أنه فتح وأعيد إغلاقه مرات عديدة.

(أنت مسكين) قالت بابا بصورة زائفة. واشترى لنا شراب ويسكي، لكل واحدة منا كأس، وفطيرة بلحم الخنزير، وطلب فنجان قهوة له.

(كان تراكتوراً ضخماً) قال (دعسني، وكنت أشبه ما أكون، بعجينة ورقية، إلا أن والدي هو الوحيد الذي وقف بجانبي).

صفقت بابا بيديها، من خلف ظهره وأشارت إليّ من أجل ، إسكاته عن الكلام. كان يتحدث بصوت عالٍ، وكان الجميع يستطيعون سماعه.

وفي موعد إغلاق البار، غادرنا ومشينا، معه إلى فندقه.

ووعدنا بزيارته، في المستشفى، ولكننا لانعتقد أننا، سوف نفعل ذلك.

(سوف نكتب إلى مستشفى روتوندا لرعايته) قالت بابا، ونحن نركض عبر شارع آمنيس، كي نلحق بالباص الأخير.

وفي المنزل قمنا بتسخين الحساء.

(أنت أصبحت غبية) قالت بابا.

(أعرف) قلت، كانت الليلة، غبية ومملة، وتافهة، لاشيء يثيرا اهتمامي الآن. إلا إذا كان الأمر تعلقًا بيوجين. فكرت به وباندفاعته العصبية، المفاجئة التي، جعلته يدور حول ذاته، ويقيم أوركستراً خيالية أو يقوم بتكسير الحطب لمدة ساعة. وحتى ذلك أعطاني متعة، لأنه ذكرّني بكلب القطيع لديه، وبالمنزل القديم وغابته المظلمة، التي يسمع حفيف أشجارها ليلاً.

(إنه يوجين؟) سألت بابا.

(نعم) قلت بيأس.

بعد ذلك بدأ الحساء بالغليان، . وانتشرت رائحته الطيبة، عبر المطبخ الصغير. وكان يجب علينا فتح النافذة، كي ندع الرائحة تخرج، وإلا فانه من المحتمل، أن تهبط جوانا، وتكون مشكلة، لأن الحساء كان جزءاً من غداء اليوم التالي.

(هل حاول معك؟) سألت بابا. وكان كأسا الشراب، قد جعلاها مفوّهة وصريحة.

(إلى حد ما) قلت، وانتابني الخجل، وأنا أتذكر السرير الناعم، ورائحة غطاء السرير، الكتاني النظيف، ونعيق بومة، من فوق إحدى أشجار السرو.

(إلى أي مدى تقدم؟) سألتْ بابا.

(لاتسأليني مثل هذه الأمور)، وتابعت تناول الحساء، وتذكرت ذلك المساء،

عند تناول العشاء، عندما وصلته البرقية، وتطلب منه الذهاب إلى لندن، وآنا التي قتلها حب الاطلاع، وأثرت بها عادة الوحدة. قالت:

(هل مات أحد؟)

(لا) قال. ومضى في تناول عشائه. كانت آنا مقطبة الجبين. وبدت غريبة في تلك الليلة، لأنها وضعت دبابيس عقص الشعر، من أجل العشاء، (كان لابد أنه قد ذكّرها بها)، وكان شعرها المرسل الطويل، لامجعداً ولامنسدلاً. ولكنه متجمع، في أمكنة متقاربة. تذكّرت كل واقعة، في زيارتي وكل تفصيل، حتى نوع الصابون الذي يستعمله، ولون المعجون الذي يرطّب به وجهه.

(لن تسمعي منه أية كلمة أبداً) تنبأت بابا، ولكنها كانت مخطئة.

في الصباح التالي، وصلتني رسالة، ووصلت إلى بابا بطاقة.

(كيف تتجر أين على قراءة مراسلاتي) سألت وهي، تخطف البطاقة من يدي، ثم همهمت (غانية سخيفة).

وقرأت رسالتي في الطابق الأعلى.

حبيبتي الغالية،

كيف أحوالك؟ افترقنا صديقين سيئين، ولاتظني أنني لم ، ألاحظ الامتعاض، في كفلك البدين، وأنت تسرعين بالدخول إلى، دكانك للبيع بالتجزئة.

على أية حال، إنني أفكر بك، وقد غفرت لك كل شيء. إنني أعمل بجد، على مونتاج اللقطات الرائعة التي حدثْتك عنها، وأنا أقيم في فندق، مليء بالفتيات الأميركيات الشابات! إن ذلك يجعلني، أحن إلى الأيام الماضية. ولكن دون خوف، لسن سمجات أو صعبات المراس، كما أنهن لسن، جميلات مثل جمالك، أنت حلوة، ولطيفة، وغالية، وعزيزة، بوجهك المدور مثل كرة الماء!

إنني مولّه بك الآن، وبشعرك الجميل. لاتشعلي النار بنفسك، إلى أن أعود إليك. إذا كانت لديك أيام فراغ، فأرجوك أن تخرجي، وأن توقدي النار، في غرفة النوم، وأن تفتحي النوافذ. وأنا واثق من ذلك جداً، أليس كذلك؟

ليلة طيبة من المغرم بك.

ي.

كانت رسالة مكتوبة، على ورق من، أوراق الفندق. وقرأتها مرات عديدة.

في الطريق إلى العمل، كنت أستطيع تخيل وجهه، بوضوح وكما لو أنه، يسير بجانبي، وجهه النحيل وعظامه البارزة جيداً، وبشرته الجميلة التي، تكتسب اللون الأحمر، إذا لمستها بإصبعك، كنت أستطيع تخيل جسده أيضاً، عريه، وخطواته الجميلة، وهي يمشي عبر الغرفة، وتذكرت الجراب المعلق، بين فخذية المشعرتين وكيف كنت خائفة.

(إنه لن يعضك) قال. وحال لمسه انتصب، بشكل خارق، مثل زهرة بين قبضة أصابعي.

وتساءلت فيما إذا كنت سأخاف ثانية.

* * *

وفي الدكان كتبت له رسالة، ووضعتها في البريد ساعة الغداء.

وعندما دخلت لتناول غدائي، كانت تنتشر رائحة يخنة، في البهو، وكانت هناك رسالة بالأحرف المطبوعة موجهة لي، ترقد على الطاولة. قفز قلبي سروراً، كما ظننت أنها الرسالة الثانية منه، ولكن كان عليها حاتم بريد دبلن.

وكانت تنص:

هل تعرفين أن هذا الرجل شرير، وأنه عاش مع، عدة نساء وهجرهن،

إذا لم تهتمي بهذه المعلومة، فإنني سوف أبحث، عن عنوان والديك، وأراسلهما وأعلمهما.

صديق

شعرت بضعف شديد، وحزن، عندما قرأت الرسالة. أعدت قراءتها. ولاحظت أن كلمتين قد شطبتا، قبل كلمة (شرير). في البداية كلمة (خائن) كانت قد كتبت، ثم (سيئ) ثم شطبتا وأخيراً تم اعتماد كلمة (شرير). كانت رسالة مطبوعة، ولم تكن لديّ، أية فكرة عن الذي أرسلها.

لم أستطع تناول الغداء، وعرفت أن شيئًا ما، سوف يحدث.

* * *

الفصل الثامن

حدث الأمر في الساعة السابعة، وأنا أجّهز طلبًا، من الأغراض لأحد الزبائن، في صندوق كرتوني. كان الزمن، ليلة رأس السنة الجديدة، وكنا مشغولين جداً، بتلبية الطلبات. وفجأة انفتح بابا الدكان، بضربة عنيفة، وكان رجلان صغيرا الحجم، يساعدان والدي، على دخول الدكان، وكان ثملاً.

(سنة جديدة سعيدة) قال لي متمنيًا.

(أهلاً) أجبته، وكانت أنفاسي قد ، بدأت تهز كل جسدي، قدمني للرجلين وأخبرهما عن مدى ذكائي، وكان يجب علي بعد ذلك، أن أتابع خدماتي داخل الدكان.

(لا مستقبل في هذ المكان، لا مستقبل فيه) واخترقت عيناه الرفوف المغبرة، فوقعت على صناديق خمر الهال.

(هي فارغة) قلت. وكانت فارغة فعلاً. كنا قد فرغنا الزجاجات للتو، بناء على طلبية أحد الزبائن، واحتفظنا بالزجاجات في، خزانة أسفل الحاجز.

(أعطني زجاجة) قال. والتمعت عيناه باحمرار، ينم عن رغبة مسعورة. تناولت زجاجة نصفية من الخزانة، وقلت إنه ليس لدينا، المزيد في المخزن. مزق الشعار الورقي، عنها وفتح الغطاء الفليني وشرب. كان يعتمر قبعة جديدة، كان دائمًا عندما يسافر، يشتري من أي سوق، قبعة بنية جديدة. وكانت خزانة الثياب لدينا. مليئة بالقبعات البنية اللون.

كان صديقاه أصغر مني - كانا جوكية، راكبي خيل سباق- وسألا فيما إذا كانا يستطيعان، وزن نفسيهما، وكان والدي يستند إلى، عمود الميزان، ولذلك لم يسجل الميزان وزنهما الحقيقي. ثم غادرا الدكان بعد فترة.

(صديقان جيدان، لقد أعطياني منحة جيدة، من أجل المراهنة، على سباق الخيل في / كوراف/). قال وهما يتوجهان نحو باب الدكان. وأدركت أنه حالما، يخرجان ويغيبان، عن الأنظار فإنه، سوف يلتفت إلي.

(لم أكن أتوقع مجيئك) قلت.

(ولم أكن أتوقع هذا) قال. وهو يبحث في جيب معطفه. أخرج رسالة وقال (أريد أن أتحدث إليك ياسيدتي، إنك تعيشين مثل وثنية).

(ماهذا؟) وأنا أخطف الرسالة. كانت الرسالة مطبوعة، وقرأتها بسرعة محمومة.

عزيزي السيد برادي،

في وقت بلغ منعطفًا حاسمًا، لابد أن تعرف شيئًا، عن ابنتك والصحبة التي ترافقها، وعلى مدى شهرين، وحتى الآن فإنها ترافق، رجلاً متزوجًا، لايعيش مع زوجته، وهو معروف جيدًا في، هذه المدينة كنمط خطير. لا أحد يعرف من أين، يحصل على نقوده، كما أنه ليس له دين. سفّر زوجته إلى أمريكا، ومنزله مغلق، ومكرّس من أجل اصطياد، الفتيات الشابات اللواتي، يرافقهن إلى هناك ويعاشرهن. وقد ذهبت ابنتك إلى هناك بمفردها. آمل ألا أكون قد تأخرت، في إعلانك وتحذيرك، وفي الوقت ذاته، فإنني لا أحب أن أرى، فتاة ايرلندية كاثوليكية تُدمّر، من قبل رجل غريب وسخ وقذر

/صديق/

قرأت الرسالة مرة ثانية، من خلال سحابات الدموع، في عيني، ليس لأن

والدي، يقف بالقرب مني، ويكاد ينفجر غضباً وألما، بل أيضاً لأن، إنساناً ما، يظن أن / يوجين/ هو كذلك.

(أمر حسن لوالدك المسكين، أن ينال هذا في شيخوخته؟) كنت قد نسيت، وقفة والدي الضخم، ورنه صوته الخشنة الواضحة.

(ليس صحيحاً) قلت. (لي صحيحاً ماورد في الرسالة! أنا أعرف هذا الرجل- لم أكن مجبرة على ذكر اسم يوجين - إن بابا تعرفه، وصاحبة البيت الذي أسكن فيه، والجميع).

(هل هو رجل مطلق؟)

(هو كذلك، ولكن)

كان وجهه النحيف، شديد الاحمرار، (أين هو؟ سوف أنتزع الحياة منه بمطرقة).

(سافر بعيداً) قلت

(لن تكون لك علاقة، معه بعد الآن) قال والدي (ولن تقع عيناك، عليه ثانية أبداً)

وكان ذلك أكثر، مما توقعت سماعه (أنا سيدة نفسي، وسوف أفعل ما أحب).

صرخ (لن يكون لدي أي، تقبل لوقاحتك).

واندفعت السيدة / بورنز/ إلى خارج الحاجز، لترى سبب هذا الصراخ. وقالت لوالدي إلى أي مدى، كنت فتاة جيدة، واقترحت علي أن أرافقه، إلى غرفة جوانا من أجل، تناول كأس من الشاي. فقد كانت لا تحب أن، يظل والدي في الدكان، لأنه كان يصرخ، وبدا متوحشاً.

ولم تحب / جوانا/ استضافته أيضًا.

(ربما يتقيأ على، السجادة الجميلة والنظيفة، وغوستاف في الخارج) قالت جوانا لي ذلك، ونحن في المطبخ نعد الشاي. كان والدي يجلس، في غرفة الطعام، ويشرب الخمر من زجاجة هال، ويهدد بما سوف يفعله بيوجين.

أخذت ثلاثة جنيهات من معطفه القديم، الذي كان معلقًا، على المشجب في البهو، وكانت الجنيهات تعبق، برائحة الخمر الشعبي والسكائر. كانت هناك جنيهات ورقية، في جيوب عديدة، ولذلك ظننت أنه لن يفتقد، بعض الجنيهات القليلة التي أخذتها. ولابد أنه نال النقود، من رعي الماشية في أرضه، لأنه على الرغم من، أن / جاك هولاند/ يملك معظم أرضنا، فإن والدي احتفظ، ببعض الحقول، في الطرف الأبعد من حدودها.

وبعد أن تناول الشاي، طلبت جوانا مني، أن آخذه بعيدًا، بينما كان نائمًا على المعقد.

تمشيت معه نحو كشك، لكي أطلب سيارة أجرة للذهاب إلى محطة القطار.

(إنك عائدة معي إلى المنزل، هل تعرفين ذلك؟) سألني.

مشيت في المقدمة. كي أفصل نفسي عنه (لا أستطيع ترك وظيفتي) قلت (لاتظني أنك تستغفليني) قال (إنك عائدة معي، وذلك قرار) ودفع قبعته الجديدة، إلى مؤخرة رأسه، ثم فرك جبهته، حيث كان سوار القبعة قد ترك أثرًا أحمر.

(توقف عن الصراخ في الطريق) قلت. فقد كان يعيش كثير، من الزبائن على جانبي ذلك الطريق، ولاأريد أن أكون في وضع شائن.

(إنكِ عائدة إلى المنزل).

لم أكن أود العودة إلى المنزل، وحتى في الأوقات السعيدة، فإن المنزل قد أحزنني، وبعد أن غرقت أمي، فإن أراضينا كانت، مرهونة عقاريًا، ثم اشتراها

جاك هولاند. وانتقل والدي إلى كوخ مستأجر، وترك جاك منزلنا الكبير، بناء على طلب من الراهبات، ثم تركت الراهبات المنزل، بعد عام أو حوالي العام، لأن المنزل كان رطبًا جداً، ومرتفع الآجار. وأثناء ما كان فارغًا، بدأت القصص تنتشر، حول شبح أمي، الذي شوهد هناك. وبدّل مدير البنك الذي، كان من المفترض أن يستأجره رأية، عندما سمع القصص حول الشبح، لذلك وفي لحظة يأس، طلب جاك هولاند من والدي العودة، والاقامة في المنزل لبضعة شهور، وذلك نفيًا للاشاعات السخيفة حول أمي. وظل والدي هناك، مايزيد عن عام حتى الآن. وجاءت خالتي موللي لرعايته، عندما مات والدها. ولم تكن تملك، إلا الكلام الفارغ، وقليلاً من دجاج النبطم، تتحدث عنه، في منزلها في جزيرة / شانون/ ، ولذلك كله أحبت رعاية والدي، ورؤية ساعي البريد الزائر، بين الفنية والأخرى.

هتفت إلى أقرب، مكتب سيارات للأجرة، وطلبت من السائق، أن يلاقينا خارج كشك الهاتف، ثم انتظرنا، وكنت غاضبة وأشيح بنظري بعيداً.

(يجب عليك ألا تقولي لوالدك، هذا القدر من الكلام) قال.

(وهل قلت ذلك؟) سألت بقسوة.

كنت أخطط لشيء ما. قررت ما أن، يركب في السيارة فسأهرب فورا، بحجة أنني تركت شيئًا ما، هامًا في غرفة جوانا. وحتى عندما خططت لذلك، رأيت إلى أي مدى أن ذلك غير مفيد.

انتظرنا، وأحسست بالبرد في، أصابع قدمي، وحاولت ثنيها وفردها، في محاولة لبعث الدفء بها.

(هاهي السيارة) قلت، وأنا أرفع يدي في، إشارة للسيارة التي، هدأت من سيرها.

فتحت السيارة ودخل ببطء، كان طويلاً جداً، ويصعب دخوله وخروجه، من السيارات.

(آه، لقد نسيت حقيبة ملابسي، يجب أن أعود بسرعة لجلبها) قلت.

(إلى أين تركضين؟ سوف نعود بالسيارة إلى هناك) قال بريبة وشك.

(لا، لا حاجة لذلك) قلت (على أية حال إن السيارة، لاتستطيع الاستدارة في، هذا المأزق المروري، لن اتأخر ثانية). وأغلقت باب السيارة، على صوته الصارخ، وعدت راكضة باتجاه منزل جوانا. كنت أعرف أن السائق سوف، يستغرق عدة دقائق حتى، يستطيع الاستدارة لكي، يسير على الطريق الرئيسي، لذلك كنت أعرف أنني، إذا استطعت الوصول، إلى الطريق الفرعي، قرب منزل جوانا في الوقت المحدد، فإنني أستطيع أن، أقرع أول باب، وأن أختبئ. فأنا أعرف امرأة هناك، ولطالما قدمت السكائر لولديها الصغيرين.

ركضت بتهور وبشكل طائش، واصطدمت برجل أعرج، ولم أتوقف كي أعتذر له، كنت قد وصلت تقريباً، إلى زاوية الطريق الذي، يؤدي إلى منزل جوانا، عندما سمعت صوت محرك السيارة، يقترب خلفي.

(عودي إلى هنا! ارجعي!) نادى والدي، وركضت بصورة أسرع، وكنت أعرف أنه مخمور جداً، ولايستطيع اللحاق بي، إلا أن السيارة تقدمت قليلاً، ومرت بجانبي، وبعدئذٍ قفز منها، وأنا أحاول الاستدارة كي، أهرب بالاتجاه الآخر. أمسك بي من زنار معطفي.

(سأقول لك، لن تحاولي هذا مرة ثانية)

(لن أذهب إلى المنزل! لن أذهب إلى المنزل!) صرخت. وكلي أمل أن عابراً غريباً ما، يمكن أن ينقذني.

(اركبي في تلك السيارة) أمر، وتابعت احتجاجي.

(سوف أخبر البوليس) قلت، وفي اللحظة، خرج سائق السيارة من سيارته، ودفعني كلاهما، نحو الباب الذي، كان يتأرجح وهو مفتوح.

جرني الاثنان عبر الطريق، وكنت خائفة من أن، يتمزق معطفي الجديد (الذي أهداني إياه يوجين)، وتجمّع أطفال عبر الطريق، ليتفرجوا علينا، وقال سائق السيارة أنه يجب عليّ، أن أكون أكثر إحساساً، ولماذا لاأرغب بالعودة إلى المنزل، مع أبي الذي يريد إنقاذي من الشوارع!

جلست بعيدة قدر ما أستطيع عن والدي، وأثناء سير السيارة، أساء معاملتي، وأخبر السائق إلى أي حد، كنت فتاة غير محتملة، وكيف أنني دفعت أمي، لتموت قبل أوانها.

(إنها بحاجة إلى علقة جيدة) قال، وكنت أبكي بصمت.

وفي محطة القطار، اشترى تذكرتين، ومررنا عبر حاجز التذاكر، وهبطنا من الرصيف نحو القطار، الذي كان من المقرر، أن ينطلق بعد ثلث ساعة تقريباً.

(هل تريدين كأساً من الشاي؟) سأل، حالما بدأ القطار يسير، وكانت تلك أول كلمة نتبادلها، منذ أن ركبنا. عرفت أنه اقترح ذلك، كي يستطيع الذهاب إلى البار، وكان البار والمطعم، متصلين أحدهما بالآخر، في مثل تلك القطارات.

(لا، شكراً) قلت ذلك كي أغيظه. كنت أتساءل، كيف سأهرب، وما إذا كنت سأقفز، في أول موقف، أو أن أنتزع شريط الانذار، عندما لايكون منتبهاً، وأن أقفز. خطّطت في عقلي، كل الأمور، بشجاعة كثيرة، ولكنني ارتعشت في اللحظة التي تحدث بها إليّ.

(أذهب وتناول كوباً من الشاي) قلت. ولكنه خمّن حركاتي، وطلب مني مرافقته. تبعته في الممر المفتوح، بين صفي المقاعد، بحثاً عن البار.

طلب كأساً مزدوجاً، من الويسكي لنفسه، وكوب شاي وسندوشة مربى

لي، كان تقديم الشاي يتم، في أكواب بلاستيكية كرتونية، وكانت ساخنة جداً، وكان يجب عليّ حملها بمنديل يدوي.

(حسنًا، بحق المسيح، أن لايكون هذا العملاق جيمي برادي) جاءني صوت رجل، من خلف ظهري.

(تيم!) صاح والدي. وهو يهب واقفًا، لتحية صديقه القديم. أمسك كل منهما، بقية معطف الآخر، وتطلع كلاهما في وجه الآخر، تمعن الواحد في وجه الآخر، وكأنها يتشربان معالم الوجهين الحمراوين، واسترسلا في الحديث عن مصادفات الحياة.

غمغمت ببساطة (ياإلهي)، وأنا أعرف الآن، أن كل شيء سوف يسوء، وأن والدي سوف يشرب ضعف مايشربه. كان اسم الرجل / تيم هيلي/ ، وكان يلعب دور قاذف الكرة، مع والدي في المدرسة.

توجهنا نحو حاجز البار، واشترى والدي، شرابًا من أجل / تيم هيلي/ ولصديقين، كانا يتناولان الشراب، مع تيم قبل أن نصل.

(هذه ابنتي الصغرى، وأنا أعيدها إلى المنزل)، أشار والدي برأسه نحوي. وقام الرجال الثلاثة بمصافحتي، وضغط أحدهم عليها، لدرجة أن أثّر الخاتم، على خنصري الصغير، وطلب / تيم هيلي/ شراب البرتقال لي، وجلس معي.

(أفسحي لي مكانًا) قال، وانتقلت إلى طرف المقعد، حيث كان الموقع أكثر برودة، وجلس في الموقع الدافئ، حيث كنت أجلس.

(حسنًا ياكاثلين! أليس اسمك كاثلين؟ كيف حالك؟ فتاة جميلة، ويجب أن تكوني جيدة وطيبة، فأنت لك والد محتشم، وأم محبوبة، كيف حال أمك).

(إنها ميتة) قلت (لقد غرقت).

فجأة علت وجهه، علامات الحزن، وبدا وكأنه يوشك على البكاء. أمسك بمرفقي وقال، إنه يتمنى أن يدفع عشرين ألف جنيه، وألا يسمع ذلك الخبر.

(الأفضل يمضي أولاً) قال، وهو يصارع الدموع في عينيه.

(نعم)، وكانت أعلام عيد الميلاد الغبية معلقة في النوافذ وتقول / وعلى السلام وفي الناس المحبة/ .

وأراد / تيم هيلي/ ، أن يتوّجه إلى حيث، كان يجلس والدي، كي يعبّر له عن تعاطفه، ولكنني طلبت منه ألا يفعل ذلك، فقد كنت أعرف أنهما، سوف يشربان مزيداً، من الويسكي، إذا ذكرّ الوالد في تلك، اللحظة بوفاة أمي.

(أنت تعرفيني) قال تيم هيلي (أنا لا أستطيع إيذاء ذبابة).

وأخبرني فيما بعد، أنه يقوم بتفتيش معامل النقانق، وكان في طريقة إلى / مارابورف/ ، كي يقوم بمهمته، صباح اليوم التالي.

(لو أنك ترين، كيف تتم صناعة، وتحضير النقانق) قال، وفتح فمه عريضاً، وارتد رأسه إلى الوراء، ليشير إلى بعض الفضائح التي، لاتنتشر عن معامل النقانق. أصابني بالملل، غير أنني تحملّت ذلك، لأنني رأيت فيه أملاً في النجاة. قررت أنه عندما، يبدأ هو ووالدي في سرد الذكريات، عن مباريات رمي الكرة وتسجيل الأهداف، فسوف أنسل بعيداً، وأختبئ في المرحاض، ثم أنزل في الموقف التالي.

تحدث والدي بصراحة، عن الوغد الذي حاول، أن يدمرنّي، وهزوا رؤوسهم، وقالوا إنني مجرد طفلة، لاتقدّر المسؤولية، كما أنه لايتمتع بأي أخلاق. وطلب لي أربعة كؤوس، من شراب البرتقال.

(هيا، أسمعنا أغنية طويلة من أغانيك) قال تيم لوالدي.

(لا أستطيع)، قال والدي (لقد أصبحت عجوزاً، يجب أن نغني جميعًا أغنية ما) وبدأوا في غناء / كيفين بيري/ ، كان بعضهم، يساعد الآخر، في تذكر

كلمات الأغنية. وبدا ساقي البار منزعجاً، وهو يحاول إيقافهم عن الغناء، غير أن هزة ودية من قبضة يدي، بوجهه والطلب منه، أن يرافقهم في الغناء، أبعده عنهم.

(أغنية إنكليزية لعينة) قال تيم، عندما انتهوا من الغناء. وبدت إشارة بالموافقة، من الجالسين حول البار.

ودون إنذار، بدأ والدي بالغناء. (أتلهف لرؤية جيني بشعرها البني). وظل طوال الوقت، يرفع ذقنه ويسحب ياقة قميصه، بعيداً عن حنجرته وكأنها كانت تزعجه، امتلأت عينها بالدموع، وعرفت أنه يفكّر بوالدتي، لأنه تعود أن يغني تلك الأغنية، في عيد الميلاد، عندما ربحنا تذكرتي حفلة، وقدّمت لنا الوالدة أوزتين كجائزة.

تطلعت من نافذة القطار، ورأيت الحقول المظلمة، والتي لاشكل يحدّدها، تنساب بعيداً عني، والقطار ينهب طريقه بسرعة متزايدة، ويبتعد عن دبلن، نحو السهل الرئيسي في إيرلندا.

أستطيع أن أذهب الآن. فكرت وأنا أنهض، مستعدة لأن أتسلل نحو المخرج.

(إلى أين تودين الذهاب؟) صاح والدي.

(إلى المرحاض) قلت، ولم أود أن أقول إلى المغسلة.

(آه، حاجة طبيعية، حاجة طبيعية) قال تيم، وتابع وهويغمز بعينيه، ناظراً إلى والدي (سأدل الآنسة على الطريق) وتأبّط ذراعي، ونحن نعبر الممر. ولابد أن والدي، طلب منه مراقبتي.

(لاتقلقي) قال ونحن نمشي، باتجاه الباب المغلق (سوف تواجهين فتى طيباً وجميلاً الآن، فتى من صنفك).

لم أقل له هذا أبداً، ولكنني عرفت، الآن أنني لن، أتزوج شاباً من صنفي.

وبينما نحن نعبر، عربة المطعم، رأيت أناساً يأكلون بنهم، شرائح لحم الخنزير، الرقيقة مشوية ومقلية، مع البيض، ويضعون فوطًا نظيفة، تحت ذقونهم ويتبادلون الأحاديث الودية فيما بينهم. وجعلني هدوء حياتهم، أثور غضباً لمصيري وقدري.

(سوف نكون صادقين وغير مخادعين، لو مشينا قليلاً إلى الأمام) قال، تيم هيلي عندما، عبرنا عربة الأكل، ومررنا بصف من عربات الدرجة الأولى، حيث كان الناس، يسندون رؤوسهم إلى، مساند مريحة للرؤوس، وكان ثلاثة رهبان يلعبون بالورق.

(سوف أنتظرك) قال. ولم أكن قد قرّرت الهروب في تلك المرة.

وفي / مارابوف/ ، هبط / تيم هيلي/ ورفيقاه من القطار. وكان هناك وداع كبير، جاشت العواطف فيه، وكادت الدموع تنهال، ودورات كؤوس الويسكي ترفع.

وبعد ذلك، أصبحت وحيدة، مع الدي من جديد.

كان ثمًا تمامًا، ويتمايل على الكرسي العالي. تناول علبة سجائر من جيبه.

(خذ واحدة، خذ سيكارة من سجائري) قال، للساقي في البار الذي، أسنده عبر الممر، خلف العربة المغلقة، حيث تركت قفازي وجريدة المساء، كانت بعض العربات مفتوحة، غير أن عربتنا كانت، العربة الوحيدة المغلقة.

(أستطيع أن أمشي على قدمي) ظل، والدي يقول ذلك.

(طبعًا تستطيع) أجاب ساقي البار، ولكنه ظل يسنده.

جلس والدي على، مقعد في الزاوية، وأغلق عينيه فوراً.

كانت/ ريسكريرا/ هي المحطة التالية، ولكنني عرفت أن ذلك، لايستغرق

أكثر من، نصف ساعة أو أكثر بقليل. وخلال تلك الفترة، فإنه من المَحتمل أن يستيقظ. كان مايزال مرتاحًا في معقده، اقترب من حافة النافذة، التي كان شريط الانذار فوقها، والإشارة الحمراء تقول (عقوبة الاستخدام غير المناسب، خمسة جنيهات). وكدت أنتزعه. وعندما كنت أستجمع شجاعتي، حاولت أن أفكر بالموقف الساخر، من جراء ذلك. فكّرت به، وهو يستيقظ فجأة بوخزة من الحارس، وبشكل فجائي، ويطلبون منه خمسة جنيهات. آنئذٍ سوف أكون، قد ذهبت واختفيت، عبر الحقول المظلمة، التي بدت حالكة الظلام في الخارج، وأملت بأنه سيكون هناك منزل ما قريب. ثم فكرت بالكلاب المتوحشة، التي تحرس بوابة منزل مزرعة، ولكنني ظللت مقرّرة الذهاب.

نهضت بهدوء، وألقيت نظرة أخيرة، كي أتأكد فيما إذا كان نائمًا. كانت السيجارة المحترفة، معلقة بإهمال فوق شفته السفلى، وهو نائم ورأسه ملقى إلى الوراء، شعرت بحزن نحوه، وهو في وضعه ذاك، الضعيف والمكسور والبغيض.

لاتكوني حمارة، أوقفي الشفقة عليه، ذلك مادمرّ حياة أمك. قلت لنفسي، وأنا أرفع يدي، نحو علبة الانذار السوداء. وكنت أرتجف مثل ورقة.

(انزعيه، انزعيه بسرعة)همست لنفسي.

سواء أيقظته همستي الخائفة، أو شيء اخر فإنه لم يكن نائمًا على الإطلاق، لأنه جلس فجأة، وقال (أين نحن، أين نحن؟) أنزلت يدي، وانهرت فوق المقعد، وخالجني سرور تقريبًا، لأنني أنقذت من ملحمة نزع الشريط.

(كنت لتوّي أتطلع، إلى الخارج لأرى أين كنا) قلت، وأنا أكره نفسي، لأنني كنت خائفة هكذا وجبانة.

(لقد سافرت عبر، هذا الطريق إلى حدٍ كاف، يمكنك من معرفة أين نحن).

أشعل سيجارة، وبطريقة نذلة، ظل مستيقظًا، طوال بقية الرحلة، وقابلنا

عربة أجرة، يجرها حصان في محطتنا، ذات الأضواء الشاحبة، وكنت قد أرسلت برقية، إلى خالتي، في وقت مبكر في السماء.

* * *

كان مطبخاً كئيباً، وموحشاً، كما تذكرته، وكانت ثياب والدي القديمة، مرمية على مقعد، وقطعة باهتة من جذع شجرة نخيل، ملصوقة خلف صورة، القلب المقدس، وأمامها مصباح أحمر، تحترق ذبالته. وضعناه في السرير، ثم ألقت عليّ، خالتي فيما بعد، محاضرة كما، كنت أعرف أنها سوف تفعل.

قامت بإعداد الشاي، وأكلنا ما بقي من، فطيرة عيد الميلاد، التي كانت محفوظة في علبة بسكويت. كانت رهيبة المذاق، غير أنني أكلت لبث، بعض السرور لدى خالتي، تحدثت بشكل غير مرتب وغير مترابط مراراً وتكراراً حول التربية الجديدة التي تلقيتها، وعن الصدمة التي، انتابت والدي عندما، تسلم تلك الرسالة.

* * *

فيما بعد سرقتْ حذاءه وأخفته، لذلك فإنه لن تستطيع الخروج، في اليوم التالي، ويثير الدنيا ويقعدها، من أجل مزيد من الشراب. وتلونا صلاتنا بصوت مرتفع.

لم تستطع الذهاب إلى السرير، مخافة أن، يشعل النار في الأغطية، بسبب سجائره، لذلك جلسنا، وبعد فترة نامت، على المقعد ذي الذراعين، كان مقعداً نالته أمي، من جائزة كوبونات للسجائر قبل الحرب الأخيرة. وكنت في الرابعة أو الخامسة من عمري، عندما نشبت الحرب، ولم تكن تعني بالنسبة لي أي شيء، باستثناء أن الناس يدخنّون، توقفوا عن وضع الكوبونات في الطرود، وأننا لم نعد

نحصل، على مزيد من تلك، الكراسي التي تطوى، ولها أرضية قماشية، أو من الكتان.

* * *

وعندما كانتْ، مستغرقة في النوم خطّطت لما أريد فعله. أن أغادر في أول باص صباح اليوم التالي، وقبل أن تستيقظ والدي. كنت أعرف أن، ذلك لاينم عن ذرة، من الوفاء نحوها، غير أنني كنت، قد صممّت على العودة إلى يوجين، الخطيئة الأبدية المميتة أو لا.

أحصيت نقودي، وعددت الساعات، وسمعتها تشخر قليلاً، وأحيانًا كنت أسمع، من غرفة نوم والدي، أنيناً أو صوت سائل يسكب، وكان قد ترك الضوء مضاءً.

كنت أزمع المضي بعيداً، الرحيل بعيداً وللأبد.

* * *

الفصل التاسع

قبل انبلاج الصباح استقيظت خالتي، ومسحت عينيها المخيفتين، بظاهر يدها.

ماذا تفعلين؟ سألتني. كنت قد ارتديت معطفي وأضع مكياجًا على وجهي، أمام الزجاج المعتم لصورة السيد المسيح، وكانت علبة المكياج لها فقد نسيت علبة مكياجي. وجدت مسحوقًا أصفر في مغلف، وقطعة قطيفة، لوضع ذرور التجميل، على البشرة بجانب كتاب صلواتها. وكان إصبع أحمر الشفاه يبعث فيك إحساسًا وكأنه سينقل لك المرض، كان ناشفًا وملوثًا بالشعر. ولابد أن خالتي، عثرت عليه في مكان ما، ما دامت لاتستعمل، إصبع أحمر الشفاه أبدًا، كنت أحاول استخدامه، عندما تحدثّت إليّ.

(إنني أجهز نفسي) قلت، في لهجة طبيعية، قدر ما أستطيع.

(تجزين نفسك من أجل ماذا؟) سألت. وهي تمرّر يدها خلال، شعرها الأشيب، الذي تقصّف في أماكن عديدة، بسبب تعرضه مرارًا للنار، أثناء تجعيده بواسطة، البكلات المدورة.

(إنني عائدة) قلت (يجب أن أعود إلى وظيفتي).

(أنت لاتستطيعين ذلك) قالت (تهربين وتتركيني) وبدأت تردّد بذهول (لاتذهبي، لاتتركيني) وبنغمة توسل ورجاء، (هو سوف يقتلني) قالت، (عندما يجدك قد ذهبت) وكانت تبدو دموع عينها المتعبتين. مدرار من الدموع، فهي تعبر عن آلامها بدموعها، حبيبها الشاب أُطلقت النار عليه، ذات صباح فوق،

جسر، كيلاو خلال عرض لموسيقي القرب [1] وظلّت وفيّة لحبها المغدور، واحتفظت بصورة له في علبة صغيرة، تتدلى من قلادة حول عنقها، وكان من المستحيل أن تتخلى عنها، كانت جميلة جداً، وقد قامت بتضحيات كثيرة.

(سوف أبقى) قلت بضعف. وطوّقتني بذراعيها، وشعرت بعينيها الدامعتين فوق عنقي.

كان الوقت، بداية العام الجديد، ويجب أن أذهب إلى القداس. ولكنها قالت إن الإله سوف، يغفر لنا ما دام يجب، أن نبقى لرعاية والدي.

وبعدئذٍ سمعنا خوار البقرات، أمام فناء المنزل وكانت / باورا/ تقرع الباب الخلفي. وهي فتاة ريفية تجلب حليب الصباح والمساء.

(أيتها الأم! هل أنت مستيقظة؟) نادت، وهي ترفع سقاطة الباب وتطل برأسها. ابتسمت من وراء نظارتها الجديدة المؤطرة بالفولاذ الرخيص.

(أهلاً بعودتك إلى المنزل) قالت، ترحب بي بصوت عالٍ، هي دائماً تصيح، مهما كانت قريبة أو بعيدة، تتكلم وكأنها تريد، أن توصّل صوتها إلى مدار الجدي.

(هناك عجل ميت تعسرت ولادته) قالت لخالتي.

(من الميّت؟) سألت خالتي، وهي ترفع عينيها إلى السقف. فقد أرعبتها / ماورا/ ببساطة وسذاجة عقلها.

كرّرت / ماورا/ (إن العجل معلق بالبقرة وهو ميت)، وكانت تنقل الواقعة، وعلامات الدهشة، تبدو على وجهها، وهي على يقين بأن الأمر، الذي رأته هو أمر هام، وغير طبيعي. ثم قالت إنها يجب، أن أذهب إلي الطبيب البيطري، وقبل أن نوقّفها انطلقت راكضة. أردت أن أذهب، لأن السيد / برنينان/ الطبيب البيطري،

---

(١) فرق موسيقى القرب الأسكتلندية. Blaclt and Tans

يتعامل مع والدي، وكنت أعرف أنه سوف يساعدني، أو أن تقوم زوجته / مارثا/ بتلك المساعدة. فكّرت بمنزلهما الجميل وبالبسط البيضاء، الممدودة فوق الأرضية، من خشب القبقب، وصورتي مع صديقتي / بابا/ معلقة على الجدار الرمادي. ناديت على / ماورا/ كي تعود ولكنها لم تلتفت إليّ. وركضت بسرعة تعبر الحقل الأمامي، وفي بعض الأحان كانت، تقفز قفزات كبيرة، وهي تصرخ بصرخات الرضى.

وخرجنا لكي نرى واقعة العجل الميت.

وفي ضوء النهار، كان المكان يبدو أكثر عزلة، كان نبات الليغسطروم مصفّراً، من مرضٍ ما، وكانت بتلات الورد البرّي متفتحة، والبقرات تدخل وتخرج من فوق السلك الشائك.

(هناك صقيع قاتل)، قالت خالتي. وكانت منشفتان منشورتان وقد تراكمت عليهما، ندف من الصقيع فجمدتّهما. سألت خالتي وهي، تعبر من جانب خزان الماء الفارغ:

(هل تتذكرين الأحداث القديمة؟. / هيكي/ العامل لدينا، الذي اعتاد أن يقف هنا، في الأمسيات الصيفية، وهو يصيح محذّراً البقرات بألا تشرب. إن معظم البقر الذي يملكه جاك هولاند، يشرب الآن من أقنية إسمنتية).

ومنذ أن أخبرتنا / لاورا/ ، عن رأس العجل الميت، والمتدلي من عجيزة أمة، كانت البقرة المسكينة تئن وتخور، وتضرب بذيلها، ولم يكن باستطاعتنا، أن نفعل شيئًا لها، حتى جاء السيد برنينان، الطبيب البيطري. عادت خالتي راكضة، لجلب دقيق شوفان حار، وعندما كانت تبتعد مر الباص المتوجه، إلى / ليمريك/ ، من أمام البوابة الأمامية. ذرفت دمعتين حزينتين، وأنا أدرك أنني كنت، غبية لبقائي وسط الأشواك المميتة.

لم تتناول البقرة دقيق الشوفان، وظلت تحاول الالتفات، برأسها حواليها، كي ترى العجل الميّت.

عندما وصل السيد برنينان، دعا / ماورا/ وخالتي لجر البقرة ببطء إلى فناء الدار، وتبعهما بسيارته محاذراً الاصطدام، بالأشجار ومساكب الزريعة.

وأنا أعود وحيدة، تألمت لمنظر المنزل، الرطب المتهدم، وتساءلت فيما إذا كان، كما قالت خالتي، يستحق العذاب الذي، نعانيه من أجله. كانت طيور الزاغ، وغربان الزيتون، تطير داخل وخارج المداخن على سطحه. عندما وصلت إلى المنزل، كان الوالد في المطبخ، يبحث عن حذائه، أخرجت الحذاء بعصبية من سطل الفحم، ونفضت الغبار عنه، بواسطة ريشة إوزة.

(لا بد أنه وقع في السطل) قلت.

(وقع!) قال باستهجان، وهو متأكد أن خالتي وضعته هناك، تناول قبعته من الخزانة، ولم ينتظر ليسمع، خبر البقرة المريضة. خرج لينال قسطًا من الشراب.

جهّزت المائدة، من أجل تناول الفطور، كانت ملاعق الشاي، قد فقدت بريقها، وتآكل بعضها. على أيام أمي كانت هناك الحوامل المفردة للملاعق، والشوك، والسكاكين. والآن كل شيء يغوص، في فوضى عارمة. مقصات، لفافات شعر، فتاحات تنك، أوراق زبدة، وقرون بقر. وكانت الغاية من الاحتفاظ بقرون البقر، لاستخدامها لصب، زيت البرافين، أو الزيت للمحرك، ولصب الدواء في أفواه الماشية.

(كيف حالك! لم يتوفر لي الوقت للسلام عليك) قال السيد برنينان، وهو يتوجّة بسرعة. حاولت أن أتحدث عن صديقتي بابا غير أنه قاطعني:

(رأيت الرسالة التي تلقاها والدك).

(غريب كيف يحب الناس، أن يصدّقوا الأكثر سوءاً)، قلت دون أن أعرف كيف قلت ذلك.

(خاب أملي فيك كثيراً) قال (كنت أظن أنني، أستطيع أن أعتمد عليك).

شعرت أنني قد فقدته كصديق، ولكنني فكّرت أن زوجته، / مارثا/ ، سوف تساعدني، مادامت أستاذة في فهم الرجال والحب. وكنت سعيدة فيما بعد، لأنه عرض عليّ مرافقته لمنزله لأخذ دواء البنسلين، من أجل البقرة المسكينة.

* * *

كانت مارثا ترتّب، إناء مليئًا بالورود، عندما دخلنا إلى، بهو منزلهما المدفأ بالشوفاج.

(هاهي هنا) قال السيد برنينان، مظهراً المحة، من النفور، وتركنا فيما بعد وحدنا.

(ياإلهي! ياكاثلين لقد كبرت نصف قدم) وصافحتني. ولابد أن / تيم هايس/ سائق العربة التي، يجرها حصان قد أخبرها، أنني عدت إلى المنزل، لأنها لم تكن مندهشة لرؤيتي.

(أزهار جميلة) قلت وأنا أشعر بانزعاج، فقد ألقى عليّ السيد برنينان، محاضرة ونحن في السيارة.

(أليست الأزهار جميلة حقًا) تساءلتْ (وكانت تعاني من وباء) قالت، ثم أضافت تسألني (هل بابا على مايرام؟) وحاولت أن يبدو سؤالها عرضياً.

(إنها بخير).

وفي المطبخ أعدّت لي شاياً. وكانوا قد ألصقوا، على الجدران، ورقًا مخططًا جديداً، أعجبت به، . ثم دخنّا السجائر.

(أخبريني عن كل الأخبار) قالت. وجلست على المائدة، وأخبرتها كل شيء، عن يوجين. قلت أننا تقابلنا، عدة مرات، في أماسي الأسبوع، وتناولنا العشاء، وأنه كان لطيفًا جداً وأنه جميل المظهر.

(سوف تحبينه) قلت كي أريحها، ولم تتبدّل تعابير وجهها، إلا أنها كانت، تطرف بعينيها كثيراً.

(هل لك أن تساعديني في الفرار بعيداً من هنا) قلت بيأس.

(أساعدك!) صاحت، ونفخت الدخان برقة، من أنفها وفمها. ضحكت بعصبية، وكأنها تستمتع بالأمر. (ولكنك مجنونة، يجب أن تكوني، مجنونة للتفكير، برجل مثل ذلك، إن القضية ليست محل نقاش!).

(أرجوك، أرجوك، يجب أن تستمعي إلي) قلت برجاء وتوسل.

قالت وبصورة جازمة (أنا ووالد بابا اتقنا، على أنه يجب ألا تشاهدي هذا الرجل مرة ثانية) كانت هذه / مارثا/ التي شربت، ذات مرة، الجن مع المسافرين التجاريين.

أسندتُ رأسي على، غطاء المائدة، وبدأت في البكاء بصوت عالٍ، مثلما كنت أبكي، وأنا صغيرة، عندما لم تكن تسمح لي أمي، بارتداء أحد أثوابها أثناء اللعب.

(هس! هس! إن المدير سيدخل الآن، فلا تدعيه يراك وأنت تبكين) قالت وهي تتناول منديلاً، كانت تضعه حول، سوار ساعة معصمها الذهبية الدقيقة.

(سوف أصلّي من أجلك بصدق، إذا ناشدت الله، فإنه سوف يساعدك على تحمل ذلك) وبدا أنها أصبحت شديدة التدين.

تناول السيد برنينان الشاي معنا، وتحدثت مارثا، عن زيارتها إلى / أوبراميرغا/ ، خلال الصيف الماضي.

(سوف تفعل حسناً برؤية اولئك الناس) قالت، (كل الرجال يتركون شعورهم، دون قص لعدة أشهر، غير عارفين من الذي سيقوم بدور المسيح) وأحنت رأسها، وهي تتلفظ بكلمة / المسيح/ .

كان جزء من فكري، يستمع من أجل السلامة فقط، بينما كان باقي تفكيري، ينصبّ حول الطريقة التي، يمكن أن أهرب بعيداً بواسطتها .

قال السيد برنينان، شيئاً لم أسمعه، رأيته فقط غاضباً مني .

(إنها منزعجة) قالت تشرح الوضع .

(سوف تكون على ما يرام، سوف تتجاوز ذلك، خلال شهر أو شهرين) قال .

كدت أوشك على الصراخ، ولكنني آنئذٍ، رأيت التغير الدال، على مشاعرهما من، خلال نظراتهما، فضحكت بدلاً من ذلك. وقد حيّرهما موقفي ذاك .

وأثناء عودتي إلى المنزل، ومعي البنسلين، تذكّرت نظرتيهما القاسيتين، والمصممتين. قالت مارثا، إنني يجب أن أبقى في المنزل، وأنني أستطيع الذهاب إلى المدرسة الفنية معها، وأن أتعلم النسيج بواسطة الإبرة المعقوفة (كروشيه)، والتطريز على الكنفا .

سرت بسرعة شديدة، وكانت الغيوم، فوق رأسي، تعبر السماء المطرة، وتتفرق قطع زرقاء، هنا وهناك، في صفحتها .

(ابقي في المنزل!) إذا قال أحدهم ذلك، فإنني سآخذ، طريقي للدخول إلى الدير. لماذا يكره الجميع رجلاً لم يروه أبدًا؟ هل جميع أولئك، الناس المتزوجون، وغير السعيدين، يريدون أن يتأكدوا أنني، عدت إلى المنزل، وأن ذلك قد حدث لي فعلاً؟ .

كانت / ماورا/ المجنونة مختبئة، خلف جدار منزلنا تراقبني، وعرفت بإحساس غامض، أن خالتي قد كلفتها بذلك، ومن المحتمل أنها دفعت لها، ستة بنسات مقابل مراقبتي.

لم يحدث شيء، كثير الأهمية في ذلك اليوم، باستثناء أن خالتي، أخذتني إلى جانب، وسألتني همسًا إذا كان قد حدث شيء خاطئ لي. وكانت تبدو متشككة، عندما نفيت ذلك.

(ولكنه لايوجد شيء) أكدّت بشدة، وغضبت لسؤالها الفظ. وفكرت إلى أيّ حد، سببّتُ له الفشل في، ذلك السرير الكبير والناعم. وضحكت من سخرية ذلك الموقف.

بعد الظهر، ركبت دراجتي، نحو القرية، لشراء بعض الحاجيات. نسي والدي ما يتعلق، بنقود تدبير شؤون المنزل، عندما كان ثملاً، ولذلك كان يجب، أن أنفق بعضًا، من الثلاثة جنيهات التي، كنت قد سرقتها من جيب معطفه عندما كان معلقًا على المشجب، في بهو منزل جوانا.

* * *

أشرقت الشمس بعد زخة مطر، وبدا الطريق لامعًا، وشجيرات السياج تتلألأ، وكأنها جواهر مرمية على جانبي الطريق.

اشتريت شرائح رقيقة، من لحم الخنزير، وشايًا، وبيتزا بلحم الدجاج، ودراقًا، وبعد ذلك ومن جراء نزوة، اشتريت كعكة مبردّة، رخيصة الثمن، على أمل أن تبعث فينا السرور.

في القرية كنت واثقة، أن الناس توقفوا ليتطلعوا إليّ، ويودون أن يقتلوني، بعيونهم الوقحة التي، ازدادت تحديقًا، وبدأ طلاب المدارس، يصرخون بشيء ما. وهمست لنفسي، هل دار والدي وأطلع الجميع على الرسالة؟

(الطلاق أسوأ من القتل)، خالتي كانت، تردّد ذلك دائمًا. ولن أنسى ذلك.

هتفت طالبة رقم، السيد غينتلمان، كي اسأله عن، مقعد إلى دبلن، ولكن زوجته ردت على الهاتف.

رجاء من المتكلمة؟) سألت. وألقيت سماعة الهاتف برعب، واندفعت إلى خارج الكشك. وبختني موظفة الهاتف التي كانت تستمع على لوحة التحويل لفعل ذلك الأمر، ولم أحبها أبدًا. وذات مرة عندما كنت صغيرة سألتني فيما إذا كانت مارثا والسيد برنينان ينامان في سريرين منفصلين أم لا. لم أخبرها، ولم تغفر لي ذلك أبدًا.

اشتريت بطاقتي بريد، كي أرسلهما، إلى بابا ويوجين، ثم أسرعت أقطع الشارع لكي أطلب مساعدة من جاك هولاند. كانت حانته مغلقة، والستائر مرفوعة. وعلى الضوء الشاحب، قرأت لافتة مكتوبة بالحبر، تحت مطرقة الباب تقول:

/ ذهب لتنقيب أثري، سيعود في الساعة الثامنة/

لم أكن أستطيع التأخر، لأن خالتي كانت تنتظر، من أجل الشاي. ولذلك مضيت نحو البيت. كنت أقود دراجتي في الغسق، وحقيبة الرسائل تضرب ركبتي. وفكرت بيوجين. أحيانًا كانت صورة خياله، تراودني بشكل واضح وفجائي، وكان ذلك يسبّب لي الانزعاج. تخيلت بشرة صدره، المحمّرة قليلاً تحت شعره، حيث جرح نفسه. قدت الدراجة بالقرب من السياج، كي أتفادى قطيعًا، من البقر كان يخب في طريق العودة إلى البيوت، لكي يتم حلبه.

توجهت سيارة نحوي، وكانت من الطراز القديم، وظننت أنه السيد غينتلمان، ولذلك نزلت عن الدراجة، ورميتها في خندق قريب، ولوحتُ بيدي.

تجاوزتني السيارة، غير أنها خففت، من سرعتها بسبب قطيع الأبقار. ركضت خلفها بسرعة، وكان يقودها حقًا السيد غينتلمان.

(كنت أبحث عنك) قلت، وهو ينزّل زجاج نافذة السيارة.

(كاثلين!) قال مندهشًا. لم أكن قد رأيته منذ عامين. كان يبدو أكثر نحافة، وأكثر هزالاً. إلا أن وجهه مازال يحتفظ، بذلك الطابع الغريب والمقدس، الذي يجعلني أفكّر بضوء القمر، وبالطريقة المحتشمة التي، تعوّد أن يقبّلني بها.

(نعم، عدت إلى المنزل) قلت. وأرحت مرفقي، على نافذة السيارة، كان وجهي تقريبًا، في مستوى وجهه.

(وكيف هو العالم معك؟) سألني عرضًا، وكأننا التقينا أمس فقط، تخليت عن خجلي، لأنه كان دائمًا خجلاً وبطيئًا، في فتح باب الحديث.

(ليس سيئًا) قلت. لم أكن أريد روايةالقصة، كاملة له هناك، لأن ذلك ربّما، يجرح إحساسه وشعوره. ولكن هل يعرفها هو؟ وبدا لي، أن الجميع يعرفون قصتي. وعلى أية حال أدركت أنه سيدعوني للركوب، وربما أخذني في نزهة.

(يخيّل لي أنني، لم أرك منذ عهود) قلت وأنا أستعيد، بخجل كل الرسائل التي، كنت قد كتبتها له، على عنوان مكتبه في دبلن.

(كنت مشغولاً جداً، هناك أكثر من مئة موضوع. أنت تعرفين كيف هي الأمور) كان صوته، مازال يحمل رنة الايقاع ذاته، ولكنة أجنبية خفيفة، تطرق أذن المستمع (كان نصفه فرنسيًا)، وكان لطيفًا جداً.

(نعم، إنني غالبًا، أتساءل ماذا حدث؟) قلت كان قد أقنعني بالذهاب معه، إلى فيينا لأيام قليلة. وفي مساء ذلك اليوم الذي، كنا سنمضي فيه، لم يأت ليأخذني.

تطلّع إليّ بحزن، كان وجهه يبدو، أكثر بساطة في الغسق وقال: (كل ماجرى كان للأفضل حقًا، لقد انتابنا حزن على ذلك).

(لم أحزن) قلت بصراحة.

قطّب وعرفت، أنه خجل جدًا، من الأوقات التي كنا فيها سوية، يحتضن أحدنا الآخر، يقبّله، ويهمس له / أحبك/ .

(أنت شابة) قال (إن الشباب يقترفون كثيراً من الأمور الطائشة).

(لم يكن طيشاً. كان ذلك من أجمل الأوقات، خلال حياتي كلها)

استند في جلسته فجأة، وأخذ نفساً عميقًا (إنك فتاة شديدة الطيش، فتاة صغيرة، هل تعرفين ذلك؟)

(هل أنت خجل بي؟)

(كلا! كلا! كلا!) قال بنفاد الصبر القديم ذاته. كنت قد سمعت تلك الـ (كلا) عندما طلبت منه، أن يكتب لي كلمة، في دفتر الأتوغراف الخاص بي. وعندما أردت أن أحتفظ، بكلبه الأحمر الساطر [1] لليلة واحدة، كي أحس أنني قريبة منه.

(وهل إقامتك في المنزل طويلة؟)

(ليست طويلة جدًا، فأنا مخطوبة) قلت، وأنا أحب أن أجرحه آنذاك.

(هل يعرف والدك؟)

سمعت صوتي يصبح، أكثر عصبية (ستكون لنا حفلة عرس كبيرة، ولابد أن يحضر، وسنجلب طعام المأدبة من / ليميرك/ .

---

(١) كلب صيد.

(تلك أنباء عظيمة) قال مبتسماً، وهو يتطلع إلى ساعة معصمه، وأشار إلى وجوب ذهابه.

(دعيني أعرف ماهي، الهدية التي تحبين) قال. وتحركت يده البيضاء، نحو مقود السيارة، ثم حل الحركة (الغيتيسس) ثم أدار مفتاح المحرك.

(وداعًا) قال ولوّح مودعًا، وتعبير حزن يعلو وجهه. هو يعطي دائمًا، ذلك الإنطباع بأنه لايود أن يتركك. . ولكن القدر، أو الواجب، أو الأسرة، كل ذلك يجبره على فعل ذلك. ولم أقل شيئًا، وهو ينطلق بسيارته.

عرفت أنه يذهب إلى، بيت الراهب يوم الأربعاء، ليلعب البريدج. وكانت تلك عادة، قد بدت في العام الأخير، منذ أن أصبح السيد غينتلمان، متدنياً من جديد، وأنه يقوم بحمل كتاب، القداس الكبير، أثناء مراسم الصلاة.

التقطت دراجتي، وسرت باتجاه المنزل. غير مبالية سواء، انتظرت خالتي الشاي أم لم تنتظر. كان الليل قد هبط وأهتدي خلال عودتي بنور القمر الكامل. وأرتجف غضباً، ولذلك لم أستطع قيادة الدراجة. كنت أفكّر بالسيد غينتلمان، بوجهه الشاحب، وعينيه الجميلتين المحبوبتين، وفكّرت كيف تعودتّ أن أظن أنه كان إلهًا، تمنيت لو أنني، أعرف طريقة، أجرحه بها بسبب زيفه.

كان ضوء القمر، يغمر الحقول، والخنادق بضوئه الساطع. وبعض الأبقار تجثم تحت الأشجار، تجترّ طعامها. وإحداها تصدر صوتًا، كالصفير أثناء تنفسها، وألقى ضوء بظلي أمامي، وكدت ذات مرة أن أدوس بقرة بدولاب دراجتي.

(مالذي أخرّك؟) صاحت خالتي، وهي تسير نحوي وتسعل. فقد كان تعاني من نزلة صدرية.

(لاشيء) قلت. شعرت بالملل والغضب منها، ومن كل إنسان.

(ليس لدينا حبة شاي! لم أظن أنك ستتأخرين هكذا!) قالت، وأنا أدور بالدراجة حول المنزل، ومن ثم اسندها إلى الحائط. وأشارت إلى أن والدي لم يأت بعد.

أعددنا الشاي. وفتحنا علبة مربى دراق، ولكننا أكلنا من دون متعة أو شهية.

* * *

الفصل العاشر

مرّت ثلاثة أيام كئيبة، ولم يحدث شيء ما، عدا أن والدي كان يخرج منذ الصباحات، ولايعود إلى المنزل إلا في وقت متأخر. كنا نظن أنه نال، بعض النقود، من عمه، أو أخيه.

ظهيرة اليوم الثالث دفنا العجل لأن خالتي، قالت إن رائحته بدأت تنتشر، وكانت / ماورا/ التي تقوم بأعمال الرجال، قد حفرت قبراً في وقت سابق، ثم حملنا العجل، في عربة يد قديمة، وذهبنا إلى هناك، لأن خالتي قالت إنها لاتستطيع أن تعتمد على / ماورا/ ، لتفعل ذلك بشكل ملائم. كان العجل ملفوفاً في كيس قديم، ولذلك لم يكن المشاهد، يستطيع تخمين شكله، أو أي شيء يتعلق به. وكان يوماً قارس البرودة.

فكّرت بيوجين، وتساءلت ماذا كان، سيتصرف مع مثل، هذا المشهد الغريب، مشهدنا ونحن نقف هنا، ومنظر ماورا وهي تميّل، ثم تسند العربة، ذات اليد إلى أن استقر العجل عليها، ثم دفنّاه بإهالة التراب عليه بواسطة رفش كبير ثم قامت / ماورا/ تسوية وجه الأرض حيث قبر العجل، بعقبيّ حذائها، وكانت تنتعل حذاء وترتدي بنطالاً. وجميع أهل القرية كان يدعونها ميكي. كانت تعمل لدينا لأنها لاتكلف كثيراً وتقدم يد المساعدة في الحلب، وفي تنفيذ المهام الغريبة. وفي طريق العودة، غرزّت عربة اليد في الطين، وكان عليّ أن أرفعها مع ماورا.

(إن البقرة الأم في وحدة) قال. كنا قد وضعنا البقرة، في المخزن، بينما كنا ندفن العجل، وفي المخزن كانت البقرة مصابة بدوار، وتخور لاعقة الأرض وحجارتها.

(جميعنا وحيدون) قالت خالتي. وابتسمت / ماورا/ وقالت إنها ليست وحيدة لأنه كانت توجد سينما في تلك الليلة. فالسينما المتجولة، تأتي إلى القرية مرة كل أسبوع.

* * *

كنت أفكّر بطريقة ما للهرب، ولكن فكرة مطاردتهم، لي جعلتني خائفة.

(هذا وداع للدموع)قالت خالتي بكآبة. فقد أحزنها دفن العجل. كان الموت دائماً في ذهنها، كان الموت شيئاً هاماً في ذلك الموقع. الصلبان الصغيرة مدهونة باللون الأبيض، ومغروزة فوق الحفر، أو الخنادق، على جانبيّ الطريق، هنا وهناك، لوضع علامة حيث سقط أو قتل شخص مامن إيرلندا. ومن النادر أن يمر يوم، دون أن يموت، رجل طاعن في السن، أو امرأة بسبب الانفلونزا، أو السكتة الدماغية، وكنا بطريقة مانسمع فقط عن الوفيات، ونادراً ما سمعنا بولادة طفل، إلا إذا كانت الولادة لتوأم، أو لوليد أزرق (١)، أو لأن الطبيب البيطري أشرف على ولادته!

(سوف تكون الأمسيات طويلة) قلت لخالتي لكي أبعث لديها التفاؤل، إلا أنها تنهدّت فقط.

تناولنا طعام العشاء في المطبخ، وكانت لدينا شرائح، رقيقة مملّحة من لحم الخنزير، وكمية من الملفوف، وبعض البطاطا، التي أعدنا تسخينها، فقد تبقت من اليوم السابق. وبينما كنا نأكل في صمت، مرت سيارة إلى جانب المنزل وتوقفت. وطغى السرور على خالتي، وهي ترى رجلاً غريباً، يساعد والدي على النزول.

(مساء جليل) قال والدي، أثناء دخوله إلى المنزل، ثم وهو يسلمها لفيفة من

(١) طفل مزرّق البشرة لعلة خلقية في القلب.

الورق البني، تضم قطعة لحم طرية مليئة بالدم. كان الرجل الغريب، قد تناول جرعات من الخمر، غير أنه لم يكن ثملاً.

(يجب أن تسددّي دينًا) قال لي. وحاولت أن أتجاهله، بتركيز انتباهي على تقشير البطاطا ببرود.

(واجهت الأب/ هاغرتي/ في القرية، وهو يريد أن يتحدث معك) قال والدي، بدأ قلبي يدقّ، غير أنني لم أقل شيئًا.

(يجب أن تذهبي لمشاهدته)

وضعت زبدة على البطاطا وأكلتها ببطء.

(هل سمعتني؟) صاح فجأة.

(نعم، نعم سوف نذهب) قالت خالتي، ثم سحبته إلى الغرفة الخلفية. ظل الرجل الغريب، يتسكع في الجوار، لعدة دقائق إلى أن عادت خالتي، ثم طلب جنيهاً، لم تكن لدينا نقود، غير أننا أعطيناه ثلاث زجاجات من خمر البورتر، كنا قد أخفيناها في صندوق، منذ عيد الميلاد.

وضعت خالتي، زجاجات الخمر في كيس ورقي، وأعطته إياه، فمضى وهو يسترسل في السباب! ولم تكن لدينا أية فكرة من أين جاء.

جلسنا بجانب موقد الطبخ، نستمع إلى نداء والدي. في حوالي الساعة التاسعة، نادى وهرعت راكضة إلى غرفته.

(أظن أنني سوف أموت) قال. وكان يعاني ألمًا مخيفًا في معدته، تضاربت عواطفي، ربما أهرب بعيداً، وأعطيته عياراً من الملح الطبي.

توجهنا للنوم باكراً في تلك الليلة، نمت في الغرفة المواجهة لغرفة خالتي، وعندما أغلقت الباب جلست على طرف السرير، وكتبت رسالة طويلة إلى بابا،

من أجل المساعدة. كتبت ست أو سبع صفحات، وكانت الشمعة ترسل نورها الشاحب، كنت قد كتبت لها بطاقة بريدية، غير أنني لم أتسلّم أي رد، ومرّ في بالي أنهم من الممكن، قد أخبروا عاملة البريد، بالاحتفاظ برسائلي.

هبت ريح إلى أسفل المدخنة، جعلت ذبالة الشمعة، تتأرجح يمنة ويسرة، كانت هناك كهرباء في المنزل، غير أنها كانت مقطوعة، لأن الرسوم استحقت ولم نسددّها. أخفيت الرسالة تحت اللحاف وخلعت ثيابي. وذكرتني رؤية صدرية نهديّ الأرجوانية.، باللهفة والشوق إلى صباح يوم الأحد، الذي صبغنا فيه أنا وبابا كل ثيابنا الداخلية باللون الأرجواني. وكانت بابا قد قرأت في مكان ما، أنه لون يثير الجنس. وخلال العودة إلى المنزل بعد انتهاء القداس، اشترينا خمسة باكيتات من الصبغة الأرجوانية. ولابد أن العجوز غوستاف. البصّاص كان يتلصصّ من، خلال ثقب المفتاح لغرفة الحمام، لأن / جوانا/ اندفعت فجأة، إلى الطابق الثاني، وفتحت الباب دفعاً.

(لون سام في حوض الغسيل) صرخت وهي، تندفع إلى الداخل.

(كان بإمكانك أن تطرقي الباب، فمن الممكن، أننا نفعل شيئاً خاصاً) قالت بابا.

(ماء مسموم) قالت جوانا، وأشارت إلى المياه في حوض الغسيل. وكانت ثيابنا الداخلية قد انقلبت إلى ألوان جديدة وجميلة جداً، وسأل شاب بابا فيما إذا كانت ابنة أخ كاريناال.

ظللت أرتدي ثوباً دون أكمام، وأنا في السرير، كنا بحاجة إلى بطانيات، وكانت لديّ بطانية مطوية، أضعها فوقي، فوق لحاف صنعته خالتي. كانت الشمعة قد ذابت، إلى أن التصقت بالصحن، عندما تمددّت على جنبي، أغلقت عينيّ كي أفكر بيوجين، تذكرت الليلة التي، سألني فيها أن أقوم بعمل بعض،

حسابات الضرب له. هو يعرف كل شيء، حول السياسة، والموسيقى، والكتب، ودواخل آلات التصوير، غير أنه كان بطيئًا في عمليات الجمع. حسبت كمية المال التي، يجب أن ينالها لقاء، مئة وسبع وثلاثين شجرة، بمعدل ٣٧ لقاء ٦٪ لكل شجرة. كان قدباع بعض الأشجار، إلى تاجر خشب محلي، لأن الغابة تحتاج إلى تفريق فيما بين أشجارها، وكانت هناك علامات دهان زرقاء على الأشجار (المبيعة) ولكنه قال أن تاجر الأخشاب، بعث في الليل فتى، لكي يضع العلامات بالدهان الأزرق، على أشجار إضافية.

قلت (المبلغ حوالي ثلاثمائة وخمسون جنيهًا) هذا هو الحساب الأول. حسبت المسألة بالطريقة التي تعلمتها في المدرسة.

(وبوساطة ذلك، فإن تاجر الأخشاب، سيحقق ثروة صغيرة) قال يوجين، شارحًا بالتفصيل ماذا سيحصل للشجرة من اللحظة التي، قطعت بها إلي أن تصبح، خزانة أو عارضة خشبية في سقف مائل. وكنت أستطيع رؤية الألواح الخشبية البيضاء، بعقدها الجميلة وأكوام النشارة الذهبية على الأرض، وهو مهتاج إزاء الفائدة التي يحققها رجل واحد.

ومضيت إلى النوم وأنا أتساءل، فيما إذا كنت سأراه ثانية.

في الصباح أحضرت خالتي الشاي، وقالت إن القس قد بعث برسالة تقول، إنه يتوقع رؤيتي. ارتديت ثيابي وغادرت المنزل، حوالي الساعة الحادية عشرة. وظل والدي في السرير في ذلك الصباح، وركضت المجنونة / ماورا/ إلى القرية من أجل جلب زجاجة ويسكي دينًا، على أمل أن يدفع والدي ثمنها لاحقًا.

دائمًا عندما أنجو من المنزل، أشعر بدفقة من الحيوية، وآمل أن تتاح لي الفرصة التي يمكن لي من خلالها، أن أفرّ وأن أعيش حياتي بالطريقة، التي أحبها.

كان الصباح عاصفًا ومشمسًا، وكانت الحقول تكتسي، بخضرة محببة، والسماء زرقاء الغيوم، وتبدو التلال من خلف السهول داكنة.

همست لنفسي، إن الطقس جميل، وأنا أتنفّس بعمق، راكبة دراجة خالتي، وهابطة المنحدر نحو الطريق.

لم أذهب إلى منزل القس، كنت خائفة جداً، وعلى أية حال، لاأحد يستطيع العثور عليّ.

مضيت متبعة انحناءة النهر، ومصممّة على إرسال الرسالة، إلى بابا من خلال صندوق البريد في القرية التالية.

كانت السهول، على طول الطريق غارقة، في صمت الشتاء، كان بعضها القليل محروثًا، وبدت الأرض المحروثة خامدة ورمادية اللون.

لو كنت فقط أستطيع الطيران. فكّرت وأنا أراقب الطيور، تحلق عاليًا، ثم تسفّ في طيرانها فوق أكمات، الأشجار الشوكية، والأعمدة المكسوة باللبلاب.

هبطت ببطء بدراجتي، لم أكن أقودها بسرعة كبيرة. كان الجو ساكنًا ماعدا، همهمة الأسلاك الكهربائية. كانت الأعمدة السوداء، تحمل الأسلاك الكهربائية، عبر الحقول وترسل دمدمة وكأنها موسيقى عاصفة.

وعند سفح التل / غولهين/ هبطت عن دراجتي، ودفعتها في المرتقي، ثم وفي منتصف الطريق وقفت، لألقي نظرة على المنزل المتهدم على قمة التل.

وأنا واقفة في، منتصف الطريق أفكّر بقصة والدتي، عن ذلك المنزل المتهدم، مرّت من جانبي عربة البريد، وكان على سائق العربة، أن يتفادى خندقًا ويتفاداني أيضًا.

(أنا آسفة) قلت وأنا أهز يديّ، ضحك وهو ينظر إليّ، كان فتى ذومزاج مرح، وسألني ماإذا كنت أحب أن أركب ليقلني. أشرت إلى لافتة، مدهونة

[illegible] على العربة (لا يتسع [illegible] ركاب) ولكنني شاهدت امرأتين، تجلسان في، مؤخرة العربة فوق حقائب البريد.

(أنت محقة) قال. وأعطيته الرسالة الموجّهة، إلى / بابا/ وشلنين له، شخصياً كبقشيش.

ثم ركبت دراجتي، وتوجهت نحو المنزل. كان طريق العودة أكثره هبوطًا، ولذلك لم أكن مضطرة، لاستخدام بدالّتي العجلة كثيراً. العجلتان تصدران صوتًا كلهسهسة، وأسلاكهما ناتئة، والطريق كثير المنعطفات. كنت قد خططت لما أريد قوله لخالتي، ولم أشعر بأي ذنب أبداً، وأنا أقود دراجتي نحو أرضنا وأدخل إلى المنزل.

كدت أقع عندما، رأيت القس البغيض، جالسًا في مطبخنا يشرب الشاي، بأحد أكوابنا الجميلة، التي نحفظها للمناسبات الجميلة.

(هاهي!) قالت خالتي، وتطلع القس إليّ.

(حسنًا ياكاثلين! تصورت أن شيئًاما، قد أعاقك، لذلك مررت لكي، أرى كيف أنت).

(كنت قد غادرت، عندما لبيت دعوتك) قلت بسرعة وتهور.

حدّق إليّ بقسوة شديدة.

(إذا سمحت لي أيها الأب) قالت خالتي، ثم غابت، وهكذا كان يستطيع أن، يتحدث معي، على حدة وانفراد.

ابتدأ الأب هارغي فوراً (ياكاثلين! لقد سمعت بعض، الأخبار السيئة من والدك، اجلسي وأخبريني عنها).

جلست في مواجهته، وكانت خالتي قد وضعت وسادة بين ظهره ودعائم المقعد من الخلف، وبدا وكأنه قد قرّر الجلوس لحديث طويل.

أكون طبيعية وغير مبالية. قطّب جبينه. ودون سبب خاص، عدت بذاكرتي إلى الوراء، وتذكرت الماضي، عندما كان يقوم الأب هاغرتي، بجمع الأموال من أجل بناء كنيسة صغيرة جديدة، وكيف عقد حفلات الرقص، في صالة المدينة أيام الآحاد، وقام بالخدمة بذاته وراء البار. وقال الناس، إنه كان يدلق بواقي الزجاجات، لكي يجهزّ زجاجات جديدة من شراب الليمون! وأنه ذات مرة تلقى، جنيهاً ثمناً لتذكرة واحدة، ولكنه لم يعد البقية، وبعد كل ذلك جلب نقود التبرعات وكانت شلنات فقط!

(إنك تمشين في درب رديئة خلقياً)

(لماذا أيها الأب؟) سألت بهدوء، طاوية ذراعيّ، في حضني، محاولة أن أبدو رابطة الجأش، كنت أحب. أن أضع ساقاً على ساق، غير أنني مازلت أعتقد أن ذلك أمراً غير محتشم، في حضور رجل دين.

(إن هذا الرجل صحبته خطيرة)، وليس لديه إيمان، ولامعايير أخلاقية، هو تزوج امرأة ثم طلّقها، وهما ربطهما الله معاً، لايجب السماح للرجل بالتباعد) قال.

(يبدو أنه رجل صالح، هو لايشرب ولايقترف أي شيء) قلت.

(آه، يابنتي المسكينة) قال الأب هاغرتي، وبابتسامة صريحة، تحمل معنى الظفر، وأتذكرها من أيام مدرستي. هو دائماً يبتسم للأطفال، ويقدّم لهم السجائر. وفي يوم تعميدي واساني، بإعطائي شلناً واحداً، عندما تمزق خماري، بسبب بوابة الكنيسة.

(هل تريد مزيداً من الشاي أيها الأب؟) سألته.

(لا، شكراً) قال وهو، يضع يده الشاحبة على وجه الكأس. كان شاياً ثقيلاً جداً، وكان لابد من إضافة بعض الحليب إليه.

(فكّري بروحك الأبدية) قال، وكأنه يلقي، موعظة من فوق المنبر، (فكري بالأذى الذي ،تلحقينه بروحك، نحن جميعاً تحت حكم الموت، ولانعرف أبداً الساعة ولا الدقيقة التي يحل بها ...).

أزعجني ذلك، نكّست رأسي، ولم أكن أستطيع التفكير بشيء كي أقوله جوابًا على ذلك. وكان باستطاعة المرء أن يرى صورة وجهه من خلال مسحة حذائه الأسود اللامع.

(إنه الله يختبر حبك، سمح الإله لهذا الرجل، أن يعترض طريقك وأن يغويك، ولذلك يجب أن تعيدي، تأكيد حبك للإله، عليك أن تسألي، وهو سوف يمنحك الغفران، لمقاومة هذا الإغراء القوي).

(إذا كان الإله طيبًا، فهو لن يحرقني) قلت للأب هاغرني، مستشهدة بجملة يوجين التامة.

اعتدل القس في جلستة، وهز رأسه بأسف وحزن، من جانب إلى جانب. (أيتها الطفلة، ألا تلاحظين أنك تتفوهين بهرطقة! أنت تعرفين أنك، لن تدخلي ملكوت السماء، حتى تطيعي كلمة الإله، أنت تديرين ظهرك لله) قال ذلك بصوت مرتفع. تطلعت إلى عينيه، وتساءلت ماذا يكمن خلفهما. الشفقة أم مجرد واجب؟ وضع يده فوق فمه وسعل بدماثة. توقع أن أقول شيئًا ما، ولكن لم يكن، لديّ أي شيء لكي أقوله.

انفتح الباب ودخل والدي، بقميصه وسرواله الداخلي الطويل. أصابته صدمه عندما رأى القس.

(معذرة أيها الأب! لم أكن أعرف أنك هنا) قال وهو ينسحب داخل البهو.

(ذلك لايهم ياسيد برادي)

ارتدى والدي معطفه بعدئذٍ، ودخل إلى المطبخ، وهو ينتعل مشاية المنزل

(شحّاطة)، كانت عيناه محمرتين، خطا ليعد كأس شاي لنفسه، وقال إنه أمل أن يكون، الأب هاغريتي قد هداني إلى سواء السبيل، وأنني فتاة عنيدة لاأستمع إلى أي إنسان. عنيدة! ذلك ماكنت عليه. كان باستطاعتهما التحدث، وأن يوبّخا، وأن يتحدثا من جديد ولكنني لن أجيب. كنت جالسة هناك، أعبث بردن معطفي، وابتسامة خفيفة تعلو وجهي، مفكّرة أنه من المحتمل، أن يضربني والدي لأنني وقحة. كان ذلك مافعلته.

(إنها لن تستمع إلى المنطلق) قال والدي.

(سوف تستمع إلى الله عليّ القدرة) قال الأب هاغريتي.

(إنها لم تجلب باقة ورد، عندما عادت إلى المنزل) قال والدي.

(حسنًا، انتظر دقيقة) قال الأب هاغريتي، وهو يفتّش في جيب ردائه الأسود (أحضرت لها كتابًا صغيرًا).

كان مجلدًا جميلاً، وله حافة ذهبية وعنوانه / على خطى المسيح/ .

(شكرًا أيها الأب) أخذته، وقد لمحت دمعتي تسقط على غلافه البني.

(ذلك أمر حسن جدًا، أيها الأب هاغريتي) قال والدي، وطلب مني أن أشكر، القس بطريقة مهذبة، شكرته مرة ثانية، وقال إنه يجب عليّ، أن أقرأ قليلاً منه كل يوم، وأن أحذو حذو السيد المسيح.

ثم تطرّق إلى جوهر الموضوع، الذي كنت أخافه كثيرًا. طلب مني التعهد، بألا أرى أبدًا، الرجل المطلّق ثانية أبدًا. وألا أكتب إليه أبدًا. وألا أسمح لأفكاري أبدًا، أن تستعيد ذكريات اللحظات التي قضيتها معه.

(هل تعاهديني على ذلك؟) سأل.

(افعلي مايقال لك) قال والدي، ولكنني لا أستطيع ذلك.

سألني القس ثانية، وصرخ والدي، وظللت أنكّس رأسي، لائذة بالصمت. صرخ والدي بصوت أعلى، وقال القس (اهدأ ياسيد برادي) وطلب من والدي، أن يأخذ كأس الشاي، وأن يعود إلى سريره وألا يثور.

(إنها لخطيئة كبيرة، بالنسبة لوالدي أن يكون كذلك، وخاصة بالنسبة لرجل له زوجتان) قلت للقس عندما كنا وحيدين.

(إنني مندهش منك) قال (أن تتحدثي عن، والدك الطيب هكذا. كل إنسان يشرب، إنه طقس). وعندما يقطّب حاجبيه كانا يبدوان كثيفي الشعر.

سأل ثانية (هل تعدينني أنك، لن تشاهدي ذلك الرجل؟)

(سأفكّر بذلك) قلت، وكانت تلك هي، الطريقة الوحيدة للتخلص منه.

(سنقوم بتلاوة الندم التام، كلانا معًا) وبدأ (آه ياإلهي)، انتظر بينما، كنت أردّد وراء (الكلمتين) آه يا إلهي، ثم تلا (إنني آسف من كل قلبي) ثم صمت، كي يسمعني أردّد ذلك، وهكذا إلى أن أنهينا المزمور.

نظر إلى ساعته، وقال إن الوقت حان للغداء، وعندما نهض ليذهب، ناديت خالتي من الطابق الثاني، وهكذا كان بإمكانها أن تشكره.

(سوف أراكِ في الكنيسة على أية حال) قال موجّهًا الحديث إليّ. (هناك اجتماع للنساء هذا الأحد، واعتراف ليلة السبت).

(حسنًا أيها الأب) قلت دون أن، أبذل أي وعد أو تعهد.

(ستكون بخير الآن، ولن تذهب إلى حفلات راقصة الآن) قال. وعندما هبطت خالتي، أدركته وهو عند البوابة، وظلت واقفة هناك إلى أن، غاب شبحه الأسود عن الأبصار.

(أليس أمراً رهيباً! إننا لم نقدّم له عطيه، من أجل القداس!) قالت وهي تعود.

لم تكن لدينا نقود، وفكّرت شد ماهو أمر محزن، أن شخصين ناضجين، يعيشان في ذلك المنزل الكبير، وليس بحوزتهما شلنان! لن يصدّق ذلك، متسول لو قرع الباب.

(نشكر الله أنه جاء).

ويبدا أنها تفكر، بأن كل شيء، على مايرام الآن، وأنني في، منجى من الخطر. والأمر الغريب، أنني كنت أكثر تصميماً، من أي وقت مضى، على الهروب بعيداً.

* * *

الفصل الحادي عشر

وأخيراً، طلب والدي أن نستدعي الطبيب، لأنه شعر بالضعف، ولم يعد قادراً على الأكل، لعدة أيام. وأعطاه الطبيب حقنة، وطلب منا أن نحدد وبمعيار، كمية الكحول التي يتناولها. وجلسنا لرعايته بالتعاقب، وأعطيناه ماء غازياً، مع كمية قليلة من الويسكي مخلوطة معه. وكنا نقلل الكمية في كل مرة. ولم أتلق من يوجين أو بابا، أية رسالة وكنت شديدة القلق.

(أنا آسف) ظل والدي يردد، كلما كنت جالسة، على السرير بجانبه، وأنا أمسك الكأس له وأرفعه إلى، شفتيه كي يشرب. كانت يداه ترتجفان، ولم يكن يستطيع حمل الكأس أو الإمساك به، وكذلك موس الحلاقة. كان يبكي مثل طفل. يبكي دائماً بعد الشراب لعدة أيام، وكان خجلاً من التحدث إلى أي إنسان، وكان يأسه مخيفاً.

(أمر جميل أنك عدت إلى المنزل) قال (لماذا لاتدخنين سيكارة؟ بالتأكيد جميع، الشباب يدخنون هذه الأيام. أنا أعرف ذلك، إنني رجل متفهم جداً) وكنت أفكر بمكتب يوجين، المليء بالسجائر، وعلبها الكثيرة، والمطبوع على أغلفتها / الدخان خطر ويسبب مرض السرطان/ .

(تابعي، ألا تستطيعين؟) قال والدي. ودخنت سيجارة، كي أتفضل عليه بذلك، وكنت أتساءل متى، سوف يسمح لي بالعودة.

(أنا أريد صالحك طبعاً) قال (لقد كدت أموت، يوم تسلمت تلك الرسالة، لمجرد التفكير، أنك تخالطين مثل ذلك، الرجل قاطع الطريق) وكانت كلمة (قاطع الطريق) تثير سخطي الشديد، إلا أنني كنت أتحكم بمشاعري.

(إنني أكبر منك عمرا، وأعرف الصالح من الطالح) كان يتكلم بلهجة تودد واعتذار، ويمسح عينيه الباكيتين، بمنشفة وينف أنفه.

(سأكون أفضل عندما أعود، سأكون حريصة) قلت.

(أية عودة؟) تساءل. وهو يستند في السرير. (لن تعودي! سوف تحصلين، على وظيفة صغيرة هنا، وتساعدين الخالة موللي، وتساعديني. هكذا أفكر) قال. وغمزني وكأنه يود، أن يفصح عن شيء ما، هام وكثير السرية (كنت أفكر بأنه من المحتمل، أن نبدأ عملاً صغيراً هنا، نجدد الكوخ الأمامي، ونبدأ بعمل ما، بعد أن ندفع أجرته، وقد نستطيع شراءه، إذا عملنا جيداً) وكان جادا في الإفصاح عن رغبته تلك.

(سأعود فقط، وأحضر ملابسي من منزل جوانا) قلت، محاولة ألا أبدو مهتمة كثيراً، كنت أريد أن أقول، أي شيء للهروب بعيداً.

اشتدت قبضته على رسغي، وقال (سنذهب إلى / ليمريك/ يوماً ما، نحن الإثنان، وسوف نشتري لك، بعض الثياب الجديدة).

(سوف يكون ذلك اتلافا للنقود) قلت.

طلب دورة جديدة من الشراب، ولما كانت توجد كمية قليلة، من المياه الغازية، اقترحت خالتي أن أذهب، إلى دكان / جاك هولاند/ وأن أجلب مزيدا منها، قبل أن يحل موعد إغلاق الدكان. كانت في المطبخ تعد كعكة، وكان باكيت السيلوفان، الذي يحتوي على حبوب نبات الكراوية، على الطاولة بجانبها، وكنا جميعاً نحب بذور الكراوية، في الخبز ماعدا / ماورا/ التي، كانت تخرجها وتظن، أنها جراثيم أوما شابه ذلك.

جمعت القوارير الفارغة، وتوجهت نحو دكان هولاند.

* * *

(آه، يالقصيدتي الصغيرة السمراء، سمرة جميل! أجمل قرية في السهل كان / جاك/ يتلو هذا، المقطع الشعري، عندما دخلت إلى الدكان. واندفع خارج الحاجز، لكي يقبلّني، وكانت ذؤابة أنفه باردة ورطبة.

(هل هدأت الأحوال؟ وهل بردت الأمور في المنزل؟ وهل عاد كل شيء طبيعيًا؟) سأل أسئلة متلاحقة. (نعم) قلت (إننا نتصافى الآن، ونقوم بحملة تنظيف، سوف نجلب لك، عربة محمّلة بالقوارير الفارغة).

(وسوف أرتّب لك، قائمة كبيرة بالمدفوعات المستحقة) سأل مبتسمًا، وهو يداعب ذقني بإصبعه (هل تعرفين ماذا قال والدك؟ عندما رفضت أن أعطيه أغراضًا بالدين؟)

(لا) مع أنني كنت أعرف.

(قال والدك) ابتدأ جاك (أليس من الأفضل لك، أن تحفظها في دفتر لعين، بدلاً من الاحتفاظ بها، داخل برميل ملعون؟ لم تكن النادرة مضحكة. لم تكن سارة أبدًا. ولكن دعيني أريك مثالاً، لشيء ما يثير الضحك). وأشار جاك إلى لوح، من المقوّى كتب عليه بالحبر (لادين اليوم، وغدًا كل المشروبات، دون مقابل).

أطلقت ضحكة قصيرة، كي أجعله سعيدًا.

كانت ليلة الاثنين، وكان العمل قليلاً جدًا. جلست امرأة سمكرية [1]، وظهرها الينا، وتكيل الشتائم وهي تعبث بكأس خمرتها الفارغة، كان شالها البسيط كالحًا. عبأ / جاك/ كأسًا اخر لها وانتظر دقيقة إلى أن، استقرت رغوة الخمر، ثم انعطف نحو، برميل الخمر ليصب، كمية من الخمر، في، وعاء كبير. وبعد أن أسند الوعاء خلف الحاجز، تناول النقود من المرأة، ثم توجّه بالحديث إليّ.

---

(١) امرأة تعمل في تصليح الأنابيب أو لحام الأشياء المعدنية.

(إن داعيك في دائرة الضوء، وسيصبح خبراً، قريب الإعلان).

(تهاني) قلت (وماهو؟)

(خبر وشيك الحدوث)، وكان يجب عليه، أن ينفذّ طلبًا داخل الدكان، ثم انعطف لكي ينظّف زجاجات الخمر التي، كان الغبار يعلو، زجاجها. كانت هناك، مصائد ذباب معلقة، في سقف الدكان منذ العام الماضي، وكان نسيج العنكبوت في زوايا الرفوف، (أمر وشيك الحدوث!) وكان يجب عليه، أن يمسح أنفه، وأن يرتيدي قمصانًا مختلفة، كان يرتدي فانلة داكنة اللون، وسترة من قماش التويد، وحذاء أسود.

(نتيجة للتنقيبات الأثرية، الخاصة والأخيرة التي، قام بها داعيك، فعلاً في أرض المقبرة البروتستانتية، فإن بعض الأشياء خرجت إلى النور) همس، كيلا تسمعه المرأة (السمكرية). وبعد أن فتح جاروراً، أشار إلى عدة أشياء، كانت موضوعة فوق السكر- دبوساً زينة، وإبريق معدني، القصدير معظم خليطه وسيف، ومبولة لغرفة النوم، ولفة سلك لمحوّل. قامت المرأة السمكرية، عن مقعدها الخشبي الطويل، وتقدمت لإلقاء نظرة، فأغلق الجارور فوراً، وغمغمت المرأة بشتيمة.

(جاك هل لك أن نسدي معروفًا لي؟) سألت.

(آه) قال (تريدين أن تتزوجيني الآن، لأنني من المحتمل، أن أكون شخصًا هامًا).

واقترب مني بوجهه الشاحب، وتأكدت وأنا أحدّق إلى عينيه الشهلاوين، أنه كان الكائن الإنساني، الوحيد وسط كل ذلك الجوار.

(جاك! ستساعدني؟) قلت برجاء.

(تساعدني كلمة مشؤومة جداً، مارأيك بقبلة صغيرة لتعيدي الحياة إلى شفاه ميتة؟) قال، وجرني نحو مكان محجوب، عن الأنظار لكي يستطيع تقبيلي. كان

المكان صغيراً، وقد اقتطع من الدكان ومليء بالزجاجات. قبّلته لكي أنتهي من الأمر، لم أهتم بتقبيله حقاً، لأنه كان في الستين أو السبعين، بينما كنت في الحادية والعشرين، وكنت أعرفه طوال حياتي، أحب أمي، وفيما بعد أحبني، وكتب قصائد لنا. لم نرَ القصائد أبداً. وكان للتو قد أشار، إلى تلك القصائد، ثم أخفاها بين الصفحات الصفراء المعلّمة لكتاب (محكمة نصف الليل). وكان أحد كتابين يحفظهما / جاك/ فوق مصطلى المطبخ، مع ملح صخري، وحزمة من الورد المجفّف. أما الكتاب الثاني فكان (تقويم المشروبات)، حيث يعطيه المعلومات، عن أسواق المشروبات، وبراميل الخمر، والزجاجات المعتّقة.

(أريد أن أذهب بعيداً، وهم لايسمحون لي) قلت.

(آه! أيتها الجوالة الصغيرة، إن الأماكن الغريبة، ذات الأسماء الغريبة تناديك) بدأ يغنّي ورفس علبة سجائر فارغة بقدمه، مضى ثم عاد وهو، يحمل لي كأساً مليئًا من الشراب المنعش، دون أن يفكر أن إحساسي الذوقي، قد تبدّل عبر تلك السنوات. . كان الشراب حلو المذاق.

(أنا أحب شخصاً ما، وهم يحتجزوني ولايدعوني أراه) قلت. وبالغت قليلاً كي أحنّن قلبه. لم يغضبه قولي، أنني أحب شخصاً ما آخر، لأن الزمن بالنسبة إليه قد توقف منذ خمسة عشر عاماً، وكنت آنذاك طفلة، أمرّ من جانب نافذة الدكان، في طريقي إلى المدرسة، وأكاد أتلعثم وأنا أقول مرحباً.

(سمعت بكل القصة، كل المدينة تتحدث بها) قال، ثم أضاف بهمس:

(تعالي فإن للحيطان آذانًا) وقادني إلى داخل الرواق، وتناول شمعة جديدة، من رزمة الشمع، وعلى ضوء الشمعة، رأيت وجهه الشاحب والهزيل. مد رأسه عبر الباب، لكي يتأكد من أن المرأة السمكرية، لا تسرق شيئًا.

(متى تستطيعين الذهاب؟) سأل.

(في أي وقت).

ودخل زبون جديد إلى الدكان، سمعنا جلبته فور دخوله، فقد بدأ يدق، الحاجز الخشبي بقطعة نقود. عاد جاك إلى الحاجز، ليلبي طلب الزبون. وفي الظلام ظللت وحدي، لأنه أخذ معه الشمعة، وسمعت صوت فأر يتحرك، كانت هناك كهرباء في، الدكان ذاتها، ولكنه لم يزعج نفسه، بتمديد الكهرباء إلى المنزل كله، بذريعة أن الكهرباء مكلفة.

عاد خلال لحظة، وقال (سنقوم ذلك يوم الجمعة، كوني هنا في الساعة التاسعة، ستكون لدي سيارة كي آخذك إلى / نينف/).

(وهل تستطيع إقراضي نقوداً، من أجل القطار؟) كنت أكره السؤال. ووعدني أن يقرضني خمسة جنيهات، بضمان أنني سوف أردها.

(أمر واحد وأخير) أضاف (سوف أساعدك، وأنت سوف تساعديني، ماذا عن التأثير، على والدك وخالتك موللي، كي يعودا إلى الكوخ الدافئ؟). و/ الكوخ الدفئ/ هو غرفة البوابة، وكان جاك يريدهما للعودة إلى هناك، ولذلك فهو يستطيع ترك المنزل الكبير. وعدت أن أبذل قصارى جهدي، مع أنني أعرف أن والدي، ليست لديه أية نية بالرحيل أبداً.

أعطاني جاك، إبريقًا صغيراً، من الويسكي وثلاث زجاجات، من المياه الغازية ووضع قشا في، قاع الحقيبة كي لاتتكسر الأغراض.

(انتبهي لزجاجات المياه الغازية، وامنحي جاك قبلة صغيرة) قال، ولمست شفتيه، وغمرني بثلاث قبلات خرفاء.

(اجمعي لي، غمار الورد، عندما يحل أيار) ردّد مقطعًا من أغنية وهو يقّبل أطراف أصابعه، ويلوّح في إثري.

(أنت ملاك) صرخت، وكنت أعني ذلك

* * *

قدت دراجتي نحو المنزل، وأنا أفكر ملياً بالأعذار المتعددة، لكوني في الخارج ليلة الجمعة. وأعطتني الخياطة حلاً. وصلت إليها وهي، تفرغ دلوا في النهر، من فوق الجسر، وهي لاتستطيع افراغه إلا ليلا، عندما لايكون هناك شخص طفولي. ،سألتني عن أخباري، ودعوتها لكي تزورني ليلة الجمعة.

وفي المنزل أعطيت والدي، حبتي اسبرين وبعض الشاي، وقلت:

(إنني ذاهبة إلى السينما في / ليمريك/ ليلة الجمعة. فقد دعاني برنينان).

وعندما ابتلع حبة اسبرين قال (ربما أذهب إذا تحسنت حالتي).

(قال الطبيب أنك، لاتستطيع النهوض، قبل الأحد) حذرت.

(ربما خالتك تحب الذهاب) اقترح.

(ربما) قلت وأنا أعرف أن خالتي، تحب أن تمكث في المنزل، وتتسلى بخياطة الثياب.

جلبت موس حلاقته، وصابونة الحلاقة، وكوزا، من الماء الدافئ، وأمكست المرآة له وهو يحلق.

(حول ماذا يدور الفيلم؟) سأل، وهو يحلق الشعر المغطى بالصابون، ثم يغطس الموس، في ماء صحن مكسور، كنت قد خصصته لذلك الغرض.

(الملازم يرتدي بنطالاً قصيراً) قلت. وأنا أتذكر عنوان الفيلم، الذي شاهدته ذات مرة، في دوبلن.

(لابد أنه فيلم جيد) قال.

* * *

مرت ثلاثة أيام، وتصورت في عقلي، أنه في لحظة الفرار، وقد ألقى القبض

عليّ كيف أعود مجرورة جراً. عملت بجد شديد، وتحدثت كثيراً مع والدي. فركت مفاصلة المصابة بالروماتيزم، وكنت أجلب الشاي إلى خالتي، كل صباح وهي في سريرها.

(سوف تفسديني بهذا التدليل) قالت.

(ليس لمدة طويلة) فكرت وأنا أبتسم لها. لقد ابتسمت كثيراً، خلال الأيام الثلاثة تلك. وكنت أخلف إذا تحدثت طويلاً، فربما أعيق نفسي. كنت أبتسم وأعمل، نظفت نوافذ الطابق الأرضي، كما عزلّت أرض القن، الذي ملأته الدجاجات بالقذارة، وعرضت / ماورا/ مساعدتها، وعملت معي لمدة دقيقتين مثل مجنونة، ثم فقدت اهتمامها، وتذرعت بأنها ماضية، لاستخراج بطاطا من الأرض لخالتي. نظفت كنسا وشطفًا بالماء، سبع غرف للنوم فارغة.

(هناك خفاشان في الطابق الأعلى) قلت لوالدي، وذلك كذريعة للحديث.

(أين؟) وقفز من السرير، وصعد إلى الطابق الأعلى وهو يرتدي سرواله الداخلي الطويل، ثم تناول المكنسة طويلة الذراع، وأيقظهما من بياتهما الشتوي وقتلهما.

(حيوانان بغيضان) قال، وكنستهما خالتي، بواسطة قطعة من الورق المقوى، ثم قامت بحرقهما في موقد الطابق الأرضي. وقالت يجب علينا، أن نفعل شيئًا ما إزاء الغرف. كانت الجدران رطبة، وسقطت قطع من أوراق الجدران، وبدا الطلاء الكالح. غير أننا أغلقنا الأبواب، وأسرعنا بالهبوط إلى المطبخ، حيث كان دافئًا.

* * *

مساء الجمعة وبعد تناول الشاي، قمت بوضع بعض، اللمسات على وجهي، أمام مرآة المطبخ، ثم دخلت لالقاء تحية المساء على والدي.

(خذي عشرة شلنات ورقية، من جيب بنطالي الكتاني القصير) قال. بحثت ووجدت الورقة النقدية، وقد علقت بها آثار من الدخان. كما وجدت سيكارة مثلومة في جيبه.

(أراكم فيما بعد) قلت.

(حسنا) قال (تستطيعين إعداد كأس، من الشاي لي عندما تعودين. أيقظيني إذا كنت نائمًا) لم أصافحه مودعة ولم أقم بأي شيء آخر مخافة إثارة شكوكه.

(حسنا، آمل أن تتمتعي بحديث طويل) قلت لخالتي. كانت جالسة في المطبخ، وتنتظر الخياطة، وقد لبست ثوبها الأسود الجميل، وانتعلت أفضل أحذيتها، بدلا من احتذاء (الشحاطة).

(متعّي نفسك) قالت وهي تبتسم متطلعة إليّ. قالت ذلك بطريقة دمثة، وكدت أنهار، وأخبرها بالحقيقة. بدت جميلة وهي تجلس هناك. كان وجهها موردا، ويداها مزينتان باسوارتين، وسلسلة تتدلى من حول عنقها وأمامها صينية من، أجل الشاي، وكعك الشاي المدهون بالزبدة.

(لاتنتظريني، لاتسهري) قلت وأنا أقبلّها، وأتنمى لها ليلة سعيدة. ثم مضيت خارجة.

* * *

الفصل الثاني عشر

وحالما أصبحت خارج المنزل ركضت، وركضت عبر الحقول (وذلك أكثر أمنًا من الطريق) إلى أن، وصلت إلى سهل صخري، قرب معمل للسمنة والقشدة. ثم تابعت الطريق المؤدي إلى القرية ركضاً.

كان جاك قد وعدني، أن يترك باب الرواق مفتوحًا، في حالة شاهدني أي إنسان، كي أدخل إلى البار. دفعت الباب ورأيته، يسقط إلى الداخل فقد كانت مفاصله مخلوعة. وكان قد خلُع الباب من مفاصله، في ليلة مأتم أم جاك ولم يتم إصلاحه منذ ذلك الوقت.

ولابد أنه قد سمع الضجة، لأنه خرج مندفعًا، إلى داخل الرواق قادمًا من الدكان، وهو يحمل شمعة بيده.

(ياإلهي العليّ القدير، لقد ذكرني هذا بقاطعي الطريق) همس (في الليلة التي، خلعوا الباب فيها ودخلوا).

حملت الشمعة عنه، بينما كان يرفع الباب، ويحاول تثبيته، ثم أعطاني مغلفًا يحتوي، على خمسة جنيهات.

(سأردها لك) وعدته.

(قطعة واحدة؟) همس، وعندما هززت رأسي أن نعم، نادى رجالاً كانوا في الدكان. (تعالوا إلى هنا ياأولاد، وظلوا إلى أن أعود).

مشى أمامي عبر الرواق الضيق، ومن ثم المطبخ، حيث كانت دجاجتان أو ثلاث يرقدن فوق المصطلى.

وعندما خرجنا إلى فناء المنزل، انطفأت الشمعة من الريح فوراً، وسعل شخص وهو يتقدم نحونا. أعلن جاك (توم دوغان! هذه هي امرأتك).

قلت (مرحبا) في صوت منخفض.

كنت أعرف / توم دوغان/ بالاسم، وأعرف أنه يعيش في أقصى البلد، وأن له يدا واحدة من حديد، وتساءلت بيني وبين نفسي، كيف وجد جاك رجلاً، بيد واحدة لكي يحرسني.

(أين تريدين أن تذهبي؟) سأل دوغان بفظاظة. وكان له صوت خشن، يملكه معظم الناس الذين، يعيشون في تلك المنطقة، صوت نشأ بين الريح العاصفة، والأيام القاسية، وتعود أن يصرخ ويصيح إذا أراد طلب شيء.

(أريد أن أذهب إلى / نينف/ لكي ألحق بقطار الساعة الحادية عشر) قلت، وتساءلت فيما إذا كان جاك، قد حكى له القصة كلها.

(اركبي) قال آمراً، وجلست في السيارة، ووجدت أن مقعدي منخفضاً، انخفاضاً غريباً. تمنى جاك لي، حظّاً سعيدا وقبلني بحزن، ثم صفق الباب. أنزل / دوغان/ مسنن الحركات وأغلق النوافذ، وتحركت السيارة وتخطينا باحة المنزل، ثم انعطفنا نحو الطريق الرئيسي.

(ساعة غريبة في الليل، للذهاب إلى مكان ما) قال. ولم أجب. وفجأة شعرت بالخوف منه. لأنني تذكرت مايدور، حول أخته الغريبة. لم تكن رجلاً ولا امرأة، ولكن كانت مزيجاً منهما. كانت تدعى بـ / الفلتة/ وكان يلقب بـ / ابن القارض/ لأنه قام بسم العديد من الفئران. وكانت أخته تدعى أحياناً / المتعرية/ لأن بعض الفتيان من أبناء المحلة قالوا إنهم يحبون أن يرفعوا لها ثوبها لكي يروا ثيابها الداخلية.

(إنها سيارة جميلة) قلت. محاولة تملقه، وكانت سيارة مخيفة، سوداء، بالية وقديمة، من طراز فورد القديم، تحشرج وتقرقع في كل منعطف.

وعندما عبرنا بوابة منزلنا، توقعت أن أرى والدي، وهو يحمل بندقية. لم أرَ أحداً سوى شبح يدخل من خلال البوابة الصغيرة، وكان لابد أن تكون الخياطة.

وفي الحال كنا، في الخارج وعلى، الطريق الريفي الهادئ، متجاوزين البيوت الساكنة. كان سائقًا طائشًا، وتمنيت لو كانت له يدان سليمتان.

(ماذا تودين أن تفعلي؟) سأل بصوت وقح. تساءلت كم دفع جاك له، وفيما إذا كان من الممكن أو أنه، يجب أن أرشوه بمبلغٍ إضافي أكثر.

(لاتسألني) قلت محاولة دفع خوفي، دون أن أغضبه. فلم يكن الأمر مسليًا، إذا تركني على قارعة الطريق.

(والدك رجل جيد، والجميع يحبونه، فهو إنسان شريف، ولقد اشتريت عجلاً منه، خلال المعرض الثاني الأخير)قال.

(يتحدث عنك أحيانًا) قلت كاذبة.

(وهل يتحدث عني الآن؟) كنت أحس بابتسامته، وهو يسأل ذلك. (إنك تملكين شعرا جميلاً، شعر جميل لكي ينتشر فوق مخدة) وكانت خالتي قد غسلته لي، بماء المطر يوم أمس.

كنت خائفة، ذلك أنه من المحتمل، أن يمد يده الحديدية، إلى الخلف ويضعها فوق ركبتي. وتذكرت قصة سمعتها، ذات مرة حول أخته. قال جامع الفئران، كيف أنه عندما ذهب إلى منزل / ابن القارض/ ، ليجمع الفئران كيف أنه أخته، قد دفنته تحت القش، وقال جامع الفئران، أنه لن يقترب من ذلك المنزل ثانية. وفكرّت أنه من الأفضل، ربما لو نزلت من السيارة ومشيت.

(ماهو عمرك؟) سأل. قلت له أنني في الحادية والعشرين، منذ شهر كانون الأول.

(سوف تستقرين قريبًا) قال. ثم صفّر بلحن أغنية: (لو كنت طائر شحرور، لكنت أزقزق وأغرّد وأقتفي، السفينة التي يبحر حبي بها).

قال فيما بعد (لو أنك تتزوجيني، فإنني سأجلب لك الشاي، وأنت في سريرك صباحاً).

تظاهرت بأن ذلك مجرد دعابة، وسألت كيف يعد الشاي، وكنت أتخيل يوجين، وهو يسخن إبريق الشاي الصغير، ثم كيف يصب، الماء الفاتر برشاقة قائلاً (من أول الأمور التي، يجب أن أعلمك إياها، كيف تعدين كأس شاي لائق، ومن بعد ذلك يجب أن، أعلمك كيف تتحدثين بلباقة، وبشكل ملائم، وبنغمة ناعمة).

(سنتاول ثُمن غالون من الخمر) قال وهو يبطّئ من سرعة السيارة، خارج حانة في شارع مضاء في / إنفارا/ . وكانت هناك حوالي العشرين أو ثلاثين، دراجة مسنودة إلى نافذة الحانة، كلها متراكبة على بعضها.

(لن نقوم بمثل هذا العمل) قلت باهتياج، وأنا ألمس كتفه، وأرجوه أن يتابع المسير. تابع السير وبعد قليل قال (هل تتزوجينني؟)

تذكرت بعدئذٍ أنني، سمعت أنه لاتوجد أية امرأة، سوف تتزوجه بسبب أخته الغريبة. كان قد نشر إعلانات، في مختلف الصحف، بل إنه كتب إلى مكتب زواج في دبلن.

(لا) قلت صراحة وبخوف. ولو لم أكن خائفة جداً لربما مزحت معه.

(أنا لست زوجاً سيئاً) قال. (لديّ بئر ماء، بمضخة في فناء منزلي، وثور، وأخ راهب. ماذا تريد المرأة أكثر من ذلك؟).

هل ينزع الخطاف الحديدي من يده في السرير، ويعلّقها على عمود السرير مع ثيابه؟ تساءلت بعصبية في سري.

كنا نصعد تلاً شديد الانحدار، وقرقعت السيارة وشخرت، ونفثت الدخان، وكأنها تكاد تلفظ أنفاسها. جلست على حافة المقعد، وانغرزت أظافري في باطن كفي وأنا أصلي. وبدت أمامنا شارة طريق ترتفع من خندق، وتحذّر بأنه

وإلى مسافة ثلاثة أميال، فإن الطريق مليء بالمنعطفات. ثلاثة أميال من الموت، فكّرت، وكان سائقًا طائشًا ومتهوراً. مررنا بمجموعة من الشباب، كانوا واقفين على مفترق طرق، وصاحوا بنا كعادة أبناء الريف، وهو يلوّحون بأيديهم إلى المارين الغرباء، ورفع يده لهم، ليبين لهم أنه صديق.

(هل اقتربنا؟) سألت.

(لست بعيدة جدًا) قال، وأشعل الضوء على، لوحة أجهزة القياس، وتطلع إلى عدّاد السرعة (ابن الحرام هذا مكسور) قال ودقه بيده. غير أن العداد لم يتحرك، ولم يسعفه بشيء.

واتسع الطريق عرضًا، وكانت هناك عيون قطط، تلمع وسط الطريق، وتحت الأضواء على طرفي الشارع، وبدت قمة الكاتدرائية السوداء. كنا تقريبًا قد وصلنا.

(كيف طلبت مني أن أقوم بهذه القيادة؟وماهو الخطأ في العربتين الأخرين في المدينة؟) سأل ونحن ندخل إلى محطة القطار.

(إنه أمر سرّي) قلت وأنا، أهبط من السيارة وأعطيه عشرة شلنات ورقية، وأطلب منه عدم الحديث.

كنت قد وصلت، قبل ساعة من قيام القطار، ولذلك جلست في غرفة الانتظار، الخاصة بالسيدات، واشتريت قطعة شيكولاته من آلة البيع، وكان حمّال يأتي في كل لحظة، وأتظاهر بقراءة صحفية، كنت عثرت عليها في الغرفة.

وحوالي الساعة الحادية عشرة، وصل القطار. وخرجت لكي أقف على الرصيف، ووجدت عربة فارغة بسهولة تامة، كان قطاراً سريعًا، يقف فقط في محطتين عبر الطريق كله. واختبأت مرتين في المرحاض، تحسبًا لاحتمال أن يبحث البوليس عني. وكانت هناك لافتة مطبوعة فوق زر الماء الدافق (السيفون): (رجاء

لاتفتح الصنبور والقطار واقف) وكتب إنسان ماتحتها وبقلم رصاص (لأنها تهبط على فلاح مسكين!).

* * *

في دبلن اختبأت حتى، ذهب المسافرون الآخرون. ثم هبطت من القطار، ومشيت ورأسي منكّس، إلى الأسفل بجانب الجدار، وركبت آخر سيارة كانت بالانتظار.

وصلت إلى منزل جوانا، خلال عشرة دقائق، ووجدت المنزل غارقًا في الظلام الدامس. كانت الساعة حوالي الثالثة، وكان طفل على مبعدة دارين، يبكي طلبًا لوجبة طعامه الليلية. وكانت جوانا قد وضعت أغطية زجاجات الحليب كالعادة، ذلك أن الطيور اعتادت أن تنقر قليلاً، من القشدة في الصباح الباكر، غير أن جوانا وضعت حداً لذلك فوراً.

كانت غرفة نومنا، في مقدمة المنزل، فلذلك تناولت حفنة رطبة، من تراب أصيصة أزهار ورميتها، وبعدئذ تناولت قليلاً، من الحصى والرماد من الممر، ولكن دون جدوى، وكان لابد من طريقة أخرى، فصفّرت وناديت، ولكن / بابا/ لم تستيقظ. وأخيراً كان لابد لي من أقرع الباب، وهبط غوستاف وهو يرتدي معطفه، ويدوت خائفة جداً، لأنه أدخلني دون غمغمة. أشعل المدفأة الكهربائية، في غرفة الطعام، ومضى ليعد كأساً من الكاكاو. وأصدرت المدفأة الكهربائية، هسيساً وكأنها تكاد تنفجر، وكنت أرتجف من أخمص قدمّي إلى قمة رأسي.

(هل أنت على خلاف مع السيد يوجين؟) سأل وهو يدخل حاملاً صينية، ووجدني أبكي.

(هل عاد؟) سألت.

(آه، نعم، بلى) وأشار برأسه أي نعم. (هو هنا مع بابا. لقد تناولا الطعام في الخارج، هكذا قيل لي). وأحسست بمعدتي تنتفض بخوف جديد.

(اذهب إلى الفراش ياغوستاف) قلت، ومضى إلى سريره، وأدرت عقربي الساعة، إلى أن استقرا على الساعة السابعة، ثم صعدت إلى الأعلى بهدوء، وأيقظت بابا.

(حسنًا، حسنًا) قالت وهي تتثاءب. استندت وزرّرت الزرين، في أعلى منامتها، ذات اللون السماوي.

(لقد عدت).

(بالتأكيد لأنني أراك أمامي) قالت.

(أخبريني عن يوجين!)

(هو في الخامسة والثلاثين من العمر ويدأ الصلع يغزو رأسه!) قالت بلهجة لاتخلو من لامبالاة.

(هل سألك عني)

(بلى)

(وافترض أنك سردت عليه الأكاذيب، إنك حتى لم ترسلي نقودًا، عندما كتبت إليك من المنزل، لقد حجزوني، وهربت في الليلة الماضية).

(أرسلت لك جنيهين) قالت. كنت أعرف أن بابا سوف ترسلهما، لأنها تملك قلبًا طيبًا.

(وماذا عن يوجين يابابا؟ أرجوك أخبريني، هل تعتقدين أنني، أستطيع الذهاب إليه؟).

(أنت في الحادية والعشرين من العمر، إنه سن قانوني بالنسبة لك، حتى لكي تضعي رأسك في فرن الغاز، وحتى لو كان هذا العمل ضد القانون) قالت. ونهضت وأعطتني، بعض النقود الإضافية، وحقيبة سفر لكي أضع أغراضي فيها. كما أعطتني بعض (البودرة) من أجل ماكياج وجهي. كان وجهي شاحبًا من،

التعب وقلة النوم. وتناولت ساعتها الذهبية الصغيرة، من تحت الوسادة، ونظرت إلى العقربين، لتعرف ماهو الوقت.

(يجب أن تسرعي، إن والدك الرهيب، سوف يكون هنا، معه مذراته في أية لحظة) وعانقتني قبل أن أغادر.

(أتمنى لك حظًا سعيدًا) قالت (هذا أفضل لك)

وفي الشارع بكيت بحرارة لأنه / بابا/ كانت لطيفة جداً معي. ركبت أول باص منطلق نحو دبلن، كان الركاب ستة، وبدوا كئيبين مثلي، وثيابهم رثة.

ومن مكتب البريد العام، أرسلت برقيتين، الأولى إلىٰ يوجين وتقول: (أصل في باص منتصف النهار) والبرقية الثانية إلى خالتي وتقول: (ذهبت إلى انكلترا وحيدة، لاتقلقي واغفري لي).

فكّرت أنني سوف أربكهما (والدي وخالتي)، وأن ذلك سيترك لي، أياماً قليلة لأقرر ماذا أفعل.

وعندما فتحت المقهى القريبة أبوابها، في الساعة التاسعة، دخلت وشربت قهوة، وأكلت خبزاً محمّصاً. وعندما تكون خائفاً، فإنك تتصور كل شخص عدواً. شككت بكل وجه في ذلك الصباح، وأنا أشرب قهوتي إلى أن حان الوقت، وانتقلت إلى مقهى آخر، كي لاأكون محط انتباه.

وفي الساعة الحادية عشر إلا خمس دقائق، ركبت الباص عند رصيف الميناء، لم يكن لديّ شيء أقرأه، لذلك كنت أنظر عبر نافذة الباص، وعندما كان الضباب يستر زجاج النافذة، كنت أمسحه بيدي، وأحدق إلى الفضاء. كنت أدرك أنني يجب، أن أرتّب ما الذي سوف أقوله ليوجين، غير أنني لم أستطع فعل ذلك.

بدت رحلة الباص طويلة، غير أن المسافة لم تكن، تستغرق أكثر من ساعة. وعندما وصلنا تركت الآخرين، يهبطون قبلي، لأنني مرتبكة بشأن لقائه. نظرت عبر النافذة، ولم تكن سيارته موجودة. ثم أسرعت بالخروج من الباص، معتقدة

أنه أوقف سيارته، في نهاية الشارع، ولم تكن هناك أية علامة، تدل عليه في أي مكان.

(في أية ساعة ينطلق هذا الباص إلى دبلن؟) سألت السائق، الذي كان قد صعد إلى، سطح الباص لانزال بعض الأغراض وبعض الدراجات.

(في الساعة الخامسة) أجاب بصوت عالٍ.

وكان يجب عليّ أن، أنتظر خمس ساعات، تغاضيت عن كبريائي، وقررّت أنني يجب، أن أذهب إلى يوجين مهما كانت الأمور. كنت أعرف أنه بمجرد، أن يراني فإنه لن يهرب بعيداً.

انطلقت أتمشى، ومشيت حوالي نصف ميل عندما رأيت شخصاً طويلاً، يرتدي معطفًا أسودًا ويتوجه نحوي.

ظننته قساً، أو رجل بوليس، وهربت إلى داخل بوابة، وصعدت درجًا من أجل الاختباء، وتلصصّت من كوة قريبة، ورأيت الشخص يقترب، وكان يوجين. فنزلت الدرج ركضاً إليه. وفتح ذراعيه ليرحب بي.

(أهلاً، أهلاً) قال. وسقطت مرتمية بين ذراعيه، وقلت له كل شيء. حكيت له كل شيء، جرى لي بالتفصيل. كنت أتحدث بسرعة، وأخلط تفاصيل ماجرى، لأنني كنت متعبة وخائفة.

(ولكن هذا أمر مريع) قال وهو يضحك. وظن أنني أبالغ في سرد الأمور.

(سوف يقتلوني) قلت.

(هراء، إننا في القرن العشرين) قال وتناول حقيبة سفري، واستدرنا لكي نمضي نحو منزله. هبت الريح في وجهينا، وقال لي إن محرك السيارة قد أصيب بعطل.

(ظننت أنني لن أراك أبداً ثانية) قلت. ضمني وربّت على، رسغي من فوق قفازي.

(سوف تكونين على مايرام) قال. (لن أدعهم يقتلونك).

وتساءلت ما إذا كان، سوف يدعني أمكث معه. كنت أحب أن أبقى معه، ولا أريد أن أتركه ثانية.

* * *

عندما وصلنا، كان تفكيري الأولي، ينصرف إلى منزله الذي، بدا جميلاً ويعطي انطباعاً بالسعادة كان مدهوناً باللون الأبيض الساطع، وكانت واجهته تلمع تحت أشعة الشمس الشتائية، وكانت نوافذ الطابق الأرضي من اللون الذهبي الخفيف.

(ها أنت ترين، إن الشمس مشرقة، وأنت على قيد الحياة، وكل شيء يبدو، أنه سيكون على مايرام ومضينا إلى الداخل.

لم تلق / آنا/ عليّ تحية الصباح، لم تتمنى لي صباحاً جيداً. تناولتْ فقط ابريق العسل، من فوق مائدة المطبخ، وصعدت الدرج الخلفي وهي مقطّبة.

(حبيبتي) قال بصوت مرتفع، لكي تسمع آنا ذلك. وسمعنا صوت جرس الباب يقرع، وقال إنها في مزاج سيئ، لأن / دينيس/ لم يعطها النقود من أجل شراء مشد مطاطي بواسطة البريد. وهي أيضاً لاتحبني، لأنني لست أنيقة، ولا أملك ثياباً يمكن أن أعطيها إياها.

(اجلسي) قال (سوف أعدّ لك طعام فطور عظيم).

وربط منشفة حول خصره وقبلته، مجرد قبلة قصيرة، أحسست بالراحة لأنني، بالقرب منه ثانية، وأشم رائحة جسده وأقبله. قلى شرائح لحم الخنزير، الرقيقة والبيض، بينما رتبّت مائدة الطعام الكبيرة. جلس على رأس المائدة،

وجلست على أحد جوانبها، في مواجهة نافذة، تحجب الرؤية عبرها شجرة مبهجة الألوان.

(لقد حجزوا رسائلي، أرسلت / بابا/ لي نقوداً، ولكنهم احتفظوا بها) قلت.

(لاتتحدثي عنهم وأنت تأكلين، لأنك سوف تصابين بقرحة. تناسيهم، وانسي كل شيء) قال وانحنى فوق المائدة، وداعب جبيني بلطف.

(نخبك) قال وهو، يرفع كأس الشاي إلى شفتيه. وكان له طعم الشامبو. وكذلك فعلت ورفعت كأسي. كانت / آنا/ قد وضعت شامبو الشعر في الكأسين، أو وضعت عطراً رخيصاً. وفكرت شد ماهي شريرة. غسلنا الكأسين، وصببنا الشاي من جديد.

أحسست بمعدتي تضطرب، من جراء التعب والقلق، وظللت أتطلع عبر النافذة، طوال الوقت.

(لقد طُعن أحد الأشخاص في القرية، بعشرين طعنة في، أمكنة مختلفة، من جسده وبواسطة مدية) قلت واكتسى وجه بعلائم حزن واشمئزاز، وعرفت أنني رويت حادثة فجة.

وبعد فترة قليلة قال:

(يبدو أنك قد عبرت المطهر).

كان منظري مخيفاً، وجسدي كله يرتجف، وأحس به بارداً، وبعد تناول الفطور صعدت إلى الطابق الأعلى، لكي أنال قسطاً من النوم.

(نامي في سريري، فإنه أكثر دفئاً) قال. وخلعت ثيابي وحذائي، وارتميت في السرير، وغطّيت نفسي.

وحيث كنت مستلقية، كنت أرى قمة شجرة سرو، وأغصانها المتشابكة،

التي كانت تهتز خفيفًا، كما أرى جدار الحديقة المزروعة بالخضار، ومئات الأشجار المزروعة خلفه، ولم أستطع النوم.

فتح الباب بنعومة، وأطل برأسه ليري ما، إذا كنت نائمة.

(أهلاً) قلت.

(ألم تنامي؟) سأل.

(لم أستطع. إنني خائفة)

دخل، وتوجّه نحوي، وأزاح شعري عن وجهي، إلى الخلف ثم جسّ جبهتي براحة يده. وكانت جبهتي حارة. حارة جداً. خرج ثم عاد بسرعة، ووضع قطعة قماش رطبة، فوق جبهتي لكي يرطبّها، ويخفف حرارتي، وكانت عيناي غائمتين لمدة ثوان قليلة، وأحببت الثقة في صوته، ثم أزاح قطعة القماش، ونشّف عينيّ.

(ألست أفضل الآن؟) سأل. وشعرت بالقلق ثانية.

(تستطيع الدخول إلى الفراش معي إذا أردت). قلت.

(لا. لا) وهز رأسه، وقبلنّي قبلة هادئة. (عندماتمارس الحب مع شخص آخر فإن ذلك يكون لأننا نريد ذلك)

(ولكنني أريد). قلتُ.

(أنت تريدين فعلاً، ولكن لسبب خاطىء. أنت تريدين توريطي. هذا كل مافي الأمر، وأنت تعرفين أنه عندما أمارس الحب معك، فإنني سوف أحس بالمسؤولية عنك) وتطلع إلى عينيّ، وأشحت بنظري بعيداً، وأنا أشعر بالذنب. وكانت عيناي حارتين ومتلهفتين.

(آه. لاتكن متشدداً)

(لست متشدداً) قال بهدوء (ولكن يجب أن تفهمي، أن العلاقة بين اثنين،

ليست بعيدة عن التهذيب، أو ليست سهلة مثلما يحدث الآن. الجنس ليس شيئًا ما مستقلاً، إنه جزء مما يشعر به الناس، الواحد نحو الآخر. وأنا لا أستطيع أن أمارس الجنس معك، في هذه الحالة المنهارة أنت فيها عصبياً، وهي حالة أصعب من أن ألوك بفمي جوربي القديم).

وظننت أنه يحاول الهروب مني، لذلك قلت بسرعة:

(وهل يجب أن أرحل الآن؟)

(كنت أفكر) بدأ (في الحقيقة، إن الشيء الحكيم جداً، بالنسبة لك، أن تذهبي بعيداً)

(ليس لديّ مكان أذهب إليه) قلت.

(الآن لاتقلقي، ابق هادئة واستمعي إليّ. أنا لن أتخلى عنك للذئاب، سوف أعطيك نقوداً، كي تذهبي إلى لندن، لمدة أسبوع أو أسبوعين. وبعد ذلك، وبعد أن يهدأ الجميع، تستطيعين العودة ثانية)

(لا أريد أن أتركك) قلت، وأنا أنظر إلى وجهه النحيل وعينيه السوداوين الواسعتين، كان له جسد قوي وقاس، وأحببت أن يقيني منهم، ومن كل شيء أخاف منه.

(أرجوك) قلت

فرك جبينه بقبضته وقال (ياإلهي) ثم تنهد، وفكّرت أن قلبه قد رق، وأنه سيدعني أبقى هنا.

(اسمعي اسمعي) كان يقول. واستندت، وقدخيّل إليّ أن سيارة توقفت في الخارج، ولكن لم يأت أحد. وتابع حديثه (إن بقينا نحن الاثنين هنا، فإنهم قد يأتون، وربما يجيرونك على مرافقتهم بعيداً. وإذا ذهبنا إلى لندن سوية، فربما يطلبون تعقب البوليس لنا. والشيء المنطقي، هو أن تذهبي بعيداً، وسوف أظل

هنا، وأتحدث بمسؤولية إلى الوالد إذا جاء، وبعد ذلك خلال أسبوع أو اثنين، سوف أوافيك إلى لندن وأراك)

وسيطر عليّ حزن بارد، كان يدفعني بعيداً.

(حسنًا) قلت بضعف، ومددت يدي له، وجلسنا في صمت.

(هل تظنين أنهم سيأتون اليوم؟) سأل بعد فترة.

(ليس فوراً، لقد أرسلت برقية لهم، هذا الصباح قلت فيها، إنني ذاهبة إلى إنكلترا، هكذا، ولذلك فهم، سوف ينتظرون يومًا أو يومين.

(إذن، حسنًا، يمكنك أن تنالي اليوم، قسطًا كبيراً من الراحة، وغداً سوف أقلك إلى / كولنزثاون/ ، ومن ثم نضعك في طائرة).

لم أكن قد ركبت طائرة من قبل، واعتراني الخوف من فكرة، ربط نفسي إلى مقعد. كانت / بابا/ قد قالت لي إنهم يربطون، ركاب الطائرة إلى المقاعد.

(سوف تراسلني؟) سألت

(كل يوم، رسالة كبيرة وطويلة) واحتضنني بين ذراعيه، وضمني إليه مدة طويلة، بينما كنت أبكي وأنتحب.

(لقد اشتريت لك هدية صغيرة، عندما كنت مسافراً) قال، ثم هبط إلى الطابق الأرضي لاحضارها.

كانت الهدية عبارة عن / راديو/ ، وعلمني كيفية استخدام الأزرار المتعددة، وأن أجد المحطات الكثيرة والمختلفة.

(تستطيعين أخذه معك أينما ذهبت) وأدار الزر، سمعنا موسيقى خفيفة، وقام بالرقص والراديو بين ذراعيه لدقيقة، وتساءلت كيف يكون مرحًا هكذا.

نهضت واغتسلت، وبعد تناول الغداء خرجنا في نزهة.

(إذا هتف أي إنسان، لاتردي على الهاتف) قال / لآنا/ محذّراً (هل تتوقع مساعد مدير التنفيذ؟) صاحت من الطابق الأسفل بصوت مرح.

قطّب، وقال (إنها بعيدة عن متناول يده).

كان الطقس معتدلاً، ولطيفاً في الخارج، فقد سكنت الريح، وكانت السماء تمطر مطراً خفيفاً، وكان كل شيء ساكناً جداً، وكنا تستطيع سماع الرجال، في الغابة وهو ينشرون الأشجار، بمناشيرهم الحادة. خلعت غطاء رأسي وتركت المطر، يسقط فوق شعري المدهن، وعلى وجهي الدافئ. دائماً بسبب قلة النوم، فإن وجهي وجفنيّ، يصبحان دافئين ويلازمني الشعور بالحاجة إلى حك جلدي. ونحن نسير حدثني، عن فيلم رآه في لندن، وعنوانه (ماري الذهبية). روى لي قصة الفيلم، ووصف الفتاة الشقراء، المثيرة التي لعبت دور ماري، أحسنت بالغباء والبلادة وهو، يتحدث عنها، ويحرك يديه ليجسدّ لي شكل جسدها.

هبطنا الممر الضيق الذي، قادنا إلى بحيرة الغابة. وكانت أشجار السرو، تحيط بها من كل جانب، وكأن الأشجار جنود يرتدون، الثياب الخضراء، ويتتبع الواحد الآخر. وكان يبدو من خلال الأشجار، جدار حجري وقد تهدمّت حجارته.

(سوف تكونين قادرة على رؤية ذلك الفيلم، سأطلب من / جنجر/ أن تأخذك لمشاهدته) قال وهو يقف ليلتقط أحجار بيضاء. كانت / جنجر/ امرأة كان ينوي إرسال برقية لها يطلب منها مقابلتي. (لها شعر أحمر). قال، ولذلك كان اسمها جنجر. وتساءلت ما إذا كانت تحبه، لم أكن أتصور امرأة تعرفه، دون أن تقع في حبه.

(هل هي جميلة؟) سألت.

(هي فتاة لطيفة) قال دون مبالاة. كان لامبالياً تجاه كل شيء. المطر، الحجارة البيضاء، أشجار السرو المبلولة بندى ضباب الجبل، كان يبدي اهتماماً مرة وغير مبالٍ في مرة أخرى. ظننت أنه قاسي الفؤاد قليلاً.

(أنت لست حزينة، هل أنت كذلك ياحبيبتي؟) سأل وهو يضع يده، فوق كتفي طالباً مني، ألا أظل متوهمة، وألا أظل قابعة على أفكاري السوداء، مثل جثوم دجاجة على بيضها! . كان المطر يتثال على معطفي، وقد أثرت عليّ سكينة المكان، فهدأت من أعصابي. كان المكان وكل مافيه، يبدو لي غير واقعي، الأشجار المتكاثفة بهدوء، الضباب الشفاف، الذي كنت أرى عبره جذوع الأشجار، واقفة ومنتصبة في الهواء، والغيوم التي تشكّل لوحات غريبة في الأفق.

(لا أحب أن أتركك) قلت. كنا قد خرجنا من الغابة، ووصلنا إلى قرب البحيرة، وموجات من الضباب الطافي، تطفر فوق سطح البحيرة.

(سيكون الأمر لمدة أسبوعين فقط)، قال بمرح، ونحن نجلس على حافة قارب، ونتطلع عبر الحقول، المليئة بالأحجار التي، تنحدر إلى الجانب الآخر من البحيرة. وكان الضباب لمّا يزل والحقول ساكنة جداً.

(لم تكوني تظنين أنها جميلة، إلى هذا الحد! هل كنت تظنين؟) سأل. وهو يفرد ذراعيه، وكأنه يود أن يحتضن البحيرة، والشاطئ الرملي الصغير، وموجات الماء الناعمة، وعبر الطريق بدت لنا، مدخنة منزل غارق في البياض، وقال لي أن ذلك، هو منزل الآنسة / ووكرز/ وهي تعيش هناك.

قلت (إنه منزل جميل) ولكن دون مبالاة.

(إنه الأكثر جمالاً في الصيف، يجب أن أعلمك كيف تسبحين)

(في الصيف) قلت، وكأننا لانستطيع أن نعيش أبداً كي نرى ذلك.

ثم فكّرت في أشهر الصيف الأخرى، وكيف سبح مع / لاورا/ في البحيرة، وتمددا على الشاطئ الذي، كانت تظلله جزئياً شجرة كستناء ضخمة. عندما أكون معه، أظل أفكر / بلاورا/ ، كما أفكر تماماً بأمي دائماً، عندما أكون مع والدي.

(كم بقيتما هنا أنت ولاورا؟) سألت.

(لا أتذكر تماماً، لابد أنها مكثت هنا حوالي العام)

(هل كانت تستطيع السباحة؟) وكانت / بابا/ تستطيع السباحة، غير أنني لم أكن أعرف السباحة.

(نعم، كانت تستطيع السباحة) ومع أنني كنت أتوقع، أن يقول شيئًا ما آخر، إلا أنه لم يقل.

خيّم الظلام باكراً، بسبب المطر، وبدت الحقول تتشح بالحزن، في ضياء الغروب. ساعدني في تسلق التل، بدفعي من الخلف، ويتعرف طريقه بجس الأرض بقدمه، ويحذّرني من، أوجار الأرانب الكثيرة.

(هل أستطيع أن أنام الليلة في سريرك؟) سألت ونحن، نصعد التلة بين صفين من أشجار السرو، وجدار الأحجار الكثيرة.

(أعتقد ذلك) قال بلطف.

* * *

(صليت لأن يحدث شيء ما، لكي أستطيع المكوث. شيء مايحدث.

الفصل الثالث عشر

وبدأت الريح تهب في موعد تناول الشاي، وكانت (أبا جورات) النوافذ تهتز وتصطفق، واندفعت / آنا/ إلى الخارج بسرعة، لجلب حفاضات ابنها التي، كانت منشورة على إحدى الأشجار الصغيرة، وتدحرج سطل في فناء المنزل.

شعرت بالخوف في ذاك اليوم، وكنت أحسّ أنهم سيأتون. ولكن إذا ثارت الريح الجبلية، فيمكن أن تعيقهم، وغداً سأكون قد رحلت.

بعد أن تناولنا الشاي، جلسنا في غرفة المكتب، ومعنا خارطة للندن منشورة فوق ركبتنا، بينما كان يؤشّر على، الشوارع والأمكنة لي. كان يجب عليّ أن أذهب، في وقت مبكر صباح اليوم التالي، وقد أرسل برقية إلى / جنجر/ ولذلك كان باستطاعتها مقابلتي.

(يجب علينا أن نغلق الأبواب) قلت وكنت منزعجة، من انصفاق درفات الأباجورات.

(حسنًا) قال (سوف نغلق كل شيء). وحملت مصباحًا كبيراً (بطارية) بينما قام بإغلاق الباب الأمامي، ثم الباب الخلفي، وبعد ذلك الباب الجانبي. كانت المفاتيح صدئة في أقفالها، واضطر في بعض الأحيان، إلى دق بعضهما بواسطة قطعة، من الخشب لتوسيعها. كانت / آنا ودينيس/ قد ذهبا إلى منزلهما الخلفي، وكنا نستطيع، سماع موسيقى راقصة من مذياعهما.

(قل لهما إذا سمعا قرعاً، على الباب ألا يجيبا) اقترحت.

(هراء) قال (هما لايهبطان أبداً، عندما يصعدان للنوم، يذهبان إلى السرير،

بعد أخبار الساعة التاسعة) كان شديد الكبرياء، ولايرغب بإشراك، أي شخص في مشاكله.

(والآن باب الرواق) قلت. فتحناه للحظة، وتطلعنا إلى الخارج، في الليل العاصف، واستمعنا إلى حفيف الأشجار.

(ابتعد عن النافذة يارجل المستنقعات) قال، ونحن ندخل ونجلس على، الأريكة أمام موقد غرفة الجلوس. كان الصندوق الخشبي، من خشب البلوط، مليئًا بالحطب. وقال إننا في وضع آمن تمامًا، ولاأحد يستطيع إيقاع الأذى بنا.

كانت هناك بندقية في زاوية البهو، وظننّت أنه يحتفظ، بها لكي يكون آمنًا.

(هراء) قال (أنت بحاجة إلى تمثيلية عاطفية مثيرة ما)

سمعت صوت الريح وخيّل إليّ أنني سمعت سيارة، تتوقف أمام المنزل. كنت أتخيل ذلك طوال الوقت. مسحت شعره، ودلكتِ عضلات عنقه الخلفية، وقال إن ذلك، جميل جداً ومريح كثيراً.

(سوف ننام معًا، أنت وأنا) قال.

(نعم) قلت، وتصورّت إلى أي حد، هو سهل ذلك عندما يقول بعدئذٍ (أحبك) أو أتمنى أن أحبك، أو أنا واقع في حبك، غير أنه لم يقل. قال فقط أننا نستطيع، أن ننام معًا.

(إننا نعرف بعضنا بعضاً، منذ بضعة أشهر) قال ونحن أمام النار، وكأنه أحس بخيبة أملي، عرفت أنه يؤمن بالنمو البطئ والخفي لأية عملية تتعلق بالمشاعر، وأنه يحب أن يظل ذلك الجانب، في الجانب الدفين من الإنسان وبعيداً عن النور. يجب أن يزرع شجرة، وأن يراقب نموها، وأحببت أن تأخذ صداقتنا هذا المسرى، لم يكن مستعداً لي.

(هل أنت مؤمن بالله؟) سألت بغلاظة، ولا أعرف لماذا سألته.

(ليس وأنا أجلس ، أمام موقد ناري، يمكن أن أومن بذلك، عندما أسوق سيارتي، بسرعة ثمانين ميلاً بالساعة، إن الأمر يختلف) وشعرت أنه جواب غريب جداً.

(ماهو الأمور التي تخاف منها؟) كنت أرغب بطريقة ما، أن يقوم باعتراف صريح ما لي، وأن يضيفني إلى مخاوفه لكي أغفر لنفسي، أو أننا نستّطيع أن نلعب، لعبة الاستكشاف شيئًا فشيئًا، أو شيئًا آخر.

(أخاف من القنابل) قال. وظننّت أن ذلك هو، جواب غريب أيضاً.

(سوف يكلّفونني بوظيفة، إشعال النيران في جهنم. إنني ماهر في إشعال الحرائق) وتساءلت إلى أي حد، يمكن أن يكون صوته هادئًا، وأن يكون وجهه ساكنًا. أحيانًا كنت أفرك عنقه، ثم أطوّقه بذراعي، أن أجلس قريبًا جداً منه، وأتساءل كيف سأستطيع العيش، بدونه في لندن لفترة من الوقت، حتى تتضح الأمور كما قال.

(أفضل شيء تستطيعين، فعله بشأن جهنم) بدأ حديثه غير أنني لم أسمع بقية الجملة، لأن نباح الكلبة قد علا في باحة المنزل، كانت تنبح باستمرار لعدة دقائق، ثم أصدرت عواءاً منخفضاً وكأنه بمثابة إنذار، وخيّل إليّ أنني، سمعت صوتًا إنسانيا فقفزت.

(اسكتي! أسكتي!) قال، وأنا أخطو فوق صينية، أغراض الشاي التي، كانت على أرض الغرفة. وركض وأخفض ضوء المصباح، ثم انتظرنا. لم يحدث شيء، لم يكن هناك وقع أقدام، ولا صوت سيارة ولاشيء إلا صوت الريح، وصوت تساقط المطر. وعرفت أنهم قادمون، وأنهم خلال لحظة سوف يقرعون الباب.

(لابد أنه ثعلب أو غُرير [1])، وصبّ لي كأساً من الويسكي، التي كانت في خزانة البندقية.

---

(١) حيوان قصير القوائم يحفر مسكنه في الأرض.

(إنك تبدين شاحبة من الخوف كملاءة) قال وهو يحتسي الويسكي، ثم نبحت الكلبة ثانية، وهذه المرة بصوت عالٍ ومستمر، وعرفت من نباحها الهستيري، أنها كانت تحاول، أن تجتاز الباب الخلفي في الفناء، لم نغلق ذلك الباب، وبدأ جسدي كله يرتجف ويهتز.

(إنهم هم) قلت، وكانت برودة شاملة تعتريني. سمعنا صوت حذاء على الأرض الحصباء، ورجالاً يتحدثون. فجأة سمعنا صوت قرع قوي، على باب الرواق. واستمرت الكلبة في النباح، بشكل هستيري، وقد علانباحها على، صوت الدق والضرب بقبضات اليد، مع هزيم الريح التي، سمعتها تدق قلبي. وسمعت دق أصابع على النافذة، واهتزّت درفات النافذة، وانحنى في ذات الوقت خشب الدرفة، وسمعت صوتاً ينادي. وتعلقت بيد يوجين وتلوث صلاة.

(ياإلهي!) قلت

(افتحوا الباب!) جاء صوت رجل صارخ.

(سوف يحطّمون الباب) قلت. وبدا أن خمسة أو ستة من الرجال، يدقون الباب في وقت واحد. وخيّل إليّ أن، قلبي سوف ينفجر.

(كيف تتأتى لهم الجرأة، لأن يسيئوا التصرف، هكذا أمام باب بيتي؟) قال ذلك، وهو يتجه نحو الرواق.

(لا. لا) وقفت في طريقه، وطلبت منه ألا يكون مجنونًا.

(لن نجيب) قلت، ولكنني تكلمت متأخرة جداً. ودار رجل منهم حول المنزل، وسمعنا صوت رتاج الباب الخلفي، يرفع بصبر وأناة. ثم سحب رتاج الباب وسعت آنا تسأل باحتجاج:

(ياإلهي! ماذا تريدون في هذه الساعة من الليل؟)

ظننت أنها نائمة، وأننا تعرضنا لهجمة من، رجال البوليس بحثًا عني.

سمعت صوت (ابن القارض) يذكر اسمي (جئنا لأخذ الفتاة من هنا).

(لا أعرف شيئًا عنها، انتظر هنا في الخارج) قالت / آنا/ بجلافة ولابد أنه قد مشى وتجاوزها، لأنها صرخت (كيف تجرؤ على ذلك؟) وعدا كلب الماشية، ناجحًا من المطبخ، وكان البقية يقرعون على، الباب الأمامي للمنزل.

(هذا شيء أكثر مما يحتمل) قال يوجين، وهو يتجه ليفتح باب الرواق، عدت راكضة نحو غرفة الجلوس، وبحثت عن مكان ما للاختباء. زحفت تحت السرير الاحتياطي، آمله أنه سيتقدمهم، نحو غرفة الجلوس، لأنه لايجب إدخال الناس، إلى غرفة المكتب حيث يعمل، سمعته يقول:

(لا أستطيع أن أجيبك على ذلك)

(أخرجها) طلب أحدهم.

وكان عليّ أن أفكر، لكي أتذكّر صوت من ذلك الصوت.

(تعالوا الآن) كانت آندي، ابنة عم أبي وتاجرة مواشي. وتذكّرت المواشي الغريبة، والأصوات الصادرة عن البقر، وكيف تأتي قريبتي إلى، المنزل لتناول الشاي معنا، وتجلس في المطبخ، تقعد على المعقد بجانب والدي، وتناقشه في أسعار العجول.

(أين ابنتي الوحيدة؟) صرخ والدي.

إنها تحت السرير - إنها تختنق - همست لنفسي مصلية، ألا أمكث هناك أكثر، من دقيقة. بينما كان يوجين يحمل المصباح، ويدخلهم عبرغرفة الجلوس. هل يمكن أن أختبئ بعد ذلك، في مخزن الحبوب، وأن آخذ مصباح البطارية معي لإبعاد الفئران.

(ابنتي الوحيدة) صرخ والدي ثانية.

من أجل لطمتين يمكن أن أخرج، وأقول له أمراً أو أمرين، عن فتاته الوحيدة.

(عم تبحث؟) سأل يوجين (سوف نتحدث في الغرفة الأخرى)

ولكن والدي لاحظ موقد النار، وبإحساس عميق سمعتهم، يدخلون إلى المكتب. جلس أحدهم على السرير، ولامست الرفّاسات ظهري، وشممت رائحة البقر من حذائه، وخمنّت أنه عمي آندي. وميزّت صوتين آخرين، جاك، وابن القارض.

(ألا تعتقدون، أنه وقت متأخر، لزيارة اجتماعية؟) سأل يوجين.

(إننا نريد تلك، الفتاة المسكينة البريئة) قال عمي آندي، وهو الشاب العازب المشهور، الذي يتحدث فقط مع البقر، والثيران، طوال حياته، ويقودها عبر الطرق، إلى مراعي الريف. (سلّم الفتاة، وحق الإله إذا فقدت شعرة من رأسها، فسوف تدفع غالياً ثمن ذلك) صرخ. وتخيّلت كيف يبدو بوجهه المنقبض، وفمه اللئيم، يعلوه شارب أحمر. وهو دائماً يحمل حبوباً مهضمة أينما ذهب، وقد رفع يده ذات مرة، على أمي لأنها أشارت حول رعي، أغنامه في أرض والدي دون مقابل - وفي تلك المناسبة قال والدي بأسلوب الفارس، وتلك هي المرة الوحيدة، (إذا مددت إصبعاً واحداً، على زوجتي، فسوف أطرحك خارجاً)

(إن هذا أمر لايُحتمل ولايطاق) قال يوجين.

أُشعلت أعواد ثقاب عديدة، وكانوا يستقرون في الداخل.

(اسمحوا لي) قال جاك هولاند، وكان يزمع القيام بإجراءات التعريف، غير أن والدي أمره بالجلوس.

(رجل مطلّق، وكبير، إلى حدٍ كاف لكي، تكون والداً لها - تخطف ابنتي الصغيرة)

(لكي أجعل الأمور مباشرة، أنا لم أحضرها إلى هنا. هيَ جاءت) قال يوجين.

ظننت أنه سيخذلني، وأنه سوف يرسلني بعيداً معهم. كانت والدتي على حق (ابكِ، تبكين لوحدك).

(لقد أحضرتها بواسطة المخدرات، الجميع يعرفون ذلك) قال والدي.

ضحك يوجين، فكّرت شد ماهو غريب، وفاسق كما يبدو لهم، وهو في بنطاله من، القماش القطني المخطط، وقميصه القديم، ذو المربعات، ورجوت الله أن تكون، جميع أزراره مزررّة، وبدأ أنفي يحكني من تأثير الغبار.

(أنت والدها؟) سأل يوجين.

(اسمحوا لي) قال جاك هولاند ثانية، وفي هذه المرة قام بالتعريف فيما بينهم. وتساءلت فيما إذا كان هو، الذي قام بإفشاء سري.

(نعم. أنا والدها) قال أبي بصوت حزين.

(اذهب الآن واجلب الفتاة، اذهب وأحضرها) صرخ آندي.

بدأت أرتجف من جديد، لم أكن أستطيع التنفس. كدت أموت تحت تلك الرفاسّات المغبّرة، كدت أموت، بينما هم جالسون، يقررّون أمر حياتي، كدت أموت وكعب حذاء آندي تحت أنفي. كان موقفاً ساخراً، كانت أمي عادة تنظّف، مساند الكرسي بعد انتهاء زيارته، لنا في البيت. تلوت صلاة قصيرة، أحفظها عن ظهر قلب، كي أحمي نفسي، وتذكّرت سطراً من يوليوس قيصر، تلوته ذات مرة، وأنا أرتدي قميصاً أحمر فوق مسرح المدرسة.

(إنني مازلت أرى أشباحاً

حانقة، ملطّخة بالدم)

(هل أنت كاثوليكي؟) سأل ابن القارض، محقق بوليسي.

(لا . لست كاثوليكيًا) أجاب يوجين .

(هل تذهب إلى القدّاس؟) سأل والدي .

(ولكن ياسيدي العزيز) بدأ يوجين .

(لا تقل سيدي العزيز، احذفها، هل تذهب إلى القدّاس أم لا؟ هل تأكل اللحم يوم الجمعة؟)

(ليكن الله في عون ايرلندا) قال يوجين، وتصورته يرفع يديه، في حركته التقليدية تعبيراً، عن نفاد الصبر .

(ولاتتفوه بأي من، تلك التجديفات على الله؟) سأل آندي بصوت عالٍ، وقام بحركته المألوفة، ضرب باطن كفه بقبضة يده الأخرى .

(ما رأيكم بتناول شيء، من الشراب، كي نهدّئ أنفسنا) اقترح يوجين . ثم أضاف بعد برهة (ربما أمر حسن، أنكم لم تجلبوا معكم كحولاً كافيًا)

كنت أستطيع شم رائحة الكحول، تعبق من أجسادهم، وأنا تحت السرير . وخمنّت أنهم لابد، قد توقفوا في طريقهم، في أول حانة صادفتهم، إن لم يكن في كل الحانات التي، تقع على طريقهم، وأن والدي على الأرجح، قد دفع ثمن مشروباتهم .

(حسنًا جرعة من شراب البورت، تدور بها علينا، يمكن أن تكون مجدية لهذه المفاوضات)، اقترح جاك هولاند بصوته الناعم الدمث .

(هل أستطيع أن، أنال شربة ماء، كي أبلع حبة الأسبرين؟) سأل والدي .

(فكرة جيدة، سوف أنضم إليك في، تناول الأسبرين) قال يوجين . وفكّرت لوهلة بأنهم سوف، يكونون على أحسن حال . سمعت صوت دلق الماء، وأغمضت عينّي وأنا أصلي، وسندت جبهتي بيدي، وكان وجهي رطبًا بالعرق البارد .

(أود أن تتأكد أن ابنتك، هربت منك، أنا لم أقم بخطفها، لم أجبرها على الحضور، إلى هنا، هي هربت بعيداً عنك، وعن طريقة حياتك) بدأ يوجين الحديث.

(بحق الجحيم ماذا يتحدث! عن ماذا يتحدث؟) تساءل آندي.

(إن التاريخ المأساوي لبلدنا الجميل) صاح جاك هولاند (قد أفعم قوتنا وإرادتنا للمقاومة)

(إنهم يحصلون على، الفتيات بواسطة المخدرات) قال ابن القارض (كثير من الفتيات الإيرلنديات، ينتهين كعبدات بيض، في بيكاديللي، والأغراب يريدون ذلك. جميع الأغراب).

(أين زوجتك ياسيد؟ هل تحب الإجابة على هذا السؤال؟) سأل آندي، يوجين.

(وماذا تفعل بابنتي؟) سأل والدي بحدة. وكأنه تذكر الأمر الذي، قدموا من أجله.

(أنا لا أفعل شيئًا معها) قال يوجين، وفكّرت أنه قد ألقى، بكل المسؤولية عليّ، وأنه لايحبني.

(أنت أجنبي) سأل آندي بقناعة.

(ليس تمامًا) قال يوجين (ليس أجنبيًا تمامًا، كما تبدو أنت، أزرق العينين كألماني، ياصديقي)

(وما هي أهدافك ونواياك؟) سأل والدي بفظاظة، ثم حاول سحب رسالة، من جيبه لأنه قال (هنا أشياء قليلة لو تكلمت عنها، لجعلت شعر رأسك يقف)

(ليس لديه شعر كثير، إنه أصلع تقريبًا) قال ابن القارض.

(ليست لديّ أية نوايا، أظن مؤقتًا أود، أن أتزوجها وأن أُرزق بأطفال، ومن يدري؟).

(آه، ثرثرة صغيرة) قال / جاك هولاند/ بغباء، وأمره والدي أن يغلق فمه، وأن يتوقف عن إظهزا نفسه في موقف المغفل.

إنه فعلاً لايريدني، . فكّرت وأنا أتنفس، دفعات قصيرة من الهواء، وأتلو مزموراً من الندامة، وأنا أظن أنني أوشكت على الموت، لم أعرف لماذا بقيت هناك، في أسفل السرير أناضل مجاهدة الغبار وقلة الهواء.

(هل تحب أن تقلب؟) سأل والدي، وطبعًا لم يعرف يوجين، ماالذي قصده والدي، من سؤاله ذاك.

(أقلب؟) سأل يوجين بصوت حائر (ماذا تعني؟).

(أن تكون كاثوليكيًا) قال ابن الفارض. بعد ذلك تنهدّ يوجين، وقال (لماذا لانتناول جميعنا كأسًا، من الشاي؟)

وقال والدي (نعم – بلى)

إذا أمضيت الليلة هكذا، فسوف يعثرون عليّ ميتة تحت السرير. فكّرت بذلك وأنا أحاول، أن أفرد كتفيّ في مخبأي تحت السرير، وقد أحسست برغبة عارمة لحكمها بقسوة.

* * *

عندما فتح الباب بحثًا، عن بعض الشاي، لابد أنه وجد / آنا/ تتنصب من خلال ثقب الباب، لأنني سمعته يقول لها:

(آه! آنا، أنت هنا؟ هل تستطيعين إحضار الشاي، إذا سمحت؟) وبدا أنه خرج من الغرفة، لأنهم بدأوا الحديث، جميعًا دفعة واحدة.

(إنها تستطيع أن تهرب، من الطريق الخلفي) قال والدي.

(كن صلبًا أكثر ياولد، كن صلبًا) قال آندي (اتبعه، هل أنت أحمق؟ اتبعه قبل أن يهرب أو يهرّبها)

(مسكين يابرادي) قال ابن القارض، عندما خرج والدي من الغرفة (ذلك هو الشكر الذي، تلقّاه من تلك الفتاة التي، وفّر لها تربية جيدة)

(لم تكن صائبة، أو محقة أبدًا، تلك الفتاة) قال عمي آندي (تقرأ الكتب، وتتحدث إلى الأشجار، لقد أفسدتها أمها).

(آه، ياللأم المسكينة والعزيزة) قال جاك هولاند، وهو يهذي بحزن، حول أمي التي كانت سيدة، وعقّب الاثنان الآخران، بملاحظات حول صورة يوجين المعلقة فوق المصطلى.

(انظر إلى أنفه، هل تعرف كيف يبدو؟ سوف يقطع البلد عدوًا) قال آندي.

(ياإلهي، ياللعار، يدمّر فتاة مثلها) قال آندي، وفكّرت إلى أي حد، سيكونون مخدوعين، إذا عرفوا أنني لم أفقد عذريتي بعد، وحتى رغم أنني نمت في سريره، ليلتين تامتين.

سمعت أصوات الكؤوس، ويوجين ووالدي يعودان.

(كم تحصل نقودًا في السنة؟) سأل والدي، وأدركت كيف سيسخرون، عندما يسمعون أنه يقوم بإخراج أفلام قصيرة، عن الفئران وشبكة المجارير.

(إنني أجني مبالغ كبيرة من المال) كذب يوجين.

(ولكنك كبير إلى حد يكفي، لأن تكون أبًا لها) قال والدي (إنك في مثل عمري تقريبًا)

(تطلّع) قال يوجين بعد لحظة (إلى أين سيقودنا هذا النقاش الحاد؟ لماذا لاتذهب إلى القرية، وتقضي الليلة في فندق، ثم تعود في الصباح، لتناقش الأمر

مع كاثلين، لن تكون خائفة في الصباح، وسوف أحاول أن أقنعها، بالموافقة على رؤيتك).

(ولكن ليس على نمط حياتك الشرير) قال العم آندي.

(لن نذهب بدونها) أضاف والدي مهدّداً، وغاض قلبي لأنني، عرفت أنه مامن مهرب. سوف يعثرون عليّ ويدفعونني أمامهم، سنخرج في الريح العاصفة، ونقعد في سيارة ابن القارض، ونسير طوال الليل، بينما هم يسيؤون معاملتي، لو أن / بابا/ هنا، لكانت تجد طريقة.

(إنها فوق الحادية والعشرين، وأنت لاتستطيع أن تجبرها) قال يوجين (وحتى في ايرلندا)

(لانستطيع؟ لقد نلنا حريتنا بقتالنا، إنها وطننا الآن) قال آندي.

(نستطيع أن نضعها بعيداً، إنها لاتملك قواها) قال والدي.

(في مصحة عقلية) أضاف ابن القارض.

(وماذا عن ذلك ياسيد؟) صاح عمي آندي (إنها جريمة خطيرة جداً، لكي تستغل طفلة متأخرة عقليًا، ويمكنك أن تنال عشرين سنة لقاء ذلك).

صرّيت على أسناني، وفار رأسي، لماذا أنا جبانة إلى هذا الحد، في اختبائي تحت السرير؟ إنهم يخجلون مني، وكأنني عنزة جرباء. وسالت دموع القهر والغضب، من عينيّ وأردت أن أصرخ، لقد احتقرتهم، هم لاشيء، كي يعاملونني هذه المعاملة، أنا لا علاقة لي بهم، غير أنني لم أفعل شيئًا، وظللت أنتظر.

(اذهب وأحضرها) أمر والدي (الآن!) وتصورّت البصقة التي، تنطلق من فمه بغضب.

(لقد سمعت ماقاله السيد برادي)، صرخ عمي آندي، ولابد أنه نهض عن السرير، لأن الرفاسّات ارتدّت إلى الأعلى. وكنت أتخيل إلى أي حد مريع، كان يبدو بعينيه الزرقاوين، وشاربه الأحمر، وقرحته المعدية.

(حسنًا جدًا، إذن) قال يوجين (إنها في رعايتي القانونية، ضيفة في منزلي، وعندما تغادر فبرغبتها، الحرة والخاصة. اخرجوا من منزلي، وإلا فسوف أتصل بالبوليس) وتساءلت فيما إذا كانوا، قد لاحظوا أنه لا وجود، للهاتف في المنزل.

(لقد سمعتموني) قال يوجين، وفكّرت، ياإلهي بأنه سينال علقة، وهو لايدرك كيف، ستنتهي الأمور. (رجل في المستشفى وبه خمسون طعنة مدية) بدأت بالصراع، من أجل الخروج، من تحت السرير.

سمعت أول ضربة من قبضات أيديهم، ولابد أنهم طرحوه أرضًا، لأن المصباح قد تحطم، وانتثرت شظاياه في أرض الغرفة.

صرخت وأنا أخرج ثم أنهض، واللهب المتصاعد من المصطلى، كان يوفّر ضوءاً كافيًا وخفيفًا، لكن أرى ماحولي. كان يوجين مرميًا على، أرض الغرفة ويصارع، بينما آندي وابن القارض يرفسانه بينما كان جاك هولاند، يحاول أن يردهّم إلى الوراء. ولم يكن والدي يعرف، ماذا يفعل وهو، يمسك بمعطف جاك هولاند من الخلف قائلاً: (الآن ياجاك، الآن ياجاك، لحظة مناسبة ليحفظنا اللّه).

رآني والدي فجأة، ولابد أنه ظنّ أنني، نبعت من الأرض. كان شعري مبعثراً، ويعلوه الغبار وزغب الريش، والصوف. فتح فمه على وسعه، لدرجة أن طقم أسنانه قد سقط، وكان طقم أسنان من النوع الرخيص، الذي صنعه له طبيب الأسنان.

(لم أفعل ذلك، لم أفعل ذلك ياماورا) همس وتراجع، إلى الوراء خوفًا مني، وهو يمسك بطقم أسنانه، وبعد فترة تأكّدت، من أنه ظن أنني كنت أمي، وقد قامت من قبرها في بحيرة سانون. لابد أنني بدوت مثل شبح، كان وجهي مغموراً

بالدموع، والغبار الأشهب، وكانت خصلات شعري المشعّت، قد انسدلت فوق عينيّ.

صرخت على ابن القارض، أن يتوقف عن ركل يوجين، عندما دفع الباب بقوة، وتفجرّ في الغرفة، ضوء أحمر ساطع، ودوّى طلق ناري، عندما أطلقت / آنا/ النار على السقف. كان دويّ ذلك الصوت الذي يشبه هزيم الرعد، قد دفعني نحو السرير، وحاولت أن أبقى راقدة، منتظرة الموت، لقد ظننت أنني أصبت بطلقة نارية، ولكنها كانت، صدمة الانفجار في أذنيّ فقط. وكان دخان البارود الأسود، يعبق في جو الغرفة، وقد دخل إلى حناجرنا وسبّب لي سعالاً. كان / جاك هو لاند/ يجثو على ركبتيه، ويصلي ويسعل، بينما كان آندي وابن القارض، يتوجهان نحو الباب، وأيديهم في آذانهم، وانحنى والدي فوق المعقد، وكان يوجين يئن ألمًا، فوق أرض الغرفة، ويسدّ بيده أنفه الدامي. وتناثرت شظايا الطلقة، فوق السجادة، واختلط الغبار الأبيض، بدخان البندقية، وكانت الرائحة فظيعة.

(هناك طلقة أخرى في البندقية، وسوف أفجرّ رؤوسكم) قالت آنا مهدّدة. كانت تقف فوق أرض المكتب، وهي ترتدي قميص نومها، وتحمل بندقية يوجين، وقد وقف دينيس بجانبها، وهو يحمل قنديل شمعة عيد الميلاد.

(اخرجوا!) صرخت بهم / آنا/ وهي تسدّد البندقية نحوهم.

(ياإلهي! لادخل لي في هذا) قال ابن القارض. (هؤلاء يريدون قتلك)، وتوجهت نحو يوجين الذي، كان ما يزال جالساً على على أرض الغرفة والدم ينزف من أنفه، ووضعت منديلي فوق أنفه.

(وحوش خطيرون) قال والدي، وكان وجهه أبيض من الخوف، وهو يمسك طقم اسنانه بيده (من المحتمل أن تقتلنا)

(سأنسف أقدامكم، إذا ام تخرجوا من هنا) قالت آنا بصوت مهدّد.

(إخرجوا) صاح يوجين بهم، وهو ينهض. كان قميصه ممزقًا، (اخرجوا، اذهبوا، غادروا، ولا تعودوا، وتعبروا بوابة منزلي أبدًا)

(هل لديك قطرة من الويسكي؟) سأل والدي وهو يضع يده على قلبه.

(لا) صاح يوجين (اخرج من منزلي حالاً)

(مهمة ليلية طريفة، مهمة ليلية جميلة) كان / جاك هولاند/ يردّد بحزن، وهم يغادرون. وقفت / آنا/ على مبعدة، لكي تفسح لهم طريق الخروج، وفتح دينيس باب الرواق. وآخر شيء رأيته، كانت اليد الحديدية لابن القارض تهتز.

صفق يوجين الباب، وقام دينيس بوضع الرتاج، وانهزت فوق السرير، وأنا أرتجف.

(تلك هي الطريقة للسيطرة عليهم) قالت آنا. وهو يضع البندقية على المكتب.

(لقد أنقذت حياتي) قال يوجين، وجلس على المقعد الطويل، ورفع بنطاله، وكان هناك دم على ذقنه، حيث تلقى الضربة، وكان أنفه ينزف دمًا.

(أنا آسفة، أنا آسفة) قلت، وأنا أنشج بالبكاء.

(يالهم من رجال قساة، رجال قساة) قال / دينيس/ باكتئاب ونحن نسمعهم وهو يتناقشون، في الخارج. وكانت الكلبة تنبح عليهم في باحة الدار.

(أحضري بعض اليود) قال يوجين. وصعدتُ إلى الطابق الأعلى، ولكنني لم أستطع العثور عليه، لذلك مضت / انا/ وأحضرته، مع منشفة نظيفة ووعاء ماء. استند إلى الخلف، إلى ظهر المقعد، وفككت رباط حذائه، ثم جرّدته من حذائه.

(اسمعوا) قال دينيس، وسمعنا صوت السيارة، وهي تبتعد.

مسحت / آنا/ الجروح على وجه يوجين وساقيه، وأنّ ألمًا، وهي تمسح جراحه (باليود).

(كـان يجب عليّ ألا أخـتـبئ) قلت، وأنا أناوله منديلاً نظيـفًا، من الدرج الأعلى، من مكتبه حيث يحتفظ به عادة. (آه، وكان يجب ألا أحضر إلى هنا)

قـال والمنديل على فـمـه (اذهبي وجـهـزّي لنفـسك، بعض الشـراب، ذلك يساعدك على، وقف ارتجافك وأحضري لي بعض الشراب)

وبعد فترة توقف نزيف أنفه، ورفع رأسه وتطلع إليّ، وكانت شفته العليا، منفوخة ومتورمة.

(لقد كان أمرًا رهيبًا)

(نعم لقد كان) قال (شيء سخيف أن يحدث هذا في البلد)

(لولاي أين كنا؟) سألت / انا/ .

(ما رأيكم بكأس من الشـاي؟) سأل بصـوت حزين. وعرفت أنه لن ينسى ماحدث، وأن بعضاً من احترامهم لي قد خف.

* * *

مضينا إلى النوم متأخرين. كانت ذقنه توجعه، وجرح فوق عينه ينبض عليه كثيراً، وظل الأمر كذلك لمدة ساعة، قبل أن يمضي إلى سريره.

تمددت مستـيقظة معظم الليل، وأنا أحدّق إلى الجدار الذي، يعكس ضوء القمر وأفكرّ. وقرب الفجر وجدته مستيقظًا ينظر إليّ.

(أحبك) قلت فجأة، لم أرتّب ذلك، بل قلت بصورة لاشعورية.

(حب!) قـال، وكـأن تلك الكلمـة لامـعنى لهـا. أدار رأسـه على الوسـادة ليـواجـهني. وابتـسم وأغلق عـينيـه، وعـاد إلى النوم من جـديد، مـا الذي أفـعله لأوقظه؟ لم أكن جيدة في الفراش، وغير قادرة على، إطلاق النار من بندقية يجب أن أعود إلى بابا، بكيت قليلاً، ثم نهضت، لأعدّ قليلاً من الشاي.

كانت / آنا/ في المطبخ، تنتعل حذاءها الجميل، وجوربها الحريري، استعداداً للذهاب إلى القداس، في الكنيسة.

(لم أستيقظ بعد) قالت.

(لن أكون صاحية أبداً) قلت، وهمست بيني وبين نفسي، لقد دمّروا، دمّروني. لن ينظر إليّ ثانية. ويجب عليّ أن أمضي بعيداً.

* * *

الفصل الرابع عشر

عادت من القدّاس، وهي تتدفق بالأخبار.

(يظنون في القرية أنك لابد، أن تكوني نجمة سينمائية).

قالت ذلك وهي، تخرج دبوساً طويلاً، من قبعتها الزرقاء، وتضعها على المشجب من أجل القدّاس الثاني يوم الأحد التالي. وقالت إنني كنت محور النقاش، الدائر في ثلاثة أسواق. فقد توقف والدي وأصدقاؤه، في الفندق وتناولوا بعض، الشراب في طريق عودتهم.

وهي تضع المقلاة على الفرن، لاحظت آثار فأر على الدهن البارد.

(أظن أنك سترحلين اليوم) قالت

(أتوقع ذلك)

وبعد الساعة العاشرة، أعددت الشاي ليوجين، وحملته له إلى الطابق الثاني، وقفت للحظة في الممر، وبيدي الصينية. وأحسست فجأة أنني أحوز امتيازاً، بدخول غرفته وهو نائم. كان نحول وجنتيه، أكثر بروزاً أثناء نومه، وبدا وجهه وقد زال عنه الألم، وله فم جميل وشفتان ناعمتان منظرهما جميل.

رفعت الستائر.

(سوف تخلعين حلقات الستارة) قال وهو يجلس، كان جفناه منتفخين ويبدوان في ضعف حجمهما العادي.

(أهلاً) قال، وهو مندهش لرؤيتي، ثم فرك جفنيه وربما تذكر كل شيء. وضعت كنزة فوق كتفيه، وربطت ذراعيّ الكنزة تحت ذقنه.

(شاي طيب) قال، وهو يستند بظهره إلى السرير، وبدا مثل المسيح، وهو يحتسي الشاي، وهو في رقدته تلك.

طرقت / آنا/ الباب، واندفعت داخلة قبل ، أن يصرخ، طالبًا منها التوقف.

(أحضرت البرقية، ويجب أن ترسل أولاً في الصباح) قالت. وكانت البرقية مرسلة إلى المحامي.

وأشارت لي إلى أن الحلوى السوداء، على الفرن سوف تبرد، إذا لم أهبط وأتناولها.

(حلوى سوداء!) غمغم بألم.

(إن مظهر أنفك جميل) قالت له.

(ربما هو مكسور) قال دون أن يبتسم.

(إنني سعيد الحظ لأنني، لا أكسب معيشتي، بواسطة أنفي) قال (أو أمارس الحب به).

(آه) قالت / آنا/ وهي تقف في وسط الغرفة، ويداها فوق وركيها، وهي تسوّي السرير، وتضع قميص نومي على المعقد.

(حسنًا) قال لنا نحن الاثنتين. (هيا هرولاً إلى الخارج) خرجت، بينما بقيت هي، واستمعت وأنا خارج الباب:

(لقد أنقذت حياتك أليس كذلك؟) سألته آنا.

(نعم، فعلت ذلك، أنا شديد الامتنان لك ياآنا، ذكّريني كي أضرب لك ميدالية).

(هل ستقرضني خمسين جنيهًا؟) سألت (أريد شراء آلة خياطة، وأشياء جديدة إلى بابا، إذا حصلت على آلة خياطة فنحن نستطيع إصلاح جميع قمصانك)

(هل نستطيع) سأل بسخرية.

(هل ستقرضني المبلغ؟)

(لماذا لاتقولين أعطني خمسين جنيهاً) عرفت أن تلك الكلمة (قرض) لامعنى لها هنا)

(ليس أمراً جميلاً أن تقول هذا) بدت حزينة.

(آنا، سوف أعطيك إياها) قال (جائزة)

(رجل طيب. ابقها لنفسك، ولاتقل كلمة لدينيس، لو عرف أنني أملك خمسين جنيهاً، فإنه سوف يشتري ثوراً أو غير ذلك)

خرجت من الغرفة مسرورة، وركضت بعيداً وساروني احساس بالخجل من الإمساك بي وأنا أتنصّت.

(لاتثرثري بالحكاية) قالت، وأنا أسرع عبر الممر، المكسو بالسجاد (تعالي، سوف أسابقك في هبوط الدرج) وهرعنا إلى المطبخ.

قرأت صحف الأحد.

(إن لها وجهاً يشبه لاورا) قالت، وهي تشير إلى وريثة غنية، نشر في الصحف أنها واقعة، في حب حلاّق.

(نوبة تبادل الجنس) قرأت بصوت عالٍ (ياأمي. أنا لا أفهم الناس أبداً، ألا ينظرون إلى أنفسهم، عندما يخلعون ثيابهم!)

وقرأت خريطة بروجنا، دينيس، الطفل، يوجين، وأنا، ولاورا، هي تضم / لاورا/ لكل شيء، وهكذا مضى الوقت. وخرجت بعد الغداء مع دينيس والطفل. وكان لديّ إحساس بأن/ لاورا/ قد تعود في أية لحظة، وبهذا الإحساس قمت بأول جولة لي في المنزل. وذهب يوجين إلى الحقل ليعاين، مضخة الماء الخاصة بتنظيف الأغنام.

كانت هناك خمسة أسرّة للنوم، وكانت اللحف مطوية، فوقها والخزائن

فارغة، ماعدا المشاجب الخشبية. كان الأثاث قديمًا، وأسود اللون، وغير متناغم، وكانت في الصناديق والدورج والخزن بجانب الأسرّة، أوعية لحفظ الأزهار.

وفي الدرج الأعلى من صندوق بياضات، عثرت على حقيبة سهرة فضية، وبداخلها مذكرة للاورا. لا تحتوي على يوميات، بل مجرد أسماء وأرقام هواتف. وقفاز أرجوني للسهرة، وكان يعبق منه عطر رائع. جربّت القفاز ولسبب ما، بدأ قلبي يدق. لم يكن هناك أي شيء، في الجوارير الأخرى، فقط علامات بالطبشور الأبيض، تشير إلى رقم الجارور.

* * *

قبل الغسق هبطت إلى الطابق الأرضي، ورفعت ذلك المصباح المعلق الذي، أضاءته / انا/ لي قبل ذهابها إلى الفراش. كان الأرنب على المائدة، كما تركته منزوع الجلد، وجاهز للطبخ. وكان دينيس قد ألقى القبض عليه قبل يوم.

(العشاء) صحت بصوت عال وأنا أتناول كتاب الطبخ وأنظر فيما تحت حرف الراء:

فجل

يخنة

خبزبزبيب

فطيرة بالزبيب

حلوى بالزبيب

جبن فوق الخبز المحمص

فريز

* * *

ولم يكن الأرنب مذكورا، كان كتاب الطبخ خاصة لأورا. كان اسمها قبل الزواج وبعد الزواج، مكتوبا بخط غامق على الصفحة الأولى.

(العشاء) قلت لكي، أمنع دمعة من الانهمار، وبعد ذلك تذكرّت كيف سأل يوجين، في وقت سابق من النهار (هل تستطيعين الطبخ؟)

(قليلاً) قلت.

وكانت كذبة شاملة، لم أطبخ طوال حياتي، ماعدا يوم الجمعة، عندما ذهب غوستاف وجوانا إلى مكتب المحامي لكتابة وصية. أحضرت إلى المنزل، سمكتين من أجل طعام الغداء واحدة لبابا، وأخرى لي، أعدت / بابا/ المائدة بينما أقلي السمكتين. لم أكن أعرف شيئا، عن كيفية تنظيف السمك، بل وضعت السمكتين في المقلاة الكبيرة، وأشعلت النار تحتها، ولم يحدث شيء خلال، دقائق قليلة ثم احتراق بعد ذلك، جانبا السمكتين.

(هناك رائحة كريهة) ضرخت / بابا من غرفة الطعام.

(إنه السمك) قلت. لقد احترقت كلا السمكتين.

(ماذا؟) سألت. وهي تتندفع إلى المطبخ وتسد أنفها بيدها.

وعندما رأت ماحدث، تناولت المقلاة وحملتها، وركضت نحو ورمت، مافيها، في سلة الزبالة.

(فاصدة عروق) [1] قالت وهي، تعود إلى المنزل، (لابد أنك كنت على قيد الحياة، عندما أكلوا روث البقر والعظام، متوحشون). وضعت المقلاة في المغطس، وفتحت حنفية الماء فوقها.

وخرجنا إلى / وولورث/ كي نتناول طعام الغداء.

وأنا جالسة في المطبخ الكبير، فكّرت ببابا وبكيت. إنني أفتقدها. لم أكن

---

(١) إشارة إلى مصاصي الدماء

وحيدة من، قبل طوال حياتي، لم أكن وحيدة، ويجب عليٍّ أن أعتمد على ذاتي، فكرت بكل الأمسيات الجميلة، التي قضيناها معًا، ونحن نتجاذب أطراف الأحاديث ونضحك. وكنا عادة ننهي تجوالنا، بالذهاب إلى السينما، مأخوذتين بالظلام وبالشاشة الكبيرة، ونحن نلعق الآيس كريم، ونتابع مشاهدة الفيلم.

(ياإلهي) همست وأنا أتذكر بابا، ووالدي والجميع. ثم دفنت وجهي بين يديّ وبكيت، لم أكن أعرف لماذا بكيت.

ولثلاث أو أربع مرات، خرجت نحو زاوية المدخل الأمامي، وانحنيت فوق البوابة الرطبة البيضاء، لكي أرى فيما إذا كان هناك شبح لأي إنسان قادم. لم يأت أحد. ماعدا رجل بوليس، على دراجة عبر الطريق، ووقف أمام البوابة لدقيقة، والتقط أنفاسه ليستريح، ثم قاد دراجته ثانية. ومن المحتمل أنه كان يطارد أي سارق للسمك، أو من ينتهك حرمة أرض الاخرين.

وجاء يوجين فيما بعد، ونشفّت دموعي، وتساءلت ما إذا كان يتوقع مني، أن أرحل بهدوء وهو في الخارج.

(ما زلت هنا) قلت.

(وأنا مسرور) قال وهو يقبّلني. كان الوقت غسقًا، ويجب أن نضيء المصابيح.

ونحن نجلس أمام نار الموقد، في غرفة المكتب قال (أيتها الزهرة المسكينة والوحيدة.. إنه ليس شهر عسل جيد لك. هل هو كذلك؟ فكّري بأشياء جميلة، الشمس الساطعة، أنهار الجبل، الأشجار المزهرة، والعصافير وهي تطير..)

ارتميت بين ذراعيه، وكنت أفكر فقط، بما سيحدث بعد ذلك. كان قد وضع اسطوانة على (الغرامافون)، وصدحت الموسيقى تملأ فضاء الغرفة. وكان المطر في الخارج يضرب زجاج النافذة، وقد تسرّبت مياه المطر، من خلال درفة النافذة. كانت الدنيا ساكنة جدًا، ماعدا صوت الموسيقى، ووقع المطر. كانت عيناه

مغلقتين، وهو يستمع إلى الموسيقى. التي لها تأثير شديد عليه، وكان وجهه يغدو ناعماً، وروحه كلها تنتعش وهي تتشرّب تلك الأنغام.

(تلك معزوفة ماهلر) قال عندما توقعته، أن يقول (تستطيعين البقاء أو تستطيعين الذهاب)

(أحب الأغاني) قلت أوضّح موقفي، ولكن عينيه ظلتا مغلقتين، وظننت أنه لم يسمعني مطلقاً. ظلت الموسيقى تذكرني بالطيور، التي تنطلق طائرة من، أكمات الأشجار وهي تحلّق في الفضاء في بواكير أماسي الصيف، وبالغربان وهي تحط، فوق المقلع القديم في المنزل، وتوهم الناظر بأنها أكثر عدداً من خلال ظلالها، وبأصواتها الناعقة وصراخها الناعب. وفكّرت بوالدي بعدئذٍ، وأحسست بأنهم سيعودون ثانية في تلك الليلة.

(ولكن هذه الموسيقى تصاحبها كلمات) قال، يوجين وبشكل غير متوقع. إذن لقد سمعني. (إن الكلمات لها نظام أكثر كمالاً، هذه الموسيقى تقول شيئاً عن أناس، أناس يعيشون، يتقدمون، يشنّون الحروب، جائعون، موسيقى عن الثورة، موسيقى تستطيع أن تعبّر، بواسطة آلات بسيطة مثل المزمار، عن ألم وشظف الحياة)

ظننت أنه لابد أن، يكون به مس خفيف، ليتحدث بمثل ذلك، وخاصة عندما أبديت قلقي، حول مجيء والدي، والإحساس الذي يبعدني عنه، قفزت واقفة وأنا أعتذر، بأنه يجب عليّ أن أعدّ العشاء. كنا قد وضعنا الأرنب على النار.

كان يغلي ببطء شديد، واللحم الأبيض يتساقط عن العظم تدريجياً. سمّكت صلصة مرق اللحم، بقليل من طحين القمح، غير أنها تكتلت كثيراً وطفت على سطح الصلصة، نتف من تلك الكتل.

يجب عليّ أن أفعل شيئاً، فكّرت، وأنا أمضي لأضع قليلاً، من البودرة على وجهي، لأن بخار العشاء قد حمّر وجنتيّ، وعندما عدت إلى الغرفة كان يقرأ.

جلست في مواجهته، وأنا أحدّق إلى دائرة السواد التي، خلّفتها رصاصة / آنا/ في السقف. وفكّرت عندما أغادر غداً، فتلك النقطة الدائرية سوف أتذكّرها، ودائماً سوف أتذكّرها.

(سأذهب غداً) قلت فجأة. كان ضوء المصباح الأصفر، يبدو على جبينه وانعكاس وعاء الزهور، يظهر الجزء الأعلى من عدستي نظارته.

(تذهبين؟) قال متسائلاً. ورفع عينيه عن، الصحيفة التي، استقرت على ركبته. (إلى أين ستذهبين؟)

(ربما إلى لندن)

(هل تريدين فعلاً؟)

(لا)

(إذن لماذا تذهبين؟)

(وماذا أستطيع أن أفعل شيئًا آخر؟)

(يمكنك البقاء)

(لن يكون ذلك صحيحًا) قلت، وقد اجتاحتني نوبة من السعادة، لأنه هو الذي اقترح ذلك، وليس أنا.

(ولم لا؟) سأل

(لأن ذلك سيكون وكأنني أرمي نفسي عليك) قلت (سأذهب وبعد أن أذهب، تستطيع الكتابة إليّ، وربما أعود ثانية)

(افرضي أنني لا أريدك، أن تذهبي، فماذا إذن؟) سأل.

(لن أصدّق ذلك) قلت، ورفع عينيه، إلى السقف في ارتباك. ظللّت أفكّر أنه طلب إليّ البقاء، لأنه يشفق عليّ، أو لأنه كان وحيداً.

(لماذا تريدني أن أبقى؟) سألت.

(لأنني أحبك. لقد عشت فترة طويلة مثل الناسك، أعني أحيانًا أشعر بالوحدة) ثم توقفّ عن الكلام فجأة، لأنه رأى عيني مغروقتين بالدموع.

(كاثلين) قال بنعومة، فهو عادة يقول كيث، أو كاثي- (قال كاثلين) ومدّ يده لي.

(سأظل أسبوعًا أو أسبوعين) قلت، وقبّلني وعبّر عن سعادته، التي يشعر بها.

أغلقنا أبا جورات النوافذ، وتناولنا طعام العشاء. كان لحم الأرنب والبطاطا، مفعمين بطحين القمح والصلصة، وكان مذاق اللحم طيبًا. قال إنه سوف يشتري، لي خاتم زواج، ولذلك لن تزعجني آنا ولا الجيران بالأسئلة.

(نحن عمليًا لانستطيع الزواج، أنا لست مطلقًا وهناك طفل) قال وهو يتحاشى النظر إليّ، كان ينظر نحو أوراق وزجاجة حبر. قلت لكي أخفي خيبةَ أملي:

(أنا لاأنوي أبدًا الزواج علي أية حال)

(سوف نرى) قال، وضحك، ومن أجل أن يسرّني، تحدث إليّ عن عائلته.

(ابتدأ) إن أمي مصابة بواسواس المرض - ويبدو أنه نسي أنني قابلتها - (وتزوجت والدي في تلك الأيام الحسنة، عندما كانت سيقان النساء تغطيها التنانير الطويلة، أقول الأيام الحسنة، لأن ساقيها كانتا مثل عوديّ ثقاب، تلاقيا وهما يسيران، في شارع / غرافتون/. كان في زيارة موسيقى، رجل طويل غامق اللون، أجنبي، في طريقه لشراء قاموس فرنسي- إنكليزي، وسأل السيدة، بأدب شديد، ما إذا كانت تستطيع أن تدلّه على مكتبة وأنا - وربّت بإصبعه على صدره- نتاج ذلك اللقاء المصادفة).

ضحكت وفكّرت شد ماهو غريب، أن أمه استطاعت أن، تسحر أجنبياً بتلك السرعة. تابع ليقول لي أن والده، قد تركهما عندما كان في الخامسة من عمره. إنه يتذكّر والده بغموض، كرجل جاء إلى المنزل ومعه، كمنجة وبرتقال، وأن أمه عملت كساقية، لاطعامهما معًا، وعانى ألمًا عند تبديل أسنانه اللبنية، وعانى حياة قاسية، ومرّ بطفولة غير سعيدة.

(والآن جاء دورك) قال، وأشار بحركة لطيفة نحوي. وتداعب إلى ذهني، تفاصيل طفولتي، أكل الخبز والسكر، على درجات السلم الخلفي للمطبخ، واحتساء الحلوى الرجراجة التي، كانت توضع جانبًا لكي تبرد، أحيانًا كلمة واحدة، تسترجع كل ذكريات الحياة، قلت (كانت أمي في أمريكا عندما كانت شابة، ولذلك كانت لها كلماتها الأميركية).

وتذكّرت الأمور التي جرت مصادفة، بالمرأة السمكرية التي، كانت تسرق حذاء أمي، من خلال نافذة المطبخ الخلفية، وذهاب أمي إلى المحكمة، كي تقدّم برهانها على تلك السرقة، ثم حزنها فيما بعد لأن المرأة السمكرية، نالت شهراً من السجن، والدجاجات اللواتي افترسهن ابن عرس دفعة واحدة، وكان عددهن مائة وعمرهن يوم واحد. كنت أتحدث، وأنا أرى الحقول، عبر النافذة بعين الخيال، حقول خضراء، وبيت حجري قديم. أصوات العربة التي يجرّها حصانان. كان يجلس مثل إمبراطور، ويقسم لي أن آلات تجفيف جلود البقر تباع في الأسواق مثل الدخان. راقبت بقايا الدهن في الصحنين، بعد وجبة العشاء، ومازلت جالسة أتحدث إلى يوجين، كما لم أتحدث من قبل. وكان مستمعًا جيداً، ولم أحدثه عن شراب الوالد ونوبات سكره.

مضينا إلى الفراش ، بعد منتصف الليل بفترة طويلة. صبعد إلى الطابق الأعلى، وهو متعب، بينما تبعته وأنا أحمل المصباح، وأتساءل بحماقة فيما إذا كنت، من المحتمل أن أتركه يسقط، وأن تشتعل النيران في السجادة التركية.

(وهكذا نحن الاثنان في حاجة إلى والد) قال (إن لدينا رابط مشترك)

لم يمارس الحب معي، في تلك الليلة، كنا قد تحدثنا كثيراً، وكان مايزال ضعيفًا من جراء العلقة والرفس الذي عاناه.

(لاحاجة للسرعة).

طبطب على بطني، وقال أحدنا للآخر، كلمات حارة ومريحة، لكي يغري أحدنا أحدنا الاخر على النوم.

* * *

الفصل الخامس عشر

بعد ظهيرة يوم اثنين، انطلق محامي يوجين، بسيارته من دبلن. وكنا قد أوقدنا النار، في غرفة الجلوس ونحن نتوقعه. كان رجلاً صارمًا، وله شعر أحمر، وحاجبان حمروان، وعينان خفيفتا الزرقة.

(تقولين أن هؤلاء الناس، هاجموا السيد غالارد؟) سأل.

(نعم لقد هاجموه)

(هل تشهدين على هذا؟)

(كلا. كنت تحت السرير)

(السرير؟) رفع حاجبيه الأشهبين، وتطلع إليّ باستنكار بارد.

(إنها كونت ذلك بشكل مشوه. إنها تعني السرير الاحتياطي، في غرفة المكتب) شرح /يوجين/ بسرعة. (لقد اختبأت تحته، عندما جاؤوا. لأنها كانت خائفة)

(نعم السرير) قلت منزعجة من الاثنين.

(إنني أدرك ذلك) قال المحامي ببرود، وهو يسجل شيئًا في مفكرته.

(هل أنت متزوجة، آنسة أو)

(لا) قلت، يوجين يبتسم لي، وكأنه يود أن أقول سوف أكون.

ثم سألني المحامي، عن اسم والدي، ولقبه، وأسماء الآخرين وعناوينهم

الصحيحة. وشعرت بأسى شديد، حول واقعة إرسال رسائل إليهم، من المحامي، غير أن / يوجين/ قال إن ذلك يجب أن يكون.

(إنه مجرد إجراء بسيط) قال المحامي (سوف نحذرهم من أنهم؛ لن يستطيعوا المجيء، وإزعاج السيد غالارد. هل أنت واثقة أنك، فوق سن الحادية والعشرين؟)

(أنا متأكدة جداً) قلت مقلدة لهجته.

ثم استجوب يوجين، بينما كنت جالسة، أعقد وأرخي أصابعي، قدّم يوجين صورة شاملة، عن الحادثة التي أدت، إلى مهماجمتهم له. وكان دقيق الملاحظة والتعقيب.

جلبت الشاي، والكعك بحلوى التفاح، والكريما. ولكن كل ذلك، لم يبعث البهجة لدى المحامي. وتحدث مع يوجين حول الأشجار.

وغادر بعد الساعة الرابعة بقليل، ولوحّت له بيدي، وهو ينطلق بسيارته على غير عادتي. كانت الدنيا قد غدت مظلمة، وكان الجو مليئا بالأصوات الناعمة، التي تصدر في السماء، ثغاء البقر، وحفيف الأشجار، وتجوال الدجاج وقرقه بسعادة، يتفادى وخلال دقائق قليلة، حشره في أقنانه قبل هبوط الليل.

(حسنًا، حسنًا لكل ماجرى) قال يوجين، ونحن نعود إلى داخل الغرفة، وجس إبريق الشاي ليتأكد، فيما إذا كان باردا.

(لن يزعجوننا مرة ثانية) قال، وهو يصب نصف كأس، من الشاي الثقيل.

(سوف يزعجوننا دائمًا) قلت، وتذكرت كل الحادثة التي، أثارت في الحزن ثانية.

(سوف يتقبلون الوضع الجديد) قال. غير أنني بعد يومين، تسلمت رسالة تعيسة من خالتي.

عزيزتي كاثلين:

لم ينم أحدنا ولو غمضة عين، منذ الحادثة، ولم نأكل لقمة. إننا نكاد نجن من أجل، أن نعرف ما يحدث لك. وإذا كانت تكمن ولو ذرة، من الشفقة في جوانحك، فاكتبي لي، وأخبريني ماذا تفعلين. إنني أصلي لك ليلاً ونهاراً، وتعرفين أنك ستظلين دائمًا، تلقين الترحيب هنا، عندما تعودين. اكتبي لي فور انتهائك، من قراءة رسالتي، وأرجو أن يباركك الله، وأن ترعاك عين الأم، وتحفظك نقية وطاهرة وآمنة. إن والدك لايفعل شيئًا، سوى الاستغراق في البكاء. اكتبي إليه.

خالتك موللي

(لاتجيبي على رسالتها) قال يوجين (لاتفعلي شيئًا)

(ولكنني لاأستطيع أن، أتركهما قلقين كثيراً)

(تطلعي) قال (هذه العاطفة سوف نقودك إلى هاوية. وحالما تتخذين قرارا، فيجب أن تلتزمي به. أنت قررت أن تكوني، قاسية نحو الناس. بل إنك قررت أن ، تكوني صارمة نحو نفسك)

كان صباحًا باكراً وقد أقسمنا، ألانبدأ نقاشا قبل الغداء. في الصباحات كان، عادة نزقا، وسريع الغضب إن لم أقل نكدا، وكان يجب أن يتمشى لوحده لمدة ساعة أو ساعتين، قبل أن يتحدث معي.

(إن في ذلك قسوة) قلت.

(نعم) قال (إن رفسي بمقدمة أحذية، لها مسامير هو أمر قاس. إذا كتبت إليهما) حذر (فسوف يأتيان إلى هنا، وهذه المرة سوف أتركك تتعاملين معهما) كان قاسيا، ولكن ذلك لم يوقف حبي له.

(حسنًا) قلت، وخرجت وأنا أفكر بذلك. وفي داخل الغابة كان كل شيء

رطبًا، الأشجار يتساقط عنها الندى، والمنزل هادئ، والجبل الرمادي يطل من فوق رأسي، كان المكان منعزلا.

في الأخير لم أفعل شيئاً سوى البكاء، وبعد الظهر كان يوجين في مزاج أفضل.

وفي تلك الليلة قال، (سوف نذهب إلى المدينة غدا) وتناول محفظة جيب من جارور، ووضع نقودا ورقية فيها وأعطاني إياها. كانت الأحرف الأولى من، اسمه وبالذهب مثبتة على، الجلد الملون للمحفظة. وقال إنها هدية من شخص ما.

(سوف نشتري لك خاتمًا، وغرضين آخرين) قال وبعدئذٍ وعندما كان، يدير ظهره لي ويخطو خطوة واسعة نحو النار، نظرة إلى داخل المحفظة، وأحصيت النقود التي إعطاني إياها، وكانت عشرين جنيها.

وفي اليوم التالي، وأنا أسير في شارع / غرافتون/ في الريح الباردة، شعرت وكأن الناس يزمعون اتهامي، لارتكابي خطيئتي علانية.

(بانغ، بانغ) صوّت يوجين بفمه وكأنه، يسدد بندقية ضد أعداء متوهمين، ولكنني ظللت خائفة، وغمرتني موجه من السرور، لأنني دخلت إلى دكان لبيع الجواهر.

اشترينا خاتما ذهبيًا، ووضع الخاتم في إصبعي ونحن في الدكان (وبهذا الخاتم الثمين، نستطيع الذهاب إلى السرير) قال، واعترتني رجفة خفيفة وضحكت.

اشترينا بعض الأغراض، من البقاليات، وخمراً، وروايتين مجلدتين، وبعض الأوراق. وسألته في المكتبة عما إذا كان شديد الثراء.

(ليس كثيرًا) قال (إن النقود قد نفذت تقريبًا، ولكنني سوف أنال مهرك / الدوطة/ أو أنني سوف أعمل) ودار حديثنا حول ذهابه، إلى جنوب أمريكا، في

فصل الربيع من أجل، تحقيق فيلم وثائي، حول الري لإحدى الشركات الكيماوية. وكنت قلقة تقريباً، حول ماإذا كان، سيصحبني أم لا.

كان قد حلق شعره، في مكان ملحق بإحدى الفنادق، تركني مع زجاجتي ويسكي ومياه غازية، في ردهة الجلوس، وما أن تركني وغاب عن الأبصار، حتى تجرّعت بعضاً من الويسكي وتسللت إلى دورة المياه مخافة أن يعرفني أحد. غسلّت يديّ خلال دقائق قليلة، ووضعت بعض الماكياج، وفي كل مرة كنت أغسل، فيها يديّ كانت الخادمة، تقدم لي منشفة نظيفة. ظننت أنها ستحسبني مجنونة، لأنني كنت أغسل يدي في كل لحظة. وهكذا مر الوقت. وكان خاتمي يلمع بشكل جميل، بعد كل نوبة غسيل، وكنت أستطيع أن أرى صورة وجهي، فيه عندما أقرّب يدي من عينيّ.

يجب أن أتوقف عن قضم أظافري، طرأ ذلك علي بالي، وأنا أشدّ بشرة وجهي إلى الوراء، وتذكرت عندما كنت صغيرة، وأقضم أظافري، وظننت بطيش أنني عندما أصبح في السابعة عشرة من العمر، فسوف أكون كبيرة وناضجة، وسوف أكون سيدة، ولي أظافر طويلة مطلية، وعندئذٍ لن تكون هناك مشاكل. منحت الخادمة ذات الشعر الأشيب، خمسة شلنات، وارتبكت جداً، وسألتني فيما إذا كنت أود تبديل، ورقة النقود بقطعة مالية أصغر.

((لا إن الأمر على مايرام) قلت (لقد تزوجت اليوم)، وكان يجبّ أن أقول ذلك لشخص ما. صافحتني والدموع تملأ عينيها اللطيفتين، وتمنت لي حياة سعيدة مديدة. وبكيت قليلاً مشاركة لها. وتصرفت بأمومة، وأحببت أن أبقى، معهما لفترة أطول، وأن أقول لها الحقيقة، وأقف على رأيها، فيما إذا كان مافعلته هو الصواب. ولكن ذلك كان، سيبدو أمراً طائشاً، ولذلك خرجت.

ولحسن حظي، عندما عدت إلى ردهة الانتظار، ما أن أخذت مجلسي، حتى رأيته عائداً. وحتى خلال فترة الغياب القصيرة، هذه تذكرّت عندما رأيته. شد ماكان جميلاً ببشرته السمراء وبفكه القوي.

(لقد أنهيت حلاقتي) قال، وهو ينحني ويمسح خده بخدي، وكان قد حلق شعر ذقنه أيضاً.

كنت قد نثرت قليلاً من العطر، وأشار إلى رائحتي العطرة، وبعد ذلك وكإجراء احتفالي بالمناسبة، عبرنا الصالة نحو غرفة الطعام الفارغة، وكنا أول من تناول العشاء في تلك الليلة. نصف زجاجة من الشمبانيا، ولكن عندما أحضرها الساقي، في دلو مليء بالثلج، بدت بائسة ولذلك أعادها وطلب زجاجة كاملة، طلبت منه أن يعطيني، الغطاء للزجاجة، ومازلت أحتفظ به. وكان ذلك أول شيء أملكه ويعتبر لي. ذلك الغطاء الفليني المدورّ بقمته الفضية.

رفعنا كأسينا، وشربِ كل منا نخب الآخر، بملامسة كأسينا الواحد بالآخر، قال (في صحتنا)، وشربت وكلي أمل بأن أظل شابة دائماً.

كانت الليلة سارة، وبدا وجهه أكثر شباباً، بسبب قصة شعره، والنقود التي أعطاني إياها. في بعض اللحظات وتحت الأضواء، حيث تبدو معظم النساء جميلات، تحت تلك الأضواء، وفي اللحظة، كان الحظ بجانبي، وعبر مرآة الجدار، رأيت نفسي جميلة، وأتدفق سحراً وألقاً.

(أستطيع أن ألتهمك التهاماً) قال (مثل قطعة الآيس كريم) وفيما بعد، وعندما كنا في المنزل، وفي السرير أعاد قول ذلك، وهو يستدير ليعاشرني، أدار خاتم الزواج، المرة تلو المرة، حول إصبعي.

(إنه أكبر قليلاً على إصبعك، سوف نضيقّه قليلاً) قال.

(سأفعل ذلك) قلت، وكنت أشعر بالكسل والخدر، من تأثير الشمبانيا، وهمس صوته في أذني، وهو يتشمم رائحة شعري.

(هذا الخاتم سيبقى معك طويلاً) قال.

(إلى متى؟) سألت.

(مادمت تحتفظين بضحكتك الصبية).

ولاحظت بأسى طارئ، أنه لم يستخدم أبداً، الكلمات الخطيرة مثل (إلى الأبد ودائماً).

(إنني أقرع الباب، إنني أقرع الباب، دعيني أدخل) قال وهوي يشق طريقه بلطف ويداعب جسدي.

(لست خائفة، لست خائفة) قلت. ولعدة أيام، ظل يقول لي أنه يجب عليّ، أن أردّد هذا بيني وبين نفسي، لأقنع نفسي أنني لم أكن خائفة، كانت الطعنة الأولى مؤلمة، غير أن الألم ألهبني، وأنا ممدة ومندهشة وأنا أتشمم كتفه العارية.

أطلقت أنّه، ولكنه سارع إلى تقبيل شفتيّ، فأجهض تلك الأنة، وظللت، ممدة هادئة، وأنا أداعب كفله بقدميّ العاريتين، وكان ذلك أمراً غريباً، أن أكون شريكة في شيء عجيب جداً، ولذيذ جداً. وفكّرت / ببابا/ بعدئذٍ، وكنت قد أشرت مراراً إلى هذا الظرف الخاص، وما إذا كان يوازي، شغف وحب الاطلاع لدينا. فكرّت ببابا، ومارثا، وبخالتي، وبكل الناس، الذين يعتبر ونني طفلة أعرفت أنني الآن قد عبرت جسر المتعة، وانتقلت إلى عالم المرأة.

أحسست بأنني فعلت ماقد خلقت له، وخطرت ببالي بعض، الأمور الصبيانية التي جرت مصادفة وفكّرت بيني وبين نفسي، أن الأمر هكذا، فالأمر السرّي الذي كنت أخاف منه جداً، لسنوات طويلة، وكل العطور، وكل التنهدات، وكل صداريات النهود الأرجوانية، وكل دبابيس عقص الشعر، وكل القلائد، كل ذلك مكرّس من أجل تلك، الشهقة المفعمة بلذة الاندماج مع الآخر. وبدا لي الأمر ، مثيراً للسخرية وجميلاً. وكانت الإثارة المتزايدة من جسده، قد سحرتني وأسرتني مثل إيقاع البحر.

وكذلك فعلت بي، كلمات الحب التي، كان يهمس بها إليّ. أنّات، وهمهمات منخفضة، وقليلة، وقبلات، قبلات ورعشات قصيرة، كان يدفع بها داخل جسدي، وإلى أن زفر وهو يخمد على صدري، ويغمرني بحبه.

وتلا ذلك سكون، هدوء تام، وسكون شامل، وكان شيء ناعم ولذيذ، مثل زهرة ندية بين ساقيّ، وطوال الوقت كانت الغرفة، تسبح تحت ضوء القمر، وتنعكس أشعتها على السجادة القديمة، ولم نكلّف أنفسنا اسدال الستارة.

ظل راقداً ساكناً، ويحتويني بين ذراعيه، ثم ملأت الدموع عينيّ، وانحدرت على خدّي، وأدرت وجهي كي لا أعكّر سعادته، فقد كان سعيداً وفرحاً جداً.

(أنت الآن امرأة) قال وبعد فترة قليلة. أحسست بصوته، وكأنه يصدر من مكان بعيد. لأنني وكلمات الحب التي، كانت تشنّف أذني كنت قد، نسيت أن صوته كان ناعماً جداً.

(امرأة!) قلت. واعترتني رجفة مع صدى صوته الهامس. وتساءلت ما إذا كانت بابا قد مرت بهذه التجربة، وفيما إذا كانت خائفة، أو ما إذا كانت أحبت ذلك، واستمتعت به. وفكّرت بأمي وكيف كانت تنفخ، على الحساء الساخن، قبل أن تعطيني إياه، وبالرباط المطاطّي لجوربيّ كيلا يتزلقان.

ارتمى على ظهره، وشعرت بالوحدة، بعد أن قام عني، وأحسست بخفة، بعد أن زال عني ثقل جسده، أشعل شمعة، ومنها أشعل سيكارة لنفسه.

(حسناً، مسؤولية ثقيلة جديدة، والتزام ومشاكل جديدة).

(أنا آسفة لأنني جئت هكذا، دون أن يطلب مني) قلت. ظانة أن (الالتزام) هي كلمة مهنية. لقد ربطتها مع كلمة (عبء).

(حسناً، وكل شيء على مايرام، لم أكن أريد أن، أطيح بفتاة جميلة مثلك في سريري) قال مازحاً، وتساءلت بماذا يفكر بي حقاً. لم أكن فتاة سفسطائية، ولاأستطيع التحدث جيداً، ولاحتى قيادة سيارة.

(سأحاول أن أكون فتاة سفسطائية، أعني كثيرة الكلام) قلت. كنت أريد قص شعري، وأن اشتري خراطات ضيقة ومشداً للخصر.

(لا أريدك سفسطائية) قال. (أريد أن أهبك أطفالاً رائعين فقط).

(أطفالاً؟) كدت أموت من المفاجأة، عندما قال ذلك، واستندت وقلت بقلق (ولكنك قلت أنه، يجب ألا يكون لدينا أطفال).

(ليس الآن) قال. وصعق للتبدل المفاجئ في صوتي، فالأطفال يثيرون الخوف لديّ. وتذكرّت اليوم الذي، قالت لي / بابا/ فيه أن الصدر هو، مصدر غذاء للأطفال، وشعرت بالاشمئزاز والغثيان من جديد، مثل ذلك اليوم الذي، عبرت فيه حقلاً، وأكلت كومة من الأكل المثلج. شعرت بالغثيان يومئذٍ، وطرحت الأكل بين أوراق الشجر.

(لاتخافي) قال وهو يوسدنّي السرير ثانية (لاتخافي، ولاتقلقي حول أمور كهذه، إن كل شيء سوف ينتهي نهاية جيدة وحسنة. لاتفكري بذلك، إن اليوم هو شهر العسل عندك).

(إن السرير يهزّ كله) قلت، في محاولة لصرف ذهني، إلى شيء ما آخر بسيط، ولكننا ارتحنا عندما قمنا، بتركيز من جديد، ووقف على رأس السرير، بحثًا عن قميصه وسرواله الداخلي، ساعدته على ارتداء ذلك، وقبلت الترقوة المنخفضة على كتفه العارية.

(هل أنت جائع؟) سألته، وهو يتمدّد ثانية، كنت مستيقظة وواعية، وأود أن أطيل أمد لذة الليلة.

(لا. أحس بالنعاس قليلاً) تثاءب وهو، ينام قليلاً على جنبه، قريبًا مني،

(هل كنت فتاة جيدة؟) سألته وهو يضع يده على بطني.

(كنت فتاة رائعة)

(ولم أكن مخيفة)

(لاتتحدثي كثيراً، نامي)

وكنت أشعر ببطني، يرتفع وينخفض بلطف، تحت ثقل يده

لم أكن أتوقع أنا أنام، غير أنني وبطريقة مانمت.

وعندما استيقظت، كانت الغرفة تسطع بضياء الشمس، ورأيته يحدّق إليّ.

(أهلاً) قلت وأنا أظلّل عيني، من نور الشمس.

(كيت) قال (إنك تبدين مسالمة، وأنت نائمة، كنت أتطلّع إليك، على مدى نصف ساعة خلت، إنك تشبهين دمية).

نقلت رأسي إلى وسادته، وهكذا كان وجهانا متقابلين.

(ياإلهي) تمتمت بسعادة، ومددهت قدمي. ولامست رؤوس أصابع أقدامنا، طرف السرير قال يجب أن نحظى، بمتعة قصيرة قبل أن ننهض ونغتسل. وعاشرني بسرعة هذه المرة، ولم تكن هناك غرابة بأي شيء.

داخل الحمام، لم يغسل أحدنا الآخر، ولم نستطع الاغتسال، لأن الجهاز لم يشتعل، وكان الماء بارداً. كان الماء بارداً وينحدر من خزان، في أعلى الغابة. وقد أحسست ببرودته الشديدة وشعرت بسعادة، وهو يفرك جسدي بيديه الاثنتين.

(لا. لا) كنت أستجديه، غير أنه قال إن ذلك، مفيد لأنه يجدّد الدورة الدموية.

غسّل جسده جزئيًا، أقصد غسّل ذلك، الجزء من جسده، دون أن يخلع ثيابه ثانية. وقال وهو يمسح أنبوب الدوش المطاطي (إن تلك الحياة تشبه حياة النسّاك).

(هل أنت مستعدة لأن نتغازل خلال هذا الوقت الضائع؟) قال متسائلاً، وأنا أنشفّ جسدي بمنشفة جافة وسألته فيما إذا كان يحبني.

(ياالحسن الحظ أنك لاتشخرين) قال (وإلا كنت أرجعتك إلى أهلك).

(هل تحبني؟) سألته ثانية.

(اسأليني هذا السؤال، بعد عشر سنوات، بعد أن أعرفك جيداً) قال ذلك، وهو يجرني لتناول طعام الفطور، ويخبر / آنا/ بأننا قد تزوجنا.

(تلك أنباء عظيمة) قالت، ولكنني كنت أعرف، أنها تعرف أننا كاذبان.

* * *

الفصل السادس عشر

وتوالت الأيام في، نمطية مألوفة بعدئذ كنا ننام حتى الساعة العاشر، أو الحادية عشرة، وننهض ونتناول طعام الفطور الخفيف، وخلال الفطور يقرأ يوجين رسائله، وأحيانًا يقرأها لي بصوت عالٍ، ومعظمها يدور، حول عمله. وبدا الآن أنه يجب، عليه الذهاب إلى جنوب أمريكا، لأسابيع قليلة لكي ينجز فيلمًا يدور حول الري. ولم تكن تبدو هناك أية معالم لكي يكون قادراً على اصطحابي معه.

(على أية حال، لن يكون ذلك حتى، شهر نيسان أو شهر أيار) قال (ولذلك دعينا نتمتع بهذا اليوم الجميل، ولانقلق بما سيأتي. هذه هي الحياة، اللحظة الآن، هذه اللحظة التي نأكل بها البيض المقلي).

وكنا بعد الفطور، نمضي عادة إلى نزهة. أمطرت كثيراً، ولكننا لم نأبه كثيراً بالأمطار، أخذني للفرجة على عفص البلوط، وأوكار الفريز، والأشياء التي ،لم أكن ألاحظها من قبل. كان يحب الخروج إلى العراء، والمشي إلى جانب أسيجة الأشجار، وبين الأشجار والتفرج على النهر.

(انظري) كان يقول أحيانًا، وألتفت متوقعة، أن أرى إنسانًا، ولكنه يكون حيوانًا، وغالبًا غزالاً، أو بصيص ضوء، يتسرّب بين أغصان الأشجار. وكانت السماء متبدلة الألوان- سوداء، مدلهمة السواد، شديدة الزرقة، زرقاء، بنفسجية ويقوم بحركات تهريجية لكي يسرني. كان يقلّد رجلاً عجوزاً، بتهديل كتفيه، وترك ردنيه ينسدلان، وكانت أصابعه المرتجفة، تبدو مثل أصابع إنسان ذابل.

كنا نقوم ببعض، الأعمال المتعلقة بالمزرعة، نرفع الأحجار المتساقطة عن الجدار، ونصلّح السياج، ونسوق قطيع الأغنام، إلى الحقل المجاور.

(يبدو أنك ستمكثين ياكيت!) قال ذات يوم ونحن على قمة التل.

(سأبقى بضعة أسابيع قليلة) قلت. كنت أحب البقاء معه، وأن أكون في سريره. غير أنني اشتقت إلى، الذهاب لدور السينما مع بابا.

كان بعد الظهر ينصرف إلى، عمله في مكتبه، بينما كنت أساعد بابا في إعداد العشاء. كانت لدينا يخنة، وبطاطا مخبوزة مع بصل، وليمون، وبقدونس، وأحياناً حساء نبات قرة العين. وفي أيام الأحد نحتسي الخمر، مع وجبتنا ونتسلى بأكل بندق البلاذر [1]، أما الفواكه فيوم الثلاثاء، وكان اليوم الذي نمضي فيه، إلى البقالية متغيراً، وقد أحب التخفيف في الأكل، ولذلك لم يكن يتناول كثيراً أثناء الوجبات.

وبعد العشاء إذا كان، راغباً في الاستمرار في العمل (وكان يعد فيلماً قصيراً لصالح الـبي. بي. سي حول فصل الربيع في إيرلندا) كنت وآنا نمضي، إلى نزهة بعد أن تضع ابنها في سريره. وكانت تحب النزهات، على الطريق الرئيسي، وتحدّثني بصوت عالٍ، عن أسرار حياتها الخاصة. وكان أملها الكبير أن تصبح طبّاخة في منزل كبير، ولكنها قابلت / دينيس/ في حفلة راقصة، وأمضيا ليلتهما الأولى في كوخ، وذلك فيما بعد بمدة طويلة.

(إن الأمر على مايرام بالنسبة لك. فالسيد غالارد يتحدّث معك) قالت انا. دينيس يملك كلمة واحدة، للطفل وكلب الأغنام، وقد لاحظت بنفسي أنه، لايتحدث معها لعدة أيام، وكأنه يريد معاقبتها، أحببتها أفضل من الأول، فقد تخلت عن الحديث عن لاورا، وقد رشوتها بعشرة شلنات ورقية، وبزوج جوارب من النايلون، وبدأت تخيط لي ثوباً، على آلة الخياطة الجديدة وقد تركت مساحة في أعلاه، لكي يبرز العقد إذا وضعته على عنقي، وكنا نأكل عصيدة كل صباح

* * *

---

(١) ثمر شجرة أميركية.

وفي الأمسيات التي لايعمل يوجين فيها، كنت أجلس في غرفة المكتب معه، وأمسح شعره وهو يستمع إلى الموسيقى تنبعث من المذياع، وأثناء تمسيد شعره الجميل كنت أقبّله، أقبّل عنقه لكي أتشم رائحته، ثم يعانق أحدنا الآخر، ونتوجه بعدئذٍ نحو السرير. ونخلع ثيابا بسرعة، ونتعاشر في الغرفة المظلمة، تحت ملاءة السرير، بينما نعيق البومة، يأتينا من فوق الشجرة في الخارج. وفيما بعد ننهض ثانية ونغتسل، ونتناول وجبة خفيفة قبل الخروج لنزهة.

إنني لاأستطيع وصف سعادة تلك الليالي، لأنني كنت سعيدة ولأنني، لم ألاحظ أشياء كثيرة. كان دائماً هناك قمر، ورائحة طازجة تنتشر بعد المطر. أقول الآن، إن بعض الرجال يصبحون، غرباء بعد معاشرة المرأة التي يحبونها، أمام هو فلم يكن كذلك.

(إن ممارسة الحب تلائمك) كان يقول ذلك مراراً (يجعلك أكثر جمالاً).

(كنت أحس بالمتعة، وبالجمال، وبالسعادة، نمشي تحت الأشجار، ونمضي إلى أسفل الغابة، لنشاهد البحيرة ومنحنيات النهر، وهو يتدفق خارج البحيرة نحو البعيد. وحالما كنا نشاهد قطيعاً من الغزلان كنا نحاذر، من اتيان أي ضجة، فقد كانت أفراده سرعان ماتلوذ بالفرار. وذات يوم اصطاد غزالاً، وساعده دينيس في إحضاره إلى المنزل. ووزعنا كمية من اللحم، وذكّرني ذلك بحادث بعيد، عندما ذبحوا خنزيراً في منزلنا، وقد حملت أطباقاً مليئة باللحم، إلى منازل الجيران، وكان بعضهم يعطيني، ستة بنسات أو شلناً، وظلت كمية كبيرة من اللحم، ومع مرور الوقت نفذت، غير أن رائحة ذلك اللحم ظلت في أنفي أينما ذهبت.

في الليل، كان المستنقع كما يدعوه، يتسم بسمة الخلود، بينما كانت تمتد هناك أكمات، من أشجار البلوط، وأشجار البتولا الغضة، والتي لم تطأ قدم بشرية أرضها. وهو لم ينل شيئاً منها. ملاذاً لطيور التدرج، والغزال الأشهب. وذلك ليلة، شهدنا ولادة غزالة، وظللنا نتفرج لمدة طويلة، وتحت ضوء القمر وكأنها شيء فائق الأهمية. وربما كانت كذلك بالنسبة له.

وبعد حوالي شهر جاءت / بابا/ في وقت غير متوقع، وأحضرت معها / بودي/ . ظلت يد بودي على بوق السيارة، وهم يسوقان السيارة قرب ناصية المنزل، وظننا أن البوليس جاء لأخذي، كانت بابا في سيارة بودي، المطلية باللون الأزرق، والتي تنبعث منها روائح كلاب الصيد. فتح بودي باب السيارة الخلفي، كي تخرج بابا (وكان الباب الأمامي مكسوراً) وقد اندفعت معها شلية من كلاب الصيد، وعدت نحو الحقل وباشرت مهما حراسة قطعان الغنم.

(من يكون ذلك الشخص؟) سأل يوجين، وكنا في الغرفة الأمامية نحتسي الشاي.

(إنه بودي) قلت. وغاص قلبي، لأنني أعرف أن، اللقاء بينهما سيكون غير مشجع.

صعدت بابا درجات السلم- وهي ترتدي سترة خضراء، تركتها في منزل جوانا- ودخل بودي، وهو يرّحب بمقدمه! فقد تناول زجاجة ويسكي، من خزانة جانبية، وبدأ يتخذ الاستعداد كي يشرب منها، وكانت زجاجة الويسكي تلك، مليئة ببول بقرة، كان من المقرر أن يأخذها يوجين، للطبيب البيطري في وقت لاحق، من ذلك النهار. وبعد المذاق الأول، رمى بودي زجاجة الويسكي، توجه نحو موقد النار ليبصق ما كان في فمه.

(يوجين) قالت / بابا/ وهي تعانقه، وخفّف هذا الموقف، من التوتر ّقليلاً، ذلك أن يوجين يحب بابا.

تطلع بودي إليّ وسألني مازحًا (ماذا فعلت بنفسك؟ إنك لاتبدين كما كنت أبدًا) وقطّب محاولاً معرفة ماحدث معي، وغيّرني إلى ذلك الحد. وفكّرت خلسة، لأن مكوثي في السرير وممارسة الحب، قد بدّلا من معالم وجهي، غير أنني في الحقيقة، كنت أبدو أليفة ومدجّنة، لأن يوجين طلب مني أن أقوم بوضع ماكياج

خفيف. واشترى لي بودرة خفيفة، وأمشاط شعر زهرية، وحذاء بدون كعب، ولاحظت أن بابا كانت تنظر إليه، بإمعان شديد ذلك أنني كنت أنتعل أحذية، لها كعب عالٍ فيما سبق.

(أعرفك جيداً) قال بودي ليوجين. (رأيتك مراراً في المدينة، وقد اعتبرتك واحداً من الأمريكيين).

كنت خائفة لأن، يوجين من الممكن أن يقول، شيئًا ماحاداً مثل (لايوجد أميركان اليوم) ولكنه لم يقل. بل عرض على بودي، كرسياً من دون ذراعين، قدّم له كرسياً عادياً، وكان في وقت سابق، قد قال لي إنه يخاف، على المقاعد ذات الذراعين، من جلوس شخص ماعليها، لأنها سهلة الانكسار. وبدأت أكتشف أن الحياة، مع يوجين تتضمن عديداً، من القواعد والقوانين التي، امتعضت منها بشكل خفيف.

أخرجت كؤوساً إضافية، من خزانة جانبية. وصببت بعض الشاي الذي، كان مايزال ساخنًا.

(حسنًا ماذا حدث؟) سألت بابا، وهي تتطلع نحوي، مستوضحة كل شيء.

وغمز بودي بعينيه، وعرفت أنه كان يتساءل، بينه وبين نفسه، لماذا فعلت كاثلين مع ابن الزنا، الساخر مثل ذلك؟ ولكنني لم أستطع، أن أشرح له، أن يوجين حرسني مثل طفلة، وعلّمني أشياء، وأعطاني كتبًا لأقرأها، وقدّم متعة لجسدي ليلاً.

(أرنا شيئًا من آثار تلك العلقة!) قالت بابا، ونزّل يوجين جوربه، وأراها الكدمات وسحجات الجروح.

(تلك سحجات حلوة المذاق، وشهيّة المنظر! وهي تنال جائزة) قالت ساخرة بلهجتها الدوبلينية [1]!

---

(١) نسبة إلى دوبلن.

ونظّف بودي أسنانه، بعود كبريت، وتطلع إليّ وابتسامة تعلو شفتيه، وكأنه يسألني، هل أنت سعيدة؟

اقتربت الكلاب السلوقية الأربعة من النافذة، وضغطت بخياطيمها، على زجاج النافذة وهي تشمشم وتعوي محاولة الدخول.

(هل هذه الكلاب لك؟) سأل يوجين، بودي.

(إنها كلابي) قال بودي بفخر. وأشار إلى كلب من بينها وقال (سوف تنال حظًا ذات يوم، تلك السيدة الصغيرة، ذلك أن ميك كلب الطحّان سوف يهرول خلفها) ولكن يوجين، لم يسمع أبدًا، حول ميك كلب الطحّان. لقد كبّرت صورة لبودي مع كلب صيد على روزنامة في المطبخ. ولم تكم طفولته مثل طفولتي، كانت طفولته مليئة بتجديف القوارب، والموسيقى بالدق على الصانجات، والرحلات، أو تناول قلب الحمل، أو العجل على مائدة العشاء، وكان والده يجلب البرتقال، حتى حل الزمن الذي غادر فيه المنزل.

وضع بودي كأس الشاي بغلطة، وقال ليوجين أنه يجب أن يلقي نظرة على المنزل من الخارج وأن ينال دفقة من الهواء. وغمرني شعور بالارتياح، وأنا أراهما يخرجان. وسمعت بودي يقول: (هل سمعت من قبل بالنكتة التي، تدور حول امرأة أخذت ابنها إلى مدينة/ كيلارني/ ونزلا في فندق كبير؟مونتي!، مونتي!، وقالت: افتح فمك كثيراً، افتحه عريضاً، نحن ندفع ثمن الهواء هنا). ضحك على النكتة التي رواها بنفسه. وكنت أعرف أن نكتته التالية حول نائب الرئيس، ثم الحادثة التي، ضربه جده خلالها بالساعة، وكيف أمره جده فيما بعد، أن يكسر الساعة بيده!!

(حسنًا، يايسوع! أنت تعيشين في فرضى جميلة) قالت بابا لي.

(لست في فوضى، أنا سعيدة جدًا) قلت.

(هل اتخذت الاستعدادات والترتيبات الآن؟)

(أية ترتيبات؟)

(الزواج)

(تلك سترتي التي ترتدنيها) قلت في محاولة لتبديل الموضوع.

(تلك خرقة بالية) قالت، وهي ترفع طرفها نحو الضوء، (ويمكنك تصفية الحليب بها).

(هل أحضرت ملابسي؟) وكنت قد كتبت لها، كي ترسل لي ثيابي بالبريد.

(بحق الجحيم! أية ملابس تتحدثين حولها؟ ليست هناك أية ملابس لك، باستثناء مماسح أعطتها، جوانا لبياع جوآل، مقابل سرج دراجة، وقالت إنك مدينة لها، بأجرة أسبوع على كل حال)..

(أين دراجتي؟) قلت، وكنت قد وضعتها، تحت مظلة، وعليها معطف مطري ممزق، لكي أحمي رفرافيها من الصدأ.

(إن العجوز غوستاف يركبها أثناء الذهاب إلى العمل، ويجب أن تشاهديه، ذات صباح سوف يقع ويدق عنقه، لو أنك تشاهدين الطريقة العجيبة التي، يجلس بها فوق سرج الدراجة).

(إنها دراجتي) قلت.

(هل أنت حبلى؟) سألت (اذهبي إذا كنت تستطيعين، أنت غير قادرة على ركوب الدراجة، ووالدك الرهيب يكتب إليّ كل يوم لكي أعيدك).

(هل هو قادم؟) وبدأ قلبي يدقّ ثانية. ولم أكن قد تلقيت منه، شيئًا خلال أسبوعين.

(يجب أن تتمدي إذا كنت حاملاً) قالت بسخرية.

(هل والدي قادم؟) سألتُ مرة ثانية.

(أنّى لي أن أعرف؟ أفترض أنه سوف، يأتي ذات يوم جميل، عندما يعيره

الآخرون بشائنة، وسوف يطلق النار عليك). وسددّت إصبعَها وكأنها تطلق النار، على صورة يوجين المعلقة فوق المصطلى. (دم، وجريمة وقاتل، ثم سوف يبدأ بالغناء (لم أكن أعرف، أن البندقية كانت محشوة، وأنا لن أفعل ذلك مرة ثانية). لم تتبدل بابا ولو قليلا.

(ماذا تفعلين بحياتك؟) سألتُ بصوت غاضب.

(لديّ وقت كثير) قالت تخبرني (أخرج كل ليلة، كنت ليلة أمس، في عرض تزلج على الجليد، هائل واستثنائي. والليلة سأذهب أنا وبودي إلى عشاء راقص. وأراد شخص ما، أن يرسم صورتي خلال الأسبوع الماضي. قابلته في حفلة، وقال إنني أملك أجمل (بروفيل) رآه في حياته، وهكذا في اليوم التالي، ذهبت كما هو مخطط إلى مرسمه، وأراد أن تكون اللوحة عارية. وقلت: / بحق المسيح ماهي علاقة، لوحتك العارية، بالشكل الجانبي لوجهي؟/ وكان يرتدي بنطالا قصيرا، وبيده سوط كلاب، ياإلهي لو شاهدتني كيف ركضت بسرعة). وجالت بعينيها في، أنحاء الغرفة محدقة بالأثاث، ورفوف الكتب. (كم ستمكثين في هذا المستنقع؟) سألت ثم أجابت بدلا عني (حتى يمل منك، كما أفترض. إن منظرك جميل في هذا الحذاء). وكانت ماتزال، تنتعل الحذاء ذو الكعب الأسود.

(هل لديك صديق؟) سألتُ، وقد أثارت فيّ القلق.

(آه، لقد أصبت بالصمم. تستطيعين أن تسألي جوانا، كم هو عدد أبواق السيارات التي تدق من أجلي. لديّ مجموعة غريبة من الرجال. / وجون فورد/ أجرى لي تجربة على المسرح هذا الأسبوع.)

(مجرد كذب!)

(طبعًا كذب) قالت (قدمي لنا كأس شاي آخر، هل يوجد أي مشروب روحي [1] في المنزل؟).

---

(١) شراب مسكر، يخلط بالماء، (العرق).

كانت توجد زجاجة ويسكي، مخبأة في خزانة السلاح، ولكنني لا أريد أن أفتحها، كما أن المنزل ليس لي، وعندما عادا لم يفتحها يوجين، كما أنهما غادرا فورا. وقبل أن تغادر قالت لي / بابا/ أنها سمعت من أمها، أن والدي قادم لرؤيتي، مع راهب الأبرشية، لم أكن أعتقد أنها، كانت جادة. غير أنها في الحقيقة كانت جادة.

وفي اليوم التالي، جاء والدي، وكنا في غرفة المكتب، نعطي تعليمات إلى الدّهان المحلي، حول فتح كوة في السقف.

(والدي! والدي!) قلت عندما رأيت، سيارة ابن القارض، تتجه نحو الباب الرئيسي.

(ابتعدي عن النافذة) قال يوجين.

(ماذا في الأمر؟) سأل الدّهان.

ثم طُرق الباب بشدة.

ركضت إلى الطابق الأرضي، لأخبر آنا أن لاتجيب، وأغلقنا الباب الخلفي.

وتردد صدى الطرقات، في جميع أنحاء البيت الساكن، ونبحت الكلبة، وبدأ قلبي يدّق بسرعة، مثلما دقّ في أول ليلة جاؤوا إلى المنزل.

(كاثلين! كاثلين!) كان والدي ينادي بصوته، عبر صندوق النداء، ركضت نحو غرفة المكتب، وهمست إلى يوجين.

(إذا كان وحيداً فمن الممكن رؤيته) لقد جعلني نداؤه، أحسّ بالشفقة عليه.

وكان يوجين يتطلع، بواسطة المنظار المقرّب، ليرى من كان في السيارة، ، همس (هناك ثلاثة آخرون في السيارة، راهب، وأستطيع أن أرى ثوبه الأرجواني).

(كـاثلين) عـاد صـوت والدي ينادي، ثم تابع قـرع البـاب، باستـمـرار لمدة دقيـقـتـين تـقريـبـاً. كـان أمـراً حسـناً ألا نمـلك جرساً للباب، وإلا لكنا جميـعنا أصبنا بالصمم.

(سأسوّي الأمر) قال يوجين، وخرج ووضع السلسلة، على باب الرواق، ثم فتح الباب فجأة. وكان يستطيع فتح الباب، بضعة إنشات فقط بسبب السلسلة.

(أي شيء تريد قوله لابنتك، يجب أن يكون كتابة إليها) قال يوجين.

(أريد أن أراها) قال والدي.

كنت أقف قـرب غـرفـة المكتب، أصلّي وأرتجف. وظن الدهّان أنني أكـاد أموت، كان الاسمنت قد جف عليه، ولكنه لم يكن يستطيع معاودة العمل، لأن يوجين أمره ألا يصدر صوتاً.

(ابنتك لاتريد رؤيتك) قـال يوجين، وبدت الكلمات قـاسيـة جداً، عندمـا صدرت عنه.

(أريد فقط أن أتحدث إليها، لديّ صديق لها هنا، الراهب / غوودون/ ، إنه يعرفها منذ أن، كانت طفلة، لقد عمّدها. لن نؤذيها) وعرفت من نغمة صوته، أنه كان خائفاً وخجلاً.

(انظر ياسيد برادي) قال يوجين (لقد كتبت لك رسالة، بواسطة المحامي الخاص بي، لاأريدك هنا، ولاأريد أي مونسينيور، أن يتدخّل في شؤوني، أعتقد أننا قد وضّحنا الأمر).

(نحن لا نريد إيقاع أي أذى) قال والدي في صوت يائس

(إنك تنتهك حرمة أملاكي الخاصة) قال يوجين. وفركت يديّ بخجل. (إنها في الحادية والعشرين من عمرها وهي تمتلك ارادتها الحرة).

(أنت تظن نفسك هاماً) قـال والدي. (لكن هذا بلدنا، ولاتستطيع أن تأتي،

إلى هنا وتدمّر الناس الذين، عاشوا هنا لعدة أجيال، لاتعتقد ذلك) ولكن صوته اختفى، لأن يوجين أطبق الباب فجأة.

في الخارج ظل والدي، يقرع الباب بقبضتيه، ولكنه بعد قليل هبط درجات السلم، ورأيت السيارة بعد ذلك تنطلق. جلس في الخلف ومن خلال، النافذة الخلفية كان، يتطلع إليهم وهم يغادرون.

كان بعد ظهر السبت. وظلّلت أبكي طوال المساء، وكرهت نفسي لأنني كنت، قاسية جداً نحو والدي. لم أهتم بشعري أو بمظهري، وهكذا أردت أن أبدو فظيعة ليوجين كي يتأكد، من مدى تعاستي وكآبتي.

(أنا في حالة حب وأنا بائسة) قلت أحدث نفسي، بصوت مرتفع. سمعني وقال (خذي حبتين، من الاسبرين) لم أكن أستطيع البكاء أو أن أغسل شعري، أو أن تحدث إلى نفسي، ولكنه لاحظ ذلك.

(هل ستأخذني إلى القداس غداً؟) سألت، كنت أستطيع أن أحس، بأن الطيبة تنفد مني، لأنني لم أحضر قداساً خلال خمسة أسابيع.

(طبعاً سوف آخذك إلى القداس) قال. كان صعب التنبؤ بقراراته في مثل ذلك. كان يقول نعم أحياناً، عندما كنت تتوقعه أن يقول لا.

(طبعاً سوف آخذك إلى القداس، أيتها الحمامة الصغيرة المسكينة) قال وهو يضع ذراعه حولي ويربّت على كتفي.

(ليست لديك كتفان) قال، كنت أملك كتفين منسدلين، مثل أمي وكانا شديدي البياض، يبدوان سهلي المكسر.

* * *

لم نذهب إلى الكنيسة المحلية، لأنني كنت أعرف أن القس، سوف يبادرني بالكلام، حول الطريقة التي، تصرفت فيها بحماقة، كما كتب لي ثلاث رسائل.

وتوجّهنا بدلاً من ذلك، نحو قرية تبعد ثمانية أو تسعة أميال. كانت كنيسة جديدة مبنية، من الاسمنت على تلة جرداء، وكان هناك لوح أبيض من، الورق المقوّى عليه ملاحظة، تشير إلى حجم الدين المترتّب، على الكنيسة الجديدة. ورغم أنه كان صباحاً من شهر شباط، فقدكانت الشمس ساطعة، كعادتها في إيرلندا، وذلك تعويضاً عن أسبوع ماطر. تركته في الشمس جالساً على جدار منخفض، مقابل باب الكنيسة، يقرأ (نيوستيتسمان). كان الجو الداخلي للكنيسة كئيباً، والجدران السمراء غير مطلية، وكانت هناك سقالة بناء في ظرف الممشى.

لم يكن لديّ كتاب صلاة، إلا سبحة بيضاء، أعطتني إياها راهبة في الدير، وهكذا عانيت في تلاوة. مقطع من الصلاة. وقد أثار الناس حيرتي وذهولي– سعالهم، ألبستهم غير الملائمة، والروائح الحامضة، المنبعثة من وجوههم الجافة، ومناديلهم الوسخة. كنت أستطيع أن أرى عينّي يوجين، البراقتين تسخران مني. (الأنانيون، المغرورون، يرون السيد المسيح، وقد جاء خصيصاً لكي يخلصّهم، فالمسيح يجسّد طيبة كل الناس) وأرحت جبهتي، على مسند جديد، من خشب البلوط، وفكّرت بالزمن الذي راودتني به، فكرة أن أغدو راهبة، ثم بالفترة التي، استغرقت أسبوعًا، وأنا نهباً لفكرة أن أغدو قديسة، وأن أضع الحصى في حذائي كعقاب.

كانت الموعظة تدور حول الفضيلة، وخرجت من القداس متسائلة، فيما إذا كانت المنحة الإلهية، قد حلت علينا. ونسيت للحظة، أن يوجين كان بانتظاري. وهو يرفع رأسه عن نسخته من (الستيتسمان) قال (هل تمتعت بقداس جميل؟) وأدركت من خلال صدمة خفيفة أنه كان ينتظرني.

والشمس في عيوني قلت (عندما خرجت الآن ورأيتك هنا، نسيت أنك كنت بانتظاري، أليس ذلك غريباً؟).

(وهكذا عندما كنت هناك في الداخل، أصبحت فتاة راهبة مرة ثانية) أشار معلقًا. فكّرت أنني أبدو، مثل بقرة في حذاء أسود وجورب، وعباءة من الصوف،

لم تكوَ أبداً بشكل ملائم، لأن والدتي ماتت قبل أن أذهب إلى المدرسة الداخلية، وكان يجب عليّ أن أتولى العناية بملابسي الخاصة.

(لم أكن أبداً فتاة راهبة) قلت، متذكّرة اللوحة المقدسة، للسماء الزرقاء التي، كتبت عليها بابا أشياء قذرة طردتنا من الجنة.

(لا أعرف كيف تستطيعين القيام بذلك) قال وهو يشير إلى ريائي. (كيف تستطيعين أن تعيشي بحياتين؟ هنا في الداخل؟) وأشار برأسه نحو الكنيسة الاسمنتية (وأنت تغوصين داخلها، في عملية الصلب وجهنم والأشواك الدامية، وهنا حيث أجلس على الجدار، وأقرأ حول القنابل الذرية، وأنت تقولين / من أكون/ تجاه تلك القضية) وداعب ذقني بإصبعه (من أنت وماذا تفعلين في حياتي؟) كان يضحك طوال الوقت، ولكنني لم أحب ماقاله، رفعت رأسي، ولكنه لاحظ سمات الأسى على وجهي، فمي المزموم، والتكشيرة على شفتيّ. قفز فوق الجدار، وانحنى على غصن شجيرة فقطعه، وانحنى وهو يقدمه إليّ.

(إن الذي يوّحد الرجال والنساء شيء آخر) قال وهو يضع الغصن تحت أنفي. ثم قبّل وجنتيّ ونحن نجلس، كي ننطلق في طريق العودة إلى المنزل.

(لن تكوني كئيبة بقية اليوم، هل ستكونين ياحبيبتي؟) قال ونحن في طريق، عودتنا وسط صفوف من الأشجار الشتوية. بزغت الشمس في كبد السماء، وكانت النساء العجائز والأطفال، يعودون من القدّاس. وكان بعضهم يجلس خارج أكواخهم، وقد لوّحوا لنا بأيديهم. كان الأطفال يرتدون، أفضل مالديهم من ملابس. وقد تذكرت وجهاً أحمر، وشعراً أبيض، لفتاة ذات لون أمهق (١). كانت جالسة فوق قاعدة عمود مطلي بالأبيض، وتؤرجح ساقيها، وتنتعل حذاءاً تعلوه بكلتان، من اللون الفضي. وفكرت بيني وبين نفسي، بأنني لن أنسى هذه اللحظة أبداً، لأنها كانت شديدة الأهمية بالنسبة لي، حتى ولو أنني لا أعرف لماذا، ولّوحت بيدي للفتاة ذات اللون الزهري، وقلت ليوجين (لا. لن أكون كئيبة)، غير

(١) ذات شعر أبيض وقرنفلية العينين.

أنني اكتئبت، وأنا أختزن في ذهني صورة الكنيسة، ومن على بعد، تخيلت المتاعب والمصاعب، ولكنني لم أستطع أن أسلّح نفسي ضده، لأنني كنت أحبه جداً.

(إن الأمر على مايرام بالنسبة لك) قلت بضعف (أنت تستطيع أن تستنتج الأمور، كما تشاء، أما أنا فإن الأمر مختلف لدي).

(كلنا مختلفون) قال، وهو يبدأ في الغناء (أتساءل من يكرهها الآن؟) كانت أغنية يغنيها في معظم الأحيان، وتصورّت أنها كانت موجّهة إلى لاورا، غنى لكي يرطّب الجو وينثر شيئاً من الحيوية هكذا قال.

(لن أحصل على زواج) قلت باندفاع (مالم أحصل على زواج من كنيسة كاثوليكية).

(أنا مسرور أنك قلت لي ذلك) قال (سأكتب مذكرة بذلك) وكانت هناك رنة، من السخرية في صوته العميق. كان قوس قزح يبدو مقنطراً، في كبد السماء، وتنتهي أطرافه فوق التلال. عددت ألوانه السبعة، وكانت السماء خلفه، تتبدل ألوانها من الزرقة، إلى الخضرة الغامقة، وأحسست بمشاعري نحوه تتبدل، مثل ألوان السماء المتبدلة.

أركبنا خلال الطريق شابين لمسافة قصيرة، وكانا يقومان برحلة إلى بيت شباب، يقع على مبعدة سبعة عشر ميلاً، جلسا في المعقد الخلفي يتهامسان، وعندما التفتّ لكي أتحدّث معهما، كنت أحس فقط بركبتيهما، كانا يلبسان بنطالين قصيرين، وكان مستوى ركبتيهما على مستوى وجهي، لأن مؤخرة السيارة كانت صغيرة جداً. كانا يماثلاني في العمر، وكان من المفترض أن أكون معهما، نمشي من قرية إلى قرية أخرى، لانحمل هماً أكثر، من ثمن لكوب من الشاي. ولكنني عزيّت نفسي أن الشابين، بركبهما الكبيرة، وبصوتيهما الخائفتين، سوف يبعثان الملل في نفسي.

* * *

الفصل السابع عشر

عندما وصلنا إلى المنزل، كانت والدة يوجين هناك. فهي تأتي لتناول طعام الغداء في أيام الآحاد.

كانت قد جلبت معها هدية صغيرة لي، غطاء صينية من صنع اليد، وكانت تلك هي هدية العرس! تظاهرنا بأننا كنا متزوجين، وعلى أية حال، فأنا أضع خاتمًا. شربنا الأنخاب، ثم جلست بعد ذلك تحت، أشعة الشمس إلى أن يحين موعد الغداء.

وخلال الغداء نشب نزاع، لأنني وضعت بصلاً مقطعاً في صحن، سحبت الصينية إلى الوراء قائلة بأنني وضعت البصل عمداً، وأنا أعرف أنه يثير لديها التشاؤم.

(أدركت أنني لا أستطيع أبدًا، أن أثق بامرأة شعرها أحمر) قالت ذلك وهي، تتناول وعاء الماء ونحن نأكل في صمت. ثم دفعت صحنها بعيداً ونادت الكلبة (شيب، شيب).

غمزني يوجين، وتابعت الأكل.

(حسنًا، إن الأمور ساءت هنا كثيراً. كانت / لاورا/ مُغامِرة، ولكنها كانت تعرف كيف تقوم بالضيافة) عرّضت بي.

(لدينا برتقال اليوسف أفندي) قال يوجين، ولكنها قالت إنها، لاتثق في ذلك أيضًا.

(سأتناول قطعة من الخبز، وقليلاً من الزبدة، إذا كان ذلك لايسبب مشكلة)

قالت، هو يتجاهل سخريتها، أعطاها بعض الخبز ثم غاب. هو دائماً يهرب من الخناقات. أنهيت طعامي ونهضت بأقصى سرعة.

ساعدني في غسل الأطباق، بعد رفعها عن المائدة، ثم تلصلص عبر باب غرفة الطعام، ورآها تأكل الطعام ثم برتقال اليوسف أفندي، الذي رفضته بشدة قبل قليل، فلا ذكر للسم الآن!

(تعالي إلى هنا) همس، وتطلعت من ثقب المفتاح، ورأيتها تتناول برتقال اليوسف أفندي، من الوعاء.

(سأقول لك سرا) قال عندما عدنا إلى غرفة المؤونة (إنها ستدفننا جميعًا في قبورنا) ثم قبلني، وعندما كنت بين ذراعيه، استيقظ الحب من جديد.

انطلق بوق السيارة بينما كنا في حالة عناق، فانفلت من بين ذراعي، كي يرحب بضيفين كان قد دعاهما من دبلن.

(سأمشط شعري أولاً) قلت، وصعدت إلى الطابق الأعلى، ووضعت بعض الماكياج على وجهي، كي أبدو في وضع ملائم، لأن صديقيه أخافاني، كان الرجل محاضراً في التاريخ، وكتب القصائد في أيام الأحد، وله زوجة زميلة له، تظن أنها تعرف كل شيء، وجاء بالمصادفة ضيف ثالث، شاعر آخر، / سيمون/ ، أميركي قاد الدراجة من قرب كلينكري. وضعت والدة يوجين شالا هنديا، وجلست على كرسي قرب موقد النار، محدّثة الجميع بأن البصل يؤثر عليها.

قال سيمون الشاعر (آه) عندما تم تقديمي إليه. وخلل ذقنه الحمراء بأصابعه، وعرفت من يوجين أنه كان صديقًا للاورا، وخفت منه، فقد كان يدعو جميع النساء بالبقرات (بقرة سمينة)، (بقر نحيفة)، (بقرة متصلبة)، (بقر جميلة).

(لقد جرت الأمور على غير مايرام مع الطعام اليوم) قالت والدة يوجين، لزوجة أستاذ التاريخ التي جلست في واجهتها، ترتدي بنطالاً أخضر اللون، ومن قماش التويد.

ذهبت إلى المطبخ لإعداد الشاي، وجاء سيمون لمعاونتي. وقف في وسط الغرفة، المرصوفة أرضيتها بصفائح من الحجارة، وكان يتطلع إليّ بعينيه الخضراوين وهو يقول:

(حسنًا، أنت هنا، تتلألئين خلف الحوض الأحمر)

(أنت تسرق ذلك) قلت له، لأنني أتذكر كل شيء قرأته (من جيمس جويس).

(من هو بحق الجحيم جيمس جويس؟) سأل، ثم سألني كيف تمت علاقتي، مع يوجين العجوز وعم نتكلم، وما إذا كان جيدا في الفراش!

وبمثل هذه الوقاحة، تذكرت مثلاً كانت والدتي تقوله (من خلال أصدقائهم تعرفهم)، واستأت من يوجين لأنه يعرف رجلاً مثل هذا.

(هل قستة؟) سأل الشاعر، وكان يقصد شيئًا وقحا، ثم غمزني وهو ينظر إلي بطريقة، جعلت معدتي تكاد تطفر إلى فمي.

(ماذا؟) سألت باشمئزاز

(ماذا؟ أنت تسألينني ماذا أوه، أنت تحتاجين إلى دروس. أنت تعرفين ماذا، كل نسائي يقسن لي سلاحي !! إنه أمر جميل. يجب أن تحاولي)

ظللت محنية رأسي لذلك لم يستطع ملاحظة احمرار وجهي، كرهته بذات الطريقة التي، أكره بها الناس الذين، يروون قصصا داعرة، وغير مضحكة. كانت له لحية حمراء كالرمل، ولهجة ايرلندية خفيفة تخالط لغته الأميريكة، ورغم ادعائه بأن أهله، من أسرة إنكليزية عريقة.

(هل أضع لك الزبدة على هذه ياكاثلين؟) وأشار إلى شرائح الخبز.

(افعل). ونطق باسمي مرارا، وكان دمثا وأنيس المعشر مرة، ووقحا مرة أخرى. مثلما هم الناس الشريرون غالبًا.

(كيف يمضي عمل يوجين العجوز؟ هل هناك ملاحم قادمة؟ ياإلهي. كيف يجب أن يعمل / موبي ديك [1] أو شيئا ما عظيماً)

(لاأعتقد ذلك) قلت. وذات مرة سألت يوجين، إذا كانت لديه مطامح، لعمل عظيم ومشهور. فهز رأسه بحزن وقال (لا. ليس فيلماً مشهورا، إنني أحب أن أنجز، سلسلة طويلة حول، الظلم والقهر، والغضب الذي، يمارسه إنسان، ضد إنسان آخر عبر العصور، وعن نضالنا المحفوف بالمخاطر، من أجل البقاء وتحقيق الذات. ولكن من يحب أن يتفرج على ذلك؟).

(أنت تعرفين طموحه العظيم)، قال سيمون الشاعر هازئا (من أجل أن يتناول شرابا، مع شخص في متروغولدن ماير [2])

(أنت متخلف) قلت وأنا أرتجف من التأثر. كما أرتجف دائماً، عندما أريد أن أقول شيئًا ما هاما. (هو يقول بأنه من المهم، أن يكون لديك اقتناع بعملك. أن تقوم بواجبك طبقًا لمفاهيمك).

(الواجب! هراء! هراء!) ضحك سيمون وكأن أحدهم قد لف حول خاصرته آلة تثير الضحك (لاورا سوف تحب ذلك، ياإلهي! وذلك دون مقابل، إنه شاطر في الدعاية، والواجب! ياإلهي! سوف تحب ذلك / لاورا/ عندما تأتي)

(تأتي؟) سألت بدهشة.

(نعم، ألم تقل لك؟ لابد أنها وفرت ذلك، كمفاجأة كبيرة. لأنها ستبحر نحو كوبنهاغن في الأسبوع القادم. والآن ماذا عن قليل، من الليمون من أجل، كأس الشاي الخاص بي، ياآنسة كاثلين برادي؟)

(إنه هناك) وأشرت إلى وعاء، من الفاكهة فوق المائدة. كان الليمون يبدو

---

(١) رواية هنري ملفيل.

(٢) شركة سينمائية أميركية.

أسمرا ومجعدا، ولكنني لم أهتم بذلك. وبدأت ساقاي ترتجفان، بسبب ماقاله لي.

(سوف تكون أوقات حارة، في السرير القديم، عندما تصل، هل سبق وأن رأيتها؟ ياإلهي!) وبدأ بعد ذلك يغني (لاتهجرني ياحبيبي، في يوم عرسي)

كنت قد رأيت صورة لها، لها شعر قصير ووجه قوي. كنت قد تفرجت على صور يوجين ذات يوم، عندما كان في الخارج. احتفظ بتلك الصور، في صندوق مغلق، ولكنني وجدت المفتاح تحت أحد أطراف السجادة. كانت هناك صور عديدة لابنته، وقد كتب على ظهر كل صورة، تفاصيل أين التقطت الصورة، وماذا كانت الطفلة تفعل (ايلين تأكل خبزا ومربى، في كرسي مرتفع، الكلب الأسمر ينام، في حضن ايلين) وأزعجتني الصور، وأبعدتها وأنا أشعر بالذنب، وأنا أتساءل: ترى هل أرسل لها هدايا في عيد ميلادها؟

(إن العجوز / هيثكلف/ مازال يرعاها قليلاً، أنت تعرفين، إن العجائز يكرهون الموت كثيرا) قال سيمون الشاعر، مقاطعًا أفكاري القلقة.

(لقد جهز الشاي الآن) قلت. وأنا يائسة من الفرار منه، وفي وقت سابق، قال لي إنه يشرب بيض الطيور، لأن ذلك يمده بحيوية خاصة (وحيد مع الطبيعة والطيور الصغيرة) قال بسخرية مقطعًا من أغنية.

(لقد جهز الشاي) قلت ثانية وأنا أضع كل شيء على الصينية.

(والآن هنا فتاة عملية، وذلك ماأحبه، فتاة عملية وهادئة، آه يا للسخافة، هناك دمعة خفيفة في عينيك. ياكاثلين، أنت ذكية، حاذري أن تكوني ضعيفة، أنا شاعر، وأعرف هذه الأمور، هيا أنا بعدك). وحمل الصينية وأنا سائرة أمامه، عبر الممر الضيق والمظلم نحو غرفة الطعام.

(إن لك كفلا جميلاً) قال، وكالعادة فقد علق كعبي، في جحر فأر، في

أرضية الممر الخشبي. (ذات مرة في عاصفة ثلجية أضاع فأر طريقه إلى المنزل، وقالت/ آنا/ إن / لاورا/ وقفت على كرسي، وصرخت مثل أي امرأة في العالم)

(لقد أحضرت الأكواب الخطأ) قال يوجين، عندما رآني أفرغ الصينية. وكانت أكواب المطبخ.

(ولكنها تنفع) قلت، وقد احمرّ وجهي خجلا.

(لا. لا. لا. إنها الأكواب لبعد ظهيرة الأحد، نحن نستحق أن، نشرب الشاي في أكواب جميلة) قال ذلك بروح مرحة، وهو يعيد أكواب الشاي، إلى الصينية ويخرج بها.

(حسنًا، ماذا تتوقعين؟) قالت أمه، وهي تنظر إلى حطبة في الموقد (فتيات ريف، طازجات في المستنقعات).

خلل سيمون ذقنه، بأصابع يده وهو يتطلع إلى وجوهنا، الواحد تلو الآخر. كان الزوجان يحتسيان الخمر، وابتسمت المرأة ولم تعتذر، عما حدث وكأنها تود أن، تبدي سعادتها بشأن ذلك.

(اجلسي ياعزيزتي) قال. وأنا أكره الناس الذين ينادونني بـ (عزيزتي)

(عفوا) قلت، مغادرة الغرفة. تناولت معطفي، ومضيت خارجة أختبئ في حديقة آنا.

حتى تلك اللحظة، كرهت يوجين، كرهت قوته، كبريائه، ثقته بنفسه، وتمنيت لو أن لديه عيبًا عميقًا ما، في طبيعته فسوف يجعله ضعيفًا أمامي، ولكنه ليس لديه نقص (ماعد كبريائه). كان قويًا كالصخرة، ثم تذكرت، كما يفعل المرء في نوبة الغضب، الجانب البشع من طبيعته، كيف يمكن أن يكون نزقًا، في ذلك اليوم الذي صرخ فيه (أنت فتاة غبية لاتستطيعين، حتى إغلاق صنبور ماء) كان يصلح شيئًا ما، يتعلق بالماء على السطح، وكان يجب عليه أن يوضح ما إذا كنت، أستطيع فتح الصنبور أم إغلاقه بكلمتي (افتحي) و (اغلقي). أدرت الصنبور بشكل

صحيح، ولكن عندما أردت إغلاقه، انتابني اهتياج فأدرته أكثر، وبعد ذلك صرخ بأنه قد تعرض للطوفان، وكنت بلا حول ولاقوة، ولا أستطيع فعل شيء.

(كرهته) قلت ذلك للطيور التي جاءت لبناء أعشاشها، لم تغرد كثيراً، بل كانت تصدر ضجة، وكأنها تنظف حناجرها، تمهيداً لتغريدها الطويل، خلال نزوات العشق لديها والمغازلة.

(المغازلة) رددت ذلك بمرارة، وتساءلت مع من تكون بابا، وإذا كانت ماتزال ترى / تودميد/. ظننت أو حاولت أن أفكر، بالرجال المختلفين الذين، عرفتهم أنا، وكانوا كلهم فتيان بسيطون، إذا قورنوا بيوجين. وتذكرت بعدئذ قصة كان، قد حكاها لي، وكيف تشارك في غرفة واحد، مع رجل آخر في مكان، في لندن. وكان كل منهما ينظف، نصف الغرفة يوم السبت. بدا لي أمراً بارداً، وغير إنساني لم أكن أستطيع تصور نفسي أنظف نصف أرضية الغرفة، دون أن أترك ثوبا في، الطرف الآخر من الغرفة. غير أنهما كانا عمليين جدا، إذ نصفّا أرضية الغرفة، بخط واضح مرسوم. فكرت بهذا ويسيمون الشاعر يقول (كيف تشعرين نحو الصدور؟) وهو يضع الزبدة، على شرائح الخبز، والكعك، ويسحب القاعدة من تحت حياتي، بإخباري أن لاورا عائدة. كانت ضحكته ترن في مسامعي، وخفت لأن يوجين، يعرف شخصاً مثله.

ظللت هناك معبأة وآملة، بأنه سوف يأتي إليّ، كانت أزاهير (نورة الهر[1]) مزهرة فوق شجرة الصفصاف، بيضاء كالثلج ومتدلية كشرّابات. وعلى امتداد وطول، المزولة الصوانية، كانت بقايا الياسمين الشتوي، تاركه أزهارها الصفراء، وكأنها تبعث أملاً وضياء لذلك اليوم الحزين. قال يوجين من قبل إن الزعتر البري سوف ينمو فيما بعد هناك، وأن الحديقة سوف تمتلئ بباقات الزعتر البري، وتساءلت ما إذا كنت، سأكون متزوجة عندئذٍ.

---

(١) نبات أشجار.

(لن يتزوجك أبداً) كانت بابا قد قالت، وفكرت بأن ذلك حقيقة، لأنه حصان أسود، إن الطيب والشرير به يتناوبان في أفكاري، وأنا أتذكّر أول انطباع، وطبيعته المتمردة، ثم لطفه ونعومته. أحضر لي الخبز المحمّص إلى السرير ذات مرة، وهكذا يمكن إغرائي بالقراءة. ولفترة رحبّت بفكرة أنني، ذات يوم سأكون عجوزاً، ولن يمزّق قلبي رجل.

أصبح الجو بارداً، حالما غابت الشمس، جاء يبحث عني، بعد أن ذهب الضيوف.

(لقد حاولت التقليل من قيمتي أمام الناس) قلت، وهو يقف فوق رأسي، في الغسق ويربّت على شعري معتذراً، وكانت الأضواء المعتمة، والبنفسجية للمساء قد تلاشت.

(أنا آسف) قال (لم أكن أقصد إغضابك. ظننت فقط، أن الفناجين بدت يائسة وأن أمي سوف تتذمر، وأننا يمكن أن نحصل، على الفناجين الأفضل).

(الفناجين لاتهم) صرخت به تقريباً. (الفناجين ليست هامة، أنت الإنسان الذي، تتحدث دائماً عن اللاجوهري. حسناً، الفناجين غير جوهرية وغير ذات بال)

(حسناً، حسناً) قال، وهو يربّت عليّ لأستكين وأهدأ.

(كان يجب ألا تفعل ذلك لي، أمام كل أولئك الناس) لقد كان جنوني، يصل إلى ذروته وأنا أفكر بأن ذلك الشاعر الشرير، والمرأتين سوف، تتذكران ذلك دون شك إلى الأبد.

(أنت تعرف أنهم، ليسوا أناساً جيدين، ليسوا أفضل الناس) قلت.

(ياطفلتي العزيزة)، أجاب معتدّاً بنفسه تقريباً (ليس هناك أناس جيدون بالكامل، وليس هناك أناس مخلصون بالكامل، أقصد إن الدودة من المحتمل، أن تكون مخلصة في هذا القياس، إذا كنت تعنين هذا)

وتذكّرت كيف كان الإخلاص، في معيار التقييم، لدى أمي لكل إنسان. (ليزي مخلصة)، وتحدثت عن امرأة ما بخيلة، طلبت منا شاياً، وأعطتنا سندويش بندورة مقابل ذلك، (إنهم مخلصون) كانت أمي تقول، عن أعمام بخلاء في دبلن، كانوا يتوقعون منها، أن ترسل لهم زبدة من صنع بيتي، مقابل لاشيء طوال الحرب، هكذا كانت تحكم على الناس.

(وذلك الزميل سيمون، لقد تحدث معي، حول أمور حميمة) تذمّرت واشتكيت.

(آه يجب أن أحذركِ، إن عضوه الذكري كما ذكر، صغير جداً، وذات مرة سخرت منه امرأة ما، بشكل فاضح).

تطلع نحو السماء البنفسجية اللون، وكانت الطيور، فوق الأشجار الكثيفة، تغرّد أغاني السماء، وقد بدا السكون في الفضاء، وكأنه يمده بسرور، من الصعب التعبير عنه. كان سعيداً، كما أظن، لأن أصدقاءه ألفوني، وقالوا أشياء صريحة لي!

(إنه صديق عجيب لك) قلت

(هو ليس صديقاً) صحح يوجين (في هذا البلد، يوجد أناس قلائل، لكي تتحدثي معهم بروح الصداقة، وهناك الكثير من الأعداء، الذين يتحدثون بلغة الصداقة) وتنهد وهو يتطلع إلى، السماء الداكنة، وكأنه يود أن. يذوب في سكونها الهادئ.

وفي تلك اللحظة، دخلت في صلب الموضوع (يقول سيمون بأن / لاورا/ تبحر إلى كوبنهاغن)

(فعلاً) قال، دون دهشة أو مفاجأة (سأكون مسروراً لرؤيتها). نهضت عن المعقد الخشبي، وحدّقت إلى وجهه الهادئ والجامد.

(أنت ماذا؟) سألته.

(سأكون مسروراً لرؤيتها، نستطيع مناقشة الأمور، وربما أستطيع الحصول، على الطلاق، وأتزوّجك. سوف نتشارك في امتلاك الطفلة) ولم يشر إلى اسم الفتاة، (تستطيع لاورا أن تأتي إلى هنا، وسوف نكون جميعاً أصدقاء طيبون. تستطيعين غسل شعرها، وتستطيع غسل شعرك).

(هل تقصد ... ؟) وبدأت ولكنني لم أستمر. لم يكن هناك شيء، أستطيع تذكره، لأنني كنت أفكّر، هو لص، لص لامبالي ولا إحساس لديه. أطلقت تنهدات من الأسى واليأس.

(حسناً. سوف أكتب لها حول الطلاق. إنني أتفهم الموقف، إنني أستطيع أن أدرك، أنك ما لم تكوني متزوجة فإن ذلك، يجرح روح وطنك)

طعنتني الكلمات بشدة، وشيء ما، كل شيء، قد ضرب كل السعادة العميقة في حياتي.

* * *

تلك الليلة، وبينما كنت جالسة قرب النار أقرأ الفصل الافتتاحي لرواية (آنا كارنينا [1])، كان يكتب على الآلة الطابعة رسالة إلى لاورا. واشتقت لأن أعرف، ما إذا كان قد بدأ الرسالة بـ (العزيزة لاورا) أو عزيزتي لاورا) أو (حبيبتي) ولكنني لم أستطع، أن ألقي نظرة من فوق كتفه.

توجهنا إلى القرية، لوضع الرسالة في البريد، وكانت الليلة حارة والربيع رهيفاً، والحقول على طرفي الطريق ندية. ولم يعانقني.

وفي منتصف الطريق الجبلي المترب، وجدنا أنهم قد بدأوا يفرشون الطريق بالاسفلت، كان الاسفلت حديث الفرش، وقد تركت أقدامنا آثاراً، على وجه الطريق.

---

(١) رواية مشهورة لتولستوي. .

(تهاني) قال (إننا سنتمكن من الحصول على طريق مسفلت) كانت أول كلمة، تكلم بها منذ أن انطلقنا.

وقلت في صوت حزين (إنه ليس عدلاً، هل هو كذلك؟ إننا لايمكن أن نترك وحيدين).

كتب والدي ثلاث مرات، وكتب الراهب المحلي، وأرسلت رئيسة الراهبات، من الدير ميداليات تذكارية، وأكدت لي أنها، كرّست عدة صلوات لي، والآن هاهي لاورا سوف تجيء.

(لاشيء عادل، إنه عالم غير عادل) قال بصوت متعب وكئيب.

* * *

في القرية، سمعت موسيقى بيانو، تتناهي إليّ من ردهة فندق، وجعلتني أشتاق إلى كل، الليالي المفرحة التي، أمضيتها مع بابا وسماعها، وهي تقول (يسقط هذا الصوص) إلى رجل ما أو آخر. وعندما وضع الرسالة في البريد قلت:

(أحب أن أدخل إلى الفندق)

(أنت لاتريدين الدخول إلى هناك) وقطّب جبينه، وهو ينظر إلى البناية المطلية، باللون الأصفر، وإلى براميل الخمر التي، كانت في الخارج تحت النافذة.

(فقط لنتاول جرعة) قلت، وفكّر وهو يتنهّد. رفع قبعته ورافقني إلى مدخل البار، ثم إلى ردهته. كان المكان مزدحماً، وكانت الغرفة تعبق برائحة الدخان، الذي كان يتكاثف في جوها مع الضجة، وكان شخص يغني، كانوا في غالبيتهم من الناس المحليين، وعندما دخلنا حدّق الجميع إلينا. وكان ذلك بسبب أننا غير متزوجين. وطلب كأسين من الويسكي. وكانت الضجة التي، خفتت عندما دخلنا، قد بدأت تعود الآن، وتابعت امرأة بدينة العزف على البيانو. كانوا قد طلوا البيانو بلون أبيض، لذلك كان يبدو وكأنه مغسلة.

(هل تعرف أيًا من هؤلاء الناس؟) سألت بصوت منخفض. لم يلقوا التحية عليه، وكانت آنا قد قالت لي بأنهم لايحبونه. لأنه لم يشرب أبدًا معهم، أو يدعوهم للشراب، في أيام المعرض، وبعضهم كان يسرح في البقر، أو الغنم، ليلاً في أرضه، وفي الصباح يقوم / دينيس/ بطردهم ثانية. وظل قطيع من الماعز، بدخل إلى أرضه، فكتب مرات عديدة إلى صاحبة الماعز، ولكنها تجاهلت الرسائل. وكان من الممكن، ألا يعير الأمر كبير اهتمام، لو أنها استأذنته في السماح بالرعي. غير أنها مثل معظم الناس، في الجوار كانت قاسية، وغير ودية. وقام شخص ما يقطع رؤوس مئات، من الأشجار الصغيرة، في المستنبت الجديد بعد مجيئي إلى هنا. واعتبر ذلك تعبيراً عن الغضب الشديد، لبقائي هنا. واعتادوا أن يسألوا / آنا/ كل يوم أحد، عندما تذهب إلى القداس عن أحوالنا.

(أعرف واحدًا أو اثنتين منهم) قال.

(والآن إن قضيبه قد ملّ من المرأة الأميريكة، وهاهو الآن يعلق بهذه الشابة) سعمت واحداً، يقول معلقًا للآخر. احمرّ وجهي خجلاً، ونظرت إلى الكأس على الطاولة.

(نسي الساقي المياه الغازية) قلت ليوجين، وأنا أحدّق إلى ورقة صفراء، تحت الكأس على الطاولة. ولما كنت غير معتادة على الويسكي، فقد بدا طعمها مخيفًا، دون المياه الغازية.

جاء رجل ثمل نحونا، ورفع قبعته، وطلب من يوجين أن يغني.

(لا أستطيع أن أغني) قال يوجين، وسألني الرجل الثمل بعدئذٍ، إذا كنت أود أن أغني.

(نحن لانغني) قال يوجين. ثم همهم الرجل الثمل مقاطعِ قليلة من أغنية (الطريق القديم) ثم فرد قبتعته، وكان يجب علينا أن نضع بها نقوداً. لم أعرف ماذا أفعل، بل شعرت بالدم يطفر إلى عنقي، وأنا أصلي أن يبتعد ويتركنا لوحدنا.

وفجأة بإصبعه نقر باطبعه، قلنسوتي الصوفية، فطارت عن رأسي، وسقطت فوق الطاولة، وقلبت كأس شرابي.

(تعالي) قال يوجين وهو ينهض. خرجنا بسرعة. وسمعت الناس يضحكون، والرجل الثمل ينادي (وثنيون! وثنيون!)

(أنا آسفة) قلت عندما أصبحنا في الخارج. (كانت غلطتي. لم أتأكد من أن ذلك، سوف يحصل بتلك الطريقة).

(أناس من العصر الحجري) قال، ولكنه لم يكن غاضباً مني. احتضنني بين ذراعيه، وعدنا إلى المنزل. قلت (سوف يكون الأمر، مختلفاً غداً، وسوف ألاقي ترحيباً في المرة القادمة)

(إنه أمر عجيب) قال (الفرق بين الخيال والواقع. عندما قابلتك في تلك، المرات القليلة، في دبلن ومصادفة، فكّرت بيني وبين نفسي، الآن هنا فتاة بسيطة، مشغولة طوال النهار، وهي متعبة عندما تستلقي على سريرها. فتاة غير معقّدة) كان يتكلم بأسى، وكما ،لو كان يتحدث، عن فتاة ما ميتة.

(سأكون مثل تلك الفتاة ثانية) قلت. ولكنه هزّ رأسه بحزن، وكنت أعرف أنه كان يفكّر: كان كل ذلك وهماً، إنه مثل بياض عينيك، وصوتك الرخيم، والغصة المختنقة في حنجرتك، كنت على يقين بأنه يفكّر بشيء ما شبيه لذلك، وحتى لو فكر بذلك، فإنه ربما كان يجب عليه، أن يتفوّه بكلمات أخرى مختلفة.

لم يضيّع سيمون الشاعر وقتاً. وجاءت أول برقية من لاورا يوم الخميس. كان يوجين في الخارج، عندما وصلت، وتم تسلمها. فتحتها لأنه طلب مني، أن أفتح البرقيات دائماً.

كانت البرقية تقول:

(حسناً، الجميع يستحق قليلاً من المرح. متّع نفسك.)

لاورا.

ركضت أبحث عنه، وقالت / آنا/ إنه خرج في جولة، وأنني سوف أجده في الجبل، يساعد دينيس في إنزال القطيع من الغنم. وكان قطيع الغنم يتم تنزيله، إلى الحقول القريبة، من المنزل لعدة أسابيع قبل الولادة. ركضت خارج المنزل، وعبر الغابة نحو، الأرض اليباب، التي تقود إلى الجبل. وسمعت ثغاء الغنم، قبل أن أراها.

(ها ماذا في الأمر ياكيت؟) سأل وأنا أسرع على الطريق الضيقة، بعد أن رأيت شخصين: هو ودينيس. وفي آذاني ثغاء الأغنام، وكان دينيس يحمل مصباحًا بيده.

(إنني) قلت بصوت غاضب، وبعد أن أصبحت قريبة، منه أخبرته عن البرقية. ابتعد دينيس. مناديًا على الكلبة، متظاهرًا بأنه لايسمعني.

(إذن لهذا السبب أنت تلهثين غاضبة) قال مقطبًا. سلّمته البرقية التي، كانت مجعلكة بين أصابعي، وأنا في حالة غضب لا إرادية.

(أعتقد أنها برقية مخيفة) قلت (إن مكتب البريد، والجميع قد قرأها) وخزتني شوكة حادة في كاحلي، وعلق جوربي بها ولكنني لم آبه للأمر.

((تعالي! تعالي!)) احتضنني بين ذراعيه، ولكنني أبعدتهما. وبدت في الغسق، تجمعات قطيع الغنم، وهي تنحدر فوق منحدر الجبل.

خلال العشاء قرأ، دائمًا خلال فترات السكون، هو يقرأ، يستطيع أن يقرأ لعدة أيام، من أجل تحاشي ثورة غضب.

وصلت رسالة لاورا يوم السبت، كان اسمها على الوجه الخلفي، من المغلف، أما اسمه فقد كان في الحقيقة مترافقًا مع اسمها: السيدة لاورا غاردا، لم يظهر ذلك لي، ولكن ذلك اتضح بعد الظهر، عندما خرج، فتّشت بين أوراقه ووجدت المغلف وقرأت الرسالة:

(عزيزي يوجين،

لم أكتب منذ شهور. نحن الاثنتان بخير، والطقس رائع، حسنًا طبعًا لقد كتب سيمون، وأخبرني عن كل شيء ومن ضمن ذلك الأحداث الصغيرة، وخاصة حادثة الأكواب الغلط. أنا دائمًا أقول، إن لديك اتجاهًا اقطاعيًا نحو النساء، فيما بعد، تسلمت رسالتك الحلوة، التي تقول فيها (قابلت فتاة، إيرلندية ورومانسية وغير منطقية) وأنا أقول، ماذا تفعل مع رجلي العتيق؟ بصراحة لقد ثرت غضبًا. لاتقع عن الكرسي، فأنت تعرف أننا ما زلنا نكنّ عاطفة، واحدنا للآخر، نتحدى كل قوانين الجاذبية. أحيانًا في الليل، وعندما أكون في غرفة فارغة تمامًا (بو تنام في سريرها) وأفكّر (وأنا أصفّر بمرح، إنه رجل رائع وعجيب، ولديه موهبة ويحبني) أظن أنه الحب، أنا أحتفظ بكل رسائلك، ومن ضمنها الرسائل الأولى، التي كتبتها لي، بعد أن تقابلنا في حفلة، لعلية القوم وموقعة بـ (هيغ)، وأنت تعرف كيف استخدمنا، أسماء أخرى في نطاق اللعب. هيغ من قبلك، وثالورا من قبلي. رسائلك في مغلف حرف غ. وعندما أقرأها أتأكّد من، مدى حكمتك واستقرارك، وشدّ ما أحببتني ذات مرة. سأدعك ترى هذه الرسائل، ولكن يجب أن تعد بإعادتها إليّ.)

(الطقس جميل، هل أخبرتك من قبل، أن الجو هنا، أجمل جو في العالم؟ في الليل يوجد ضباب بحر (هل تتذكر عندما سبحنا عاريين، واعتراك برد؟)

(بو- بو جميلة وفي أحسن حال، أكره أن أخبرك بذلك، فهي لاتفتقدك. نلعب معًا لعدة ساعات، ونمرح. وأنا أحسدها على، طفولتها المحبية والمصونة، ولكنها تعرفك وأنا واثقة من ذلك، عندما تجيء.

عند هذه النقطة بدأت الرسالة، ترتجف في يدي، وتابعت القراءة والحمى، تكاد تعصف بي.

(متى مقرّر هذا الفيلم؟ ومتى تسافر إلى جنوب أمريكا؟ إلى هناك أولاً أم، إلى هنا أولاً؟ دعني أعرف بعودة البريد، فأنا أريد كل خير وجميل لك. لقد

طليت الجدران بلون أزرق، والسقف بلون أشهب. وأنت سوف تحبّ ذلك. لقد قمت بإنجاز معرض أخيراً، وقد أنهيت لتوي لوحة جميلة، أعتقد أنها هي التي، أعمل لأجلها. إنها تعبّر عن كل شيء، قلته حول الحياة، والروح، والعصاب، والحب، والموت.)

(بو تنام على على جنبها الأيمن، ويدها تحت خدها، وهي تبدو كالدمية.)

حبي وقبلاتي

لاورا

(ملاحظة: الشيء الذي يقلقني أن موم، وريكي وجاسون، والجميع يعتقدون أننا، خلقنا الواحد للآخر.)

لم يسألني ماذا أفعل، عندما عاد من الخارج. كانت الرسالة بين يديّ وشفتاي ترتعشان.

(اه. لا) قال واضعاً يديه، فوق عينيه. (أنا شديد الغباء، لأن أترك شيئاً، مثل هذا تحت أنفك)

(إنها رسالة مخيفة) قلت بكل صراحة ووضوح.

(كان يجب ألا تعبثي، بأشيائي الخاصة) وخلع قبعته وحك رأسه بانفعال.

(إنها شؤوني)

(ليس لها علاقة بك) قال بهدوء (أنا لا أريدك، أن تقرأي تلك الرسالة، وليس لك الحق، في أن تفعلي ذلك)

رميت الرسالة على المعقد (أنا مسرورة أنني فعلت ذلك، إنني الآن أعرف ما الذي، رميت نفسي فيه. إنك ذاهب إلى أميركا لرؤيتها، وحتى دون أن تخبرني)، ولو قدّر لي أن أجمع كل مرارة وكراهية العالم في قلبي فإنني أود أن يطوياني.

(أنت تعرفين ذلك) قال. (حسناً. ذلك أكثر مما يعرفه، أي إنسان اخر. في

كل مرة أتطلّع إليك، أنت تبكين بشأن شيء ما، وإذا لم يكن ذلك بشأنها – وأشار نحو الرسالة– فإنه بشأن والدك، وإذا لم يكن الأمر بشأنه، إذن فإنه لشيء ما آخر)

(أنت تخدعني) قلت. ذلك كان كل، مااستطعت قوله.

(عفوك) قال بصوت بارد جداً، وهو يتحكم، بنبرته (هل أفهم أن حياتي السابقة قد خدعتك؟)

(لا ليس ذلك) حاولت أن أشرح. (ولكن الطريقة التي فعلت بها الأشياء. أنت مستقلة، ولم تخبريني بأي شيء).

(ياإلهي!) وتنهّد، ووضع قبعته على رأسه، وأشاح بعينيه الغاضبتين

(وهكذا أنت تريدين، الملكية أيضاً، موقعة ومرسلة؟ ساعة في فراش ثمنها، حكم بالسجن مدى الحياة!)

فقدت أعصابي، ولم أستطيع التطلع إليه، (إنها صدمة) قلت في صوت هادئ لأنني قررّت أن أكون طيبة، ولأنني أردته أن يأخذني معه.

(هل ستأخذني معك؟) سألت. ولكنه لم يجب، كررّت السؤال ثانية، ولمست يده، أبعد يده ليرفع قبعته، ورماها على المقعد. وقلبتُ دواة حبر مفتوحة، ورأيت الحبر يندلق على السجادة، وسمعته يسبّ وهو، يصرّ على أسنانه.

(هل ستأخذني معك؟) سألت في، محاولة أخيرة لجعله، يقسم على ذلك.

(ياإلهي) قال، وهو يتوجّه لينشّف الحبر (اذهبي بعيداً، وأجلّي ثورة غضبك إلى مابعد) وكان ذلك كأنه يطردني إلى خارج الغرفة.

خرجت بسرعة إلى الطابق الأعلى، وبدأت أطوي ثيابي، في حقيبة سفرية من القماش، حقيبة له.

لم تكن لي ملابس كثيرة، وظلت الحقيبة تبدو، وكأنها فارغة، ولم يُغلق

سحاب الحقيبة. كما أن أقشطتها بدت واسعة. وضعت أحذيتي الثلاثة ولم يكن لديّ غيرها.

(هل أستطيع أن آخذ جنيهاً أجرة للباص؟) قلت وأنا أهبط من الطابق الأعلى، وأدق بنعومة على باب المكتب الذي، كان شبه مفتوح، كان يوجين يجثو على ركبتيه، ويزيل بقع الحبر من على وجه السجادة.

(جنيه لأجرة الباص؟) تساءل، وهو يتطلع إلى أعلى، ليراني وأنا أحمل الحقيبة، وقد ارتديت معطفي، تركّزت عيناه على الحقيبة.

(سأعيد لك حقيبتك) وكنت أعرف أنه سوف يعلّق عليها (إنها أفضل شيء، لن تذهب بعيداً) قلت ذلك، كيلا أنهار قبل أن أغادر.

وتناول خمسة جنيهات، من صندوق صغير، أخضر اللون، وناولني إياها.

(جنيه واحد يكفي) قلت، وقد تأثّرت بكرمه، في تلك اللحظة الأخيرة.

(أنت بحاجة إلى أجرة الباص، في العودة ثانية، ألا تريدين؟) قال وهو يتبسم ابتسامة ما، ثم نظر إلى الحقيبة (انخفاض قماشها، وأقشطتها الداخلية البارزة) فقال (سوف تعطين انطباعاً خاطئاً، وأنت تعرفين، ترحلين وأنت في حالة مشعثة)

(أنا آسفة) قلت، وهو يضع شفتيه على شفتي، ليقبّلني قبلة الوداع. لاأعرف لماذا قلت (آسفة). إنها فرصة فقط، لكي يستغلّ هذه الفرصة الرائعة، لكي يكون على حق، وأنا دائماً أشعر بالأسف، وليس المهم خطيئة من تكون.

(سأوصلك إلى الباص) قال، وقام بتقبيلي بعد ذلك، وكنت أبكي، وعرف كلانا، أنني لن أرحل أبداً. وضعنا الحقيبة على الأرض، وجلسنا على أريكة. بينما قال لي بصوت حنون، بأنني يجب أن أكبر، وأنضج، وأن أسيطر على عواطفي. النظام والسيطرة كانتا فضيلتان يمجدّها كثيراً، هاتان الفضيلتان والاقتصاد، في الحقيقة كانت، أكثر الأشياء التي تنقصني.

(سوف نتناول كوبًا من الشاي، هل أخبرتك من قبل عن شعاري اليومي؟) سأل، بعد أن تحدث إليّ عن مرضه.

هززت رأسي إشارة بالنفي.

(متى سأدفن تحت اسمنت في أرض المطبخ، الزوجة الرابعة، وأعدّ الشاي؟) تساءل ضاحكًا.

وتساءل فيما إذا كان، قال ذلك إلى لاورا، بعد أن جلس على معقد، وألقى عليها محاضرة بكل هدوء، حول تحقيق الذات، والسيطرة على العقل، وما شابه ذلك من أمور. إن / لاورا/ تتسلل مراراً إلى أفكاري، وتقف بيني وبين مايقوله.

* * *

أعددنا الشاي، وأكلناالبسكويت الهش، ثم خرجنا في نزهة، ورأينا ندف الثلج الأولى، في ذلك العام، شعرت بالسعادة كثيراً، وانتعشت لكل ما قاله لي، ومن أنني سأكون، إنسانة مختلفة، إنسانة كبيرة، وقوية ورابطة الجأش.

* * *

في الليل عندما عاشرني وامتلكني، فكرت بيني وبين نفسي، إننا فعلاً وبواسطة أجسادنا، يغفر واحدنا للآخر. يتظاهر العقل بالغفران، غير أن ذلك، يفتح باب الذكريات، في لحظات الحزن. وحتى خلال ممارسة الحب ذاته معه، فإنني أتذكر صعوباتنا، وعالمينا المنفصلين، والمختلفين، اللذين جئنا منهما. هو يسيطر على كل شيء. مليء بالأسباب والتعقل، ويعرف كل شيء، وأنا أجيء متأرجحة متذبذبة، أو خائفة من كل هبة ريح، (خفيفة الرأس، مجنونة وبعين واحدة) كما قال (منغرزة في جهل العصر الحجري، والوحشية الدينية كما قال. (ياإلهي! اكشف الغمامة، عن عينيّ، وارشدني إلى الطريق الصحيح).

الفصل الثامن عشر

كل شيء على مايرام، على مدى أربعة أو خمسة أسابيع. كتاب يوجين إلى لاورا بشأن الطلاق. وكتبت إلى خالتي، وقلت لكي أقويّ من عزيمتها، بأنني سوف أتزوج قريباً جداً.

كانت البراعم مثل، النقاط الكثيرة من الآمال ،تنعقد سمراء وسوداء فوق الأغصان، براعم خضراء، براعم سوداء، وبراعم فضية - بيضاء تبدو وكأنها ستغنّي وهي تتفتح أمامنا، وولدت الأغنام حملاناً جديدة صغيرة، وأحضر جديان صغيران، نفقت أم كل منهما، إلى المنزل وتكفّلت آنا برعايتهما، وكانا شقيان جداً.

وجاءت بابا ذات صباح (الأحد كان يومها المعتاد للمجيء) وأنا أقطف النرجس البري، كنت قد دفعت بيوجين للذهاب ، إلى السوق كي أفتح أمامه الأبواب العديدة، مضى إلى معرض، أو سوق الماشية لشراء عجول، مادام توفر لنا مزيد من الحليب الآن. كان هناك كثير، من النرجس البري على جانبي الممر. وفي طريق عودتي قطفت مزيداً منه تزجية لمرور الوقت، ثم سمعت صوت سيارة، وتطلعت عبر الأشجار، ورأيت سيارة غريبة فركضت نحو المنزل كي أختبئ. ظننت أنه ربما يكون والدي، غير أنها كانت في الواقع بابا.

(بابا، بابا) وفتحت الباب وركضت نحوها. كانت ترتدي معطفاً مطرياً، أبيض اللون، وقلنسوة حمراء.

(هذا رائع!) قلت وأنا أقبـّلها، تمنيت رغم ذلك، لو أنها لم تجدني بدون مكياجي.

كانت عيناها واسعتين ومثيرتين خاصة عندما تريد رواية شيء هام. في الصالون، قفز الحملان الصغيران، وأصدرا ضجة قليلة، وبدا أنهما خائفين منها.

(با. با) قالت وهي تداعبهما (إن بيتك يبدو مثل حديقة حيوان) ثم همست (أريد أن أتحدث إليك. إنه أمر عاجل. أين تشيخوف؟)

(هو في الخارج) ودخلنا إلى غرفة المكتب، وأغلقت الباب. وكان من المتوقع أن تكون آنا ضمن كل المحادثات مع الضيوف، صببت بعض الخمر لنا في قدحين، وكانت الأقداح مغبّرة، غير أنني لم أود أن أذهب بعيداً وأنظفّها. بدت بابا عصبية جداً.

(هل تشعرين بالبرد؟) سألتها، كان الرماد المتبقي من، نار أمس ما زال دافئًا، والجدران دافئة إذا مستها يد.

(استجمعي قواك) قالت وهي تلامس قدحي بقدحها، (لديّ أخبار سيئة) وقفز قلبي وبدأ يدق بعنف، لأنني ظننت الأمر رسالة من والدي.

(أنا في مأزق)

(من أي نوع؟) سألت بيأس.

(هناك نوع واحد. ياإلهي)

(آه. كلا) قلت وأنا أبتعد عنها، وكأنها أهانتني للتو.

(كيف استطعت؟) سألتها.

(اسمعوا من يتكلم!) قالت متعجبة ثم سألتني: (ماذا تفعلين بحق السماء؟)

(ولكنك لاتستطيعين) قلت في حزن وخوف (إنك حتى لاتعيشين مع أي إنسان).

(ألا تستطيعين! إنه شيء أبسط شراً. أعني أبسط من أن، تملكي معطفين، أو أن يدعوك إنسان إلى حفلة)

(آه، يا بابا) قلت وأنا أمسك بيدها.

(أعطني سيجارة!) قالت بحدّة، إنها تكره الشفقة والإمساك بيدها.

وخلال توجهي نحو مكتب يوجين، صبت دفعتين من الشراب (لا) (سوف يكتشف ذلك)

(ماذا؟ أنت لست في دير) ثم وضعت عقب السيكارة الذهبية، بطريقة خاطئة، جلسنا وحاولنا تقرير ما يجب أن تفعله.

(من هو؟) سألتها ولكنها لم تكن ترغب بالقول. قالت إنه رجل متزوج، وقالت إنه قلق خوفًا من معرفة زوجته بذلك. شعرت بالتأكيد أنه يجب أن يكون / تود ميد/. قالت إن الرجل أخذ المسألة بسهولة جداً وودّعها، وهي في الطابق الثاني في الباص يوم أمس (هل أراك في الجوار؟) كانت كلماته لها وهو يودعها.

(أستطيع الذهاب إلى إنكلترا أو أستطيع المجيء إلى هنا) قالت وجملة (المجيء إلى هنا) جعلتني صامتة للحظة، وكنت قد رأيت من قبل الحالة، حيث تكون في سريرنا، وتأمرني أن أنهض وأن أعدّ طعام الفطور. وأنا لا أريد طفلاً في المنزل، أنا أكره الأطفال.

(ألا تستطيعين فعل شيء ما؟) سألت

(أفعل شيئًا ما!) صرخت (إنه أمر مروّع ورهيب، لقد فعلت كل شيء قاتل، أخذت أملاح العليق، وحفرت الحديقة، وفعلت الكثير، في صقل وتلميع، ذلك المستنقع الذي هربت منه جوانا)

قلت (لقد فهمتني خطأ) وأنا أفكّر بجوانا وبسرورها لدى عثورها على بابا، جاثية على ركبتها وهي تلمّع الكوخ. ولكن بابا كانت قلقة جداً، لأن أقول شيئًا ما. كانت أسنانها تصطك، وجلست أواسيها حتى مجيء يوجين.

(أمر رهيب ومروّع) ظلت تقول ذلك وتردده (كل شيء رهيب، شخص ما ملأني، سدّني، ملأني، حشاني بالجن، بشراب مسكر قوي، في شقة في شارع

متصباً، ولم يكن لي قلب، لأن أقول له بأنه، من الأفضل أن أذهب إلى المنزل. هذه هي أنا!) غمغمت (وكنت الخاسرة في النهاية).

وأدليت بنصيحة مؤداها أن تسافر إلى إنكلترا. فقد تسلمت ثلاثمائة جنيهاً، من شهادة التأمين، عندما بلغت الحادية والعشرين، وأنّ والديها يجب أن يعطياها ذلك المبلغ.

ولكن عندما سمع يوجين ذلك، قال إذا لم يحدث شيء قدري، فمن الممكن أن تأتي بابا إلينا.

(سوف يكون لدينا جناح حريم) قال، يمازحها، وانتعشت جداً، وبدأت تبدي وقاحة نحوي، لم أكن أشعر، ولو بنأمة حزن نحوها، وهي تجلس مرتدية (الكومينو) وساقاها مسفوعان، بلذعة سمراء، من الشمس وكاحلاها متصالبان.

(هل مازلت تحلقين؟) سألتني.

(أنا لم أحلق أبداً! كيف تجرؤين على قول ذلك؟) أجبتها متسائلة.

(لمن تقولين ذلك؟) وتطلعّت بإمعاتن إلي ذقني. وذات مرة وفي حالة طارئة، عندما لم نكن نملك، ملقطاً صغيراً لإزالة الشعر، قطعت لي شعرتين، قصيرتين وسوداوين، من على ذقني بواسطة أسنانها الحادة.

* * *

تناولنا طعام الغداء، ورغم أنها شكت في وقت سابق، من أمراض الصباح، إلاأنها أكلت كحصان. وبعد ذلك قال يوجين، إن ذلك اليوم هو تاريخي، وأنه يود أخذ صورة لنا، ولذلك مشّطنا شعرنا، ومضينا نحو حديقة السيدة أنا معه. وانتظرنا ظهور الشمس ثانية، ووقفت بابا على حجر، لكي تكون بطول مثل طولي.

(هذا المكان يسببّ لي الخوف) قالت، وهي تتطلع نحو الحديقة الكثيفة،

وتندفع بين شجرتين، وكان الندى مايزال معلقًا على العشب، والأوراق الغضة تتفتح. وكان الزعتر البري يملأ الأرض!

(ابتسما) قالت بابا، وهو يلتقط لنا الصورة. ومازلت أحتفظ بتلك الصورة، وتطلع إليها بطريقة غريبة لأنه لم تكن لديّ أية فكرة، عندما التقطها بأن حياتي، سوف تأخذ مثل ذلك، الانعطاف المفاجئ.

ونحن متوجهان لإيصال / بابا/ كي، تلحق بالباص المسائي العائد إلى دبلن، أكد يوجين لها، بأنها تستطيع المجيء إلينا، إذا حصل الأسوأ. وكانت في ذروة خفة الدم.

(سوف نساعدك) قلت، محاولة أن تكون، لي حصة في لطفه.

(نعم) قالت لي (أنت كنت دائمًا طيبة، في جلب البرتقال، للناس المرضى في المستشفى)

ساعدها في الصعود، إلى الباص بقدر كبير، وكأنه مساعدها، كما لو أنها امرأة عجوز، ذلك ما سيحدث لي فيما لو رزقت بطفل، وأنه من المحتمل أن يتزوجني.

(مسكينة بابا) قال (والمسكين هو ذاك العجوز الشرير). ونحن نلوّح لها بأيدينا، انطلق الباص. فأغلقنا أعيننا لأن الغبار انتشر إثر ذلك. لم أشعر نحوها بالطريقة التي شعر بها يوجين. فالنساء يرعين أنفسهن غالبًا، أو أطفالهن الذين هم امتداد لهن، أو لأزواجهن الذين، يملأن أيامهن وأفكارهن وبطونهن، كما ملأ لي بطني رغم أنه ليس زوجي.

كان لديّ أمل بأننا سوف نتزوج سريعًا، وكنت أوفّر من أجل جهاز العرس.

(شيء ماقديم، شيء ماجديد شيءما مسروق، شيء ما أزرق) اعتدت أن أقول ذلك وأنا أضع عشرة شلنات في كل أسبوع في صندوق.

* * *

وعدنا إلى المنزل، وخلال يوم أو يومين، نسيت كل شيء يتعلق ببابا، ماعدا القلق الشديد من فكرة، أنها ربما تأتي، للإقامة معنا والعيش معنا. كان الطقس ممطراً، أرجوانياً، فقد كان الشهر نيسان. زخات متقطعة من المطر، ثم شروق الشمس، تبخّر المطر فوق ذوآبات الأشجار، ومن أجل تفتح براعم التفاح البيضاء في الجوار، وكانت تلك البراعم تبدو كأزهار الثلج. مرت ثلاثة أسابيع من السعادة. ساعدته في تخزين العشب، وفي تنظيف العشب العالق في حذائي، وكنا نستطيع شم رائحة العشب في السرير، عندما نترك النافذة مفتوحة.

وذات يوم / وآنا/ تشحذ المدي، على الدرجات الحجرية وتغني (شدّ ما هو كثير التطفل عجلي). حملنا وعائي ماء إلى خارج المنزل، وقام بتغسيل شعري، وشطفه بماء المطر، وبعد ذلك التقط لي صوراً بشعري المبتل (من أجل إنهاء الفيلم) وصورة / لآنا/ وهي تشحذ المدي، وهطل مطر غزير بعدئذٍ. ثم صعدنا إلى الطابق الأعلى، وعقد شعري في عقدة، لكي لايبتل منه، منه تعاشرنا، والمطر يغسل الحديقة، كنا نستطيع شم رائحة المطر، والعشب المجزوز، وبواكير الورود، وقلت (ماذا ستفكر بنا آنا؟)

(سوف تفكر بأننا نتفق بإسراف) قال، وغمرتني موجات حب، واجتاحتني في الأعماق. بواسطته، وحملتني موجات من اللذة، جعلتني أصرخ وأنا في حالة نشوة، ثم أبكي، دوآمة من الحب تجرفني، يعكرّها هاجس أن تندفع / آنا/ إلى داخل الغرفة، مادام باب الغرفة غير مغلق.

(كل تلك البذور ندعها تذهب للهباء) قال بنعومة لي، وأنا أجيب بفظاظة ماحول حملي لطفل، خلال العام القادم. ولابد أن ساعي البريد، جاء ونحن مستلقيان ونتحدث. وقد سلم برقيتين كانت الأولى لي والثانية ليوجين.

كانت برقيتي تقول وهي من بابا.

(تحياتي، اللعنة تزمع الذهاب إلى إنكلترا حالاً.)

تمنيت لو كانت كتبتها، بكلمات أشد وقاراً، لأنني لم أكن أستطيع، تركه يشاهدها.

(إنها من بابا) قلت وأنا أتطلع، ورأيت وجهه وقد اعتكر، وانزمّت شفتاه في طباقه شديدة، وعندما انحينت من فوق كتفه قرأت برقيته:

(إذا تزوجتها فلن تشاهد /بو/ أو أنا مرة ثانية. وأنا أعدك بذلك).

لاورا

(حلقة أخرى من قصة، للقرية كي ترويها)

(ذلك لايهم) قلت، وأنا أنظر إليه خائفة، وأعرف أن شيئًا ما مخيفًا، كان قادمًا لينتزعنا ويفرّقنا.

(لايهم، لاتقلق) ظللت أكرّر ذلك. وأردته أن يأتي، وأن يجلس في الغرفة بينما أعد بعض الشاي، ولكنه قال إنه سوف يخرج لفترة، رأيته يهبط إلى الحقل الأمامي، ورأسه منحنٍ، والكلبة تلحقة وعلى مقربة منه، وتحك ساق بنطاله بذيلها الأبيض. وفكّرت بأنه يجري خياراً بيني وبينهما لو أن لديّ طفلاً بطريقة ماسهلة، بطريقة عجيبة.

عاد فيما بعد، ومعه باقة من الزعرور البري، بين ذراعيه. وشممت رائحته غير الصحية وقلت (تجلبه إلى المنزل، فهو لايجلب الحظ)

ولكنه هزأ من ملاحظتي، ووضع الباقة في إناء كبير على طاولة البهو.

كنا لطيفين، الواحد نحو الآخر، بقية ذلك اليوم واليوم التالي، ولم أتطفّل على أفكاره، كما لم أسأله ماذا ينوي أن يفعل بالنسبة إلى لاورا.

بدا وجهه هزيلاً ونهكًا، كما بدت التجاعيد حول عينه، أكثر عمقًا. لم ينم أحدنا جيداً، ولاشيء يتعب مثل قلة النوم، وفي اليوم الرابع كنا منرفزين ومنفعلين، الواحد من الآخر، وتذمر من أمور غير هامة، كوجود المناشف في الحمام أو لوجود تمزق في منشفة تجفيف الأطباق. كان يعمل على مكتبة، بعد من

أجل الفيلم حول الري. كانت لديه خرائط وكتب، ومراجع منثورة فوق مكتبه، وكنت أجلب له وجباته على صينية، أراه هناك يعمل ويتطلع إليّ، وتصورّت أنه كان يخطط للذهاب، إلى البرازيل من دوني، وفي كل مرة كنت أهرب، من غرفة المكتب راكضة، لكي أمنع نفسي من التكلم بشيء أخرق أو أحمق.

في المساء كان يستمع إلى الموسيقى، ويجلس بسكون شديد. كان من الواضح أنه يفكّر بأن ذلك هو مشكلة سبّبتها أنا، وولّد لديّ انطباعًا بأنه كان حزينًا، ليس لأن / لاورا/ ابتزته بل لأنني سمحت لذلك، أن يؤثر على علاقتنا. وانتشر الأسى، في أنحاء المنزل جميعًا، كما ينتشر ضباب الجبل، فوق السهول في الأماسي الرطبة، وأحسست أنني لم أعرفه قط. كان غريبًا، شهيد مهتاج، مسمرّ إلى معقده، يفكر ويتنهد ويدخن.

* * *

تسلمت في يوم ثلاثاء رسالة من بابا، تقول بأنها ستأتي في يوم أحد لتودعنا. لم تكن حاملاً، فقد سمعت صلواتها، ولكنها قررت الذهاب إلى، إنكلترا على أي حال.

(إنني أغادر هذا البلد اللعين، لذلك تستطيعين امتلاك، قطعًا قليلة من الخميسات (١) لأجلي يوم الأحد).

كانت الملاحظة واضحة. وفكّرت بالليلة التي، كان / بودي/ يعرض متباهيًا، أوراق العشرين جنيهًا في فندق غراهام، واشترى أكبر زجاجة من البراندي، لم أر مَثلها من قبل، وربطها حول عنقه. وهكذا بدا مثل كلب القديس برنادر.

وحالما انتهيت من قراءة رسالتها، توقفت سيارة لوري، بدت وكأنها تحمل أعمدة هاتف، وبها رجال يرتدون ثيابًا زرقاء. قرع أحدهم الباب وقال، إنه جاء ليركّب هاتفًا، وكانت الكهرباء ماتزال حديثه الوصول، فنحن خلال شهر شباط

(١) من قطع الخمسة جنيهات.

حاولنا الحصول على هاتف، ناديت يوجين، وقررنا أين يجب أن نضع الهاتف، وأخيراً اتفقنا على الصالة.

(سيكون رائعًا) قلت، وأنا أحمل بعيدًا، إناء الزعرور البري، الذي طرح معظم بتلاته على السجادة. تابع رجلان عملهما في الصالة، وكان اثنان آخران في الخارج، يركّبان العمود في الساحة الأمامية.

(سوف يشوّه المنظر) قال، ونحن نتطلع عبر النافذة، نحو الرجلين اللذين يعملان، أعددّت الشاي للرجال، وراقبتهم وهو يعملون، واشتقت إلى اللحظة التي، يكون فيها الهاتف جاهزاً، وأستطيع إجراء مخابرة للبائع في البقالية أو لأمر ما من أمورنا.

بعد الظهر عندما جلست لأقرأ، جاء سيمون الشاعر، في سيارة أوستن عتيقة الطراز، وكانت معه فتاة أميركية، طويلة القامة تدعى ماري. أدخلتهما إلى غرفة الجلوس، وناديت يوجين.

قالت الفتاة (ما أجمله من مكان) تحدثت بلهجة هادئة، وليس مثل أعمام أمي الأميركيين، الذين جاؤوا ذات صيف وصرخوا وأقاموا ضجة، طوال أربع ساعات.

(لقد حدثني سيمون عنك) قالت ليوجين. (أعتقد أنه أمر رائع، أن تخرج من هنا، وأن لاتدفن نفسك في هذا الملاذ. إن كثيراً من الرجال الأذكياء، يقطعون أنفسهم في هذه الأيام، وهو أمر جميل، أن نرى إنسانًا مايهرب من ذلك الجحيم).

(إن الإيرلنديين تقريبًا مزقوني إربًا) قال مازحًا، وكرهته لأنه أدخل الموضوع، هكذا من دون ضرورة.

(إن الإيرلنديين قد صلبوه) قال سيمون الشاعر، وهو يتساءل (تلك كدمات، أم تشطيبات موس؟).

(لابل ركلات أحذية مليئة بالمسامير) قال يوجين.

(يا إلهي! إنك محظوظ يافتايّ، لأنهم لم يخصوك) قال سيمون.

هزت الفتاة الطويلة رأسها، وهي تتطلع إليّ مستنكرة، أو بالأصح متفادية مسؤولية مايقولونه. كانت تملك شعراً طويلاً أسمراً، ويبدو كما لو أنها مشّطته ليلاً وصباحاً، وقد ارتدت بنطالاً أسوداً وله خيوط فضية تنساب من الخلف. وكان جسدها أنيقًا وفاتنًا.

(انتظري إلى أن يأتي البابا إلى غالوي) قال لها سيمون. (هل سمعت بالنكتة حول ضعف الكاردينال؟) وهزت شعرها الأسمر، وطلبت منه بلهفة أن يرويها لها.

(في المرة الأخيرة التي، ظهرت فيها مريم العذراء، في كنوك كشفت عن نبوءة، بأن البابا التالي سوف يعذّب، ولدى سماع الكاريتال سبيتلمان بذلك وقع مريضًا، ها، ها) وضحك ضحكته البليدة وانضمت إليه بالضحك وقالت (ما أجملها!)

(هل لديك مشط؟ إنني أشعر وكأنني، متوحشة أو شيئًا من هذا القبيل) قالت لي وهي تلامس أطراف شعرها الكثيف. رافقتها إلى الطابق الأعلى، لا أستطيع أن أحدّد عمرها، ولكنني أخمّن أنها كانت، في الثانية والعشرين، مثلي. وهي تعرف أكثر مني بكثير. في غرفة النوم أعجبت بلوحة رينوار (فتاة تربط سيور حذائها) وبمنظر أشجار السرو، من خلال النافذة الخلفية، التي ذكّرتها بمدينتها (نيو انجلند). وبدأت تصف المكان الذي نمت فيه، وأراهن بأنه كان وصفًا قد تعلمته من كتاب، فقد كان الوصف (مقولبًا) جدًا، وتلك الإشارات إلى مثل (وكانت قمم الأشجار تندفع عاليًا في عب السماء) تثير السخرية، وتبعث على الملل.

(أخاف ألا يكون مشطي نظيفًا جدًا) قلت. كان مشطًا أبيض، وكان يبيّن أبسط أثر من، الوسخ بين أسنانه.

(إنه جميل) ابتسمت، وهي تقول ذلك وتمشّط شعرها، ثم تتأمل نفسها في المرآة. وقمت بطرح بعض الأسئلة الغبية:

(هل تحبين إيرلندا؟ هل تحبين أمريكا؟ هل تحبين الثياب؟)

(بالتأكيد أنا أحب ايرلندا وأمريكا والثياب) وقطبّت وهي، ترتّب قميصها داخل بنطالها (وأحب الكنزات الصوفية كثيرًا). وتخليت خزانة ثيابها، مليئة بالقمصان النظيفة، معلقة على مشاجبها، وصفوف من الزنانير المختلفة التي تلائم الكنزات المتعددة. ثم انحنت لتنظيف فردة بنطالها، التي علقت عليها بقعة، إثر اصطدامها بعمود البوابة الخارجية. كان ساقاها مشعرين، ولكن ارتداءها للبنطال كان يخفي ذلك. كانت تنتعل حذاء من دون كعب، وشعرت بأن كل شيء فيها، كان يقصد من ورائه، إرضاء يوجين.

وكدت أقول لها عند ذلك (إنني عصبية قليلاً، وغير واثقة من نفسي، أرجوك لاتسببّي لي أذى) وبعدئذٍ رأيتها، وهي تعيد طلاء شفتيها، بفرشاة شعر صغيرة، بلون وردّي خفيف. وبدت لي قوية وذكية.

(أنا لم أستعمل فرشاة للشفاه أبدًا) قلت (هل هي صعبة الاستعمال؟)

(لا إنها سهلة، سأترك لك هذه) قالت (وتستطيعين التمرن بها ثم استخدامها) وتركت الكيس الذي، كان يحتوي الفرشاة فوق حنجور البودرة. ثم هبطنا إلى الطابق الأرضي، وكانت تبتسم سعيدة، لكل شيء تراه، حتى لخيطان العنكبوت التي، كانت تبدو على ورق الجدار، على طول درج السلم.

(ببساطة لقد عشقت هذا المكان، له مناظر) قالت ليوجين في غرفة الجلوس، وهي تتطلع إليه مباشرة بعينين رماديتين.

(تعالي إلى هنا) قال، وأشار بإصبعه، وتبعته نحو النافذة الفرنسية [1] لتتفرج على الوادي المليء بأشجار البتولا التي، كانت تبدو من بعيد، وكانت آنئذ تكتسي بغشاوة من الاخضرار، بدلاً من اللون الأرجواني. فتح النافذة قليلاً، وفردت يدها بحركة تماثل حركة الفراشة، وكأنها طائر أبيض يوشك على الطيران.

---

(١) درفات النوافذ فرنسية الطراز.

وأدهشة بالقول أنها قد شاهدت (فيلمًا محببًا) من أفلامه، في مهرجان الفيلم الوطني في لندن. تكلّمت بطريقة مفعمة بالحيوية، لدقائق قليلة ثم تطلعت بعدئذٍ وهي تمسح سقف الغرفة بنظراتها، وقالت (إن فيه سحرًا عظيمًا هذا المنزل)، نظرت إلى الغرفة التي قام بعملها، وتأكدت أنني لم أساهم بأي شيء فيها، حتى ولا الوسائد، وخرجت لاعداد بعض الشاي.

وعندما عدت، كان يدير لهما بعض، التسجيلات الكلاسيكية التي، تذكّرني بالطيور، ووقف قرب النافذة. وهي تبدي اعجابها الفائق، بكل شيء، وتحرّك جسدها مع إيقاع الموسيقى. ذرع الغرفة ليتناول مني، صينية وابتسم، مع أنني لم أشاهده يبتسم لعدة أيام.

(وهكذا حصلت على هاتف ياكاثلين) قال سيمون الشاعر لي. (تستطيعين مهاتفة كل صديقاتك).

(نعم أستطيع ذلك) قلت. (لي صديقان فقط: بابا وبودي وكلاهما لايملكان هاتفًا).

صبّ يوجين الشاي، وأعطى ماري فنجانًا، الفنجان الأول. ثم استدار نحو علبة السكر، ووقف فوق رأسي وقال:

(هل تودين السكر؟)

(السكر؟) كرّرت بحدة، وكأنه قال لتوه (هل تريدين زرنيخًا) وهززت رأسي، وأنا أحدق إليه وقلت: (لا. لا أريد السكر).

في أي وقت آخر، ربما كنت لا أهتم للأمر، ولكنني في ذلك اليوم، كنت سريعة الغضب أكثر من المعتاد.

(آه، أنت لاتأخذين سكرًا بالطبع، كنت أفكّر بشيء آخر). قال مبتسمًا، وهو يتحرك ليحمل وعاء السكر، ويعطيه لسيمون.

(انتبهي لها) قال سيمون وغمز مشيرًا إلى ماري، وسألتني بعض الأسئلة المؤدبة والدمثة مثل ما إذا كان السكر يسبّب البدانة.

(كيف الحال في نيويورك؟) سأل يوجين، بلطف ونعومة وكأنه يسأل عن فتاة معنيّ بها.

(نيويورك، إنها مدينة رهيبة) ألقت ذلك مازحة (لن أعود أبداً إلى هناك. أنا أحب أوروبا. إن هنا ثقافة أعظم، إن كل رساميكم وكتّابكم وفنانيكم، أكثر انغماساً في مجتمعكم. لقد قابلت قاطع تذاكر في باص أمس، وقد قرأ جيمس جويس، هل تحب نيويورك؟)

(بطريقة ما) وتجّعد وجهه (أعتقد أنني أحبها، أكرهها، ولكنني أحبها أيضاً. بعض من روحي هناك. دعيني أقل، إنني أنفقت كثيراً من النقود، في الأخوة بروكس).

ضحكوا غير أنني لم أفهم النكتة.

(وأنا أيضاً، أنا لم أحمل أبداً ، أكثر من عشرين ألف دولاراً) قال سيمون الشاعر.

أحسست أنني وحيدة جداً، ولاأرغب أن أكون معهم. كنت ويوجين في أفضل حال وحدنا، ولكن عندما يأتي شخص آخر، فإنني أفقده أمام الآخرين، حتى أمام صاحبة المدجنة، بجوربها المعقود. لم يكن لديّ في، الحقيقة شيء أتحدث حوله، ماعدا الأمور المتعلقة بطفولتي، وقد سمعها كلها.

(هل سافرت إلى أمريكا؟) سألتني ماري.

(لا ليس حتى اليوم) قلت (ولكني آمل بالسفر إلى هناك، في العام القادم)

(فوق جثتي الغالية) قال يوجين (أنا أحب تلك الأغنية القديمة، حول المكوث الجميل، كما أنت عليه).

قالت ماري له، أنه يجب أن يدع الفتاة تسافر، وأنه غير لطيف نحو النساء، لأنه كان هناك قانون حول ذلك، ويتعلق بسفر النساء، كانت هناك لحظة، يضايق بهما الواحد الآخر، وأنهى تلك اللحظة بالقول (هل تحبين الخروج إلى الحديقة؟

رجاء). وضربته بمفرش صغير، كان موضوعًا تحت كأس الشاي، في حركة مداعبة لاهية.

بدت طويلة وأنيقة، وهي تقف بجانب النافذة، وتدير ظهرها نحو مصراع النافذة الأسمر، تطلع يوجين إليها وقال لسيمون: (إنها محبوبة/ امرأتك/ ولا أستطيع التغلب عليها) وضحك سيمون وقال إنهما الاثنان، لا بد أنهما يأخذان من ذلك الفتيامين! (لقد نجحوا في الوصول إلى نموذج جديد أكثر فعالية) قال سيمون مبتسمًا وعرفت أنهما يعينان أن ماري كانت مثل لاورا. أحسست بكتلة تسد حنجرتي وتكاد تختفي، وبألم فجّر الدموع في عينّي. نهضت نحو الباب. وأنا أغمغم بشيء حول الشاي، وخرجت قبل أن يلاحظني أحد منهم.

ذهب إلى مقعدي السري في حديقة السيدة آنا، حيث أبكي لوحدي أحيانًا، إذن هي مثل لاورا! ولاورا هي مثلها، براقة، متحدثة، وترمي المفارش بسحر وعذوبة، ولاتقلب شيئًا على المائدة مثلما أفعل أنا. وعادت إلى ذهني كل دقيقة، الطريقة التي يبتسم بها نحوها، وكيف أحضرها إلى جانب النافذة، لتتفرج على المنظر، الدهشة في صوتها، ومعصم الساعة الرجالي حول رسغها (ألم تقل لي أن لاورا كانت تضع في معصمها سوار ساعة رجالي أيضًا؟).

بكيت وشعرت أنني بائسة، وتألمت لأن كل شيء، كان قاسيًا جدًا. كان الأمر بمثابة صدمة لي، كي أعرف أنه يمكن أن يحبني ليلاً، ثم يصبح شبه غريب في النهار، ويقول لي (هل تحبين السكر؟).

وحتى تلك اللحظة، كنت أظن بأنني ما دمت واحدة معه في السرير، فإن ذلك يعني أن أكون معه واحدة في النهار، في الحياة. غير أنني عرفت أنني كنت مخطئة، وأن المحبين هم غرباء في أوقات مختلفة.

هي مثل لاورا، طويلة ولها ساقان جميلتان، وإذا عادت لاورا، فسوف تكون مثلها، أو إذا ذهب إلى البرازيل، ، توقف في طريقه لرؤيتها، فسوف يكون الأمر مثل ذلك. ولكن أسوأ قليلاً لأن ابنته هناك أيضًا، الفتاة الصغيرة التي وضع

صورتها، ضمن إطار قبل يوم واحد، وعلقها في غرفة الحمام قائلاً: (أرجو أن لا يؤثر هذا عليك كثيراً).

بكيت كثيراً، ثم تمشيت في الجوار، ألوك قبضة من العشب لأهدئ من مشاعري. فقد أعاد نابشاً كل الأمر في علاقتي معه مرة ثانية. وهو يفعل ذلك دائماً، ويسبّب لي العذاب بالتطلع إلى وجوههم الحمراء وطرقهم الوقحة العنيدة. وعندما يسخر منهم، أشعر بالغثيان والكآبة، وأنا أعرف أنه ذات يوم سوف يتركني بسببهم. وتنبأت بكل ذلك الذي، سوف يحدث في نوبة عنف، إزاء تحقير الذات. ظللت أبكي، وأنا ألوك قبضة العشب، وعدت وألقيت نظرة، على غرفة الجلوس عبر النافذة، وما رأيته ملأني غضباً وألماً. كانوا يتحدثون ويضحكون، كانت ماري جالسة على المعقد الطويل، وقد طوت قدمها تحتها، وكان حذاؤها على مقربة منها فوق السجادة. بالنسبة لي كان شيء ماخطير، وواضح نحو امرأة تخلع حذاءها، بصحبة آخرين. وكأن الأمر بمثابة خلع ملابسها، وأنا لاأستطيع أن أفعل ذلك.

كانوا يشربون الويسكي، وبدا وكأنه يتحدث إليهم بقصة ما، لأنهم كانوا يضحكون كثيراً، ووضعت ماري يدها فوق خاصرتها، وهي ترجوه أن يتوقف، عن رواية تلك الأمور المضحكة، لأن لديها عملية جراحية سابقة هناك في بطنها. وكان سيمون جالساً، فوق كرسي هزآز يتأرجح ويضحك، ولم بفتقدني أحدهم.

وذهبت بعيداً وبكيت أكثر، وفتّت الزهرة المسالمة بين أصابعي، وفكرت برسائل لاورا إليه، وتساءلت كيف أجاب عليها. تخليت البرقية أيضاً، كلماتها المحدّدة (إذا تزوجتها فلن تشاهد / بو/ أو تشاهدني ثانية، أعدك بذلك) وملاحظة في الأدنى تقول (أرسل جوابك بواسطة الاتحاد الغربي) ولم تكن لديّ فكرة عما إذا أجاب أم لم يجب. هو يفعل الأشياء دائماً دون أن يخبرني.

كان من الأفضل لي، أن أدخل وأتحدث معهم، وكأن شيئاً لم يحدث. أو أن أعمد إلى شيء آخر، أن أحزم ثيابي وأتركه. ولكنني لم أفعل أياً من هذين

الأمرين. عندما عدت وتطلعت، من النافذة ثانية شاهدته، وقد أوقد النار في المصطلى، وكان لهب النيران ينعكس فوق الجدار. بدت الغرفة فاتنة كما تبدو الغرف عادة، في وقت الشفق، عندما يأكل الناس ويشربون الويسكي، ويتحدثون ويتسامرون. تمنيّت من كل قلبي، لو أنني أستطيع أن، أدخل وأقول شيئًا طارئًا أو ضاحكًا. شيئًا ماينفي عني، صفة الغريب أو اللامنتمي.

وبدلاً من ذلك، دخلت من باب جانبي وصعدت إلى غرفتي لوضع، لمسة من الماكياج على وجهي. ولم يغادروا إلا بعد ساعة ونصف.

(سأرى ما إذا كانت هنا) سمعت يوجين، يقول ذلك في الطابق الأرضي وناداني باسمي (كيت، كيت، كيت) ثم صفّر بعد ذلك. لم أجب. وأخيراً سمعت، باب سيارتهما يصفق، والمحرك يدور. وأخيراً ذهبًا.

دخل إلى المنزل، وهو ينادي، ومضى إلى المطبخ يسأل آنا عني (إنني أتعجب أين كاثلين؟)

ولابد أنها أشارت برأسها، نحو غرفة النوم، لأنه صعد في الحال. دق قلبي بغضب وأسى، وأنا أسمعه يصعد الدرجات وهو يصفّر. (إنني أتساءل من الذي يقبّلها الآن ...) كانت الدنيا تقريبًا مظلمة، وأنا أتمدد فوق السرير والملاءة فوقي.

(تنالين قسطًا صغيراً من الراحة؟) سأل وهو يدخل إلى الغرفة. لم أجب. وتقدم إلى جانب السرير بجانبي. وانحنى وهو يقول (هل أنت في إحدى نوباتك العاطفية؟)

(إنني هكذا) قلت بإيجاز.

(ماذا جرى لك بحق الجحيم؟) سأل فجأة في لهجة يائسة، وأثار دهشتي، لأنه لم يلاطفني منذ فترة. (لقد تجاهلتني وأهنتني قليلاً) قلت.

(أهنتك قليلاً لأنني تمتّعت بوقت سار؟ هل أتوقف عن محادثة الناس، لأنك لم تتعلمي محادثة الناس حتى الآن؟ إذا كنت لاتستطيعين، تكييف نفسك على،

رؤيتي سعيداً مع الناس الآخرين فمن الأفضل لكلينا، أن يذهب كل واحد منا إلى منزله) قال ذلك بسرعة.

(كان يجب ألا تأتي بي، إلى هنا أبدًا) قلت.

(أنت جئت، أنا لم أجبرك. لم أدعك، أكثر من أقربائك أولئك، الذين جاءوا وراءك).

كان واضحًا جداً في كلامه، وشديد الثقة بحقوقه الخاصة.

(لقد قدّمت لك كل شيء. الطعام والثياب) وأشار إلى، ثيابي المعلقة في الخزانة، وكان أحيانًا باب الخزانة يفتح فجأة وكأن شبحًا بداخلها، كان باب الخزانة مفتوحًا حينذاك. (حاولت تعليمك، تعليمك كيف تتحدثين، كيف تتعاملين مع الناس، أبني ثقتك، ولكن لم يكن كافيًا، فها أنت الآن تريدين امتلاكي).

(أحب ذلك عندما نكون لوحدنا) قلت منخفضة صوتي، عسى أن ينخفض صوته بدوره.

(العالم ليس نحن فقط) قال (العالم هو هذه الفتاة التي جاءت، وسيمون، وكل الناس الذين قابلتهم، وكل الناس الذين سوف يقابلونك) وجلس فوق السرير وتنهد. (أظن أنني لاأستطيع أن أفعل ذلك، لاأعتقد أنني أستطيع، أن أبدأ من الصفر ثانية، ، ومن مستوى بسيط، إن الأمر صعب جداً، لم يعد هناك في العالم وقت باقٍ، مئات الفتيات جاهزات) وأشار نحو الباب وكأن ماري في الممر.

وأشار إليّ.

(تصرفاتك غير المناسبة، مخاوفك، صدماتك، والدك) وبدأت في البكاء.

(الفتيات الشابات صلدات مثل الحجارة) قال (لاشيء يؤثر بهن حقًا، أنت لاتستطيعين، إقامة علاقة مع حجر، على الأقل أنا لاأستطيع).

(ولكنك تحب أن تعلمنّي) قلت محتجة (أنت قلت ذلك. أن بعض الفتيات لايردن ذلك، أنا أهتم بحديثك عن العصر الثلجي، والتطور والاقتراح الذاتي

وفائدة السينما. ربما هي لاتحب أن تحدّثها بمثل تلك الأمور) أردت أن أقول له إن ساقيها بهما شعر كثيف، غير إنني ظننت أن، ذلك ضد أخلاقي تماماً.

(ربما هي لاتريد) قال و(ولكن ذلك لايمنعني، من الحديث إليها، من محبتها..).

(ولكنك تحبني) قلت (أنت تحبني في السرير، وتحبني في كل شيء).

(أرجوك!) قال بصوت متوتر ومجهد، ثم مد يديه ليمسك، بفراشة دخلت من النافذة المفتوحة، ثم نهض واقفاً.

(اعتقد أنه إذا عادت لاورا فإن الأمر سيكون ذاته)قلت.

(ربما) قال (علاقة واحدة لاتلغي الأخرى، إنكما، وفكّر بالكلمة التي سيقولها / مختلفتان/).

(حسنًا، إذا كان الحال كذلك إذن، فأنا لاأعرف ماذا أفعل هنا).

(بالتأكيد أنا لاأعرف، ماذا تفعلين هنا. تعملين مثل فتاة بار) قال ذلك بلطف، وهو يمشي ببطء نحو منصب الموقد، وكانت هناك أوراق، وأعواد ثقاب، وشعر، من مخلفات مشطي على المنصب.

(إنني أفكر ألآن بأنه هل، سيكون من الأفضل تمامًا، لو أنني لم ألتق بك) قلت. استند بمرفقه على حاجز الموقد، ودفع بحطبة إلى النار وقال:

(أنت غير محتملة، أنت عاجزة التفكير، لماذا لاتقومين، وتغسلين وجهك، وتضعين بعض الماكياج فوق وجهك؟ قومي، افعلي شيئًا. اغرقي عجزك بغسل الجدران، أو رفو جواربي، أو انتصري على طيبتك الشائكة).

راقبته قوي الملامح قاسيًا، واقفا هناك يتحدث إلي، ربما كغريب.

(هل ترى تلك الفتاة ثانية؟) سألت.

(آه، من أجل الإله، توقفي عن إلقاه المواعظ الأخلاقية علي. لاشيء نهائي)

قال، وفكرت، حتى نحن غير نهائيين، وعرفت خلال ذلك، لو أنني أحببته كفاية، فإنني سوف أتحمل، أي شيء يصدر عنه.

(إذا كنت ستراها ثانية، فسوف أرحل ولن أعود) قلت. فلم يكن مرآها الساحر، ونظراتها مصدر غيرتي فقط، وهو أمر مؤكد، بل لأنها تذكره بلاورا. أردته أن يكون وبالتحديد لي.

(في تلك الحالة يجب عليك، أن تبدأي بحزم أغراضك. لأنني سوف أتناول طعام الغذاء معهما غدا).

(وأنت) أضاف بضعف (إذا كنت تستطيعين التصرف، بمسؤولية ولاتثورين كعادتك) وتوجه نحو الباب (تطلعي إلى نفسك في المرآة، أنت مثل امرأة غسالة حمراء ومنتفخة).

(يوجين! يوجين) نهضت من السرير، والتفت إلى الوراء قائلاً (نعم؟) ولكن المرارة التي، علت وجهه جعلتني، أبتلع مانويت أن أقوله. لم أستطع اللحاق به.

هبط إلى الطابق الأرضي، ووضع بعض الموسيقى، وجلست أخطط لما سوف أفعله، لكي ألقنه درساً. قررت أن أرحل، وأن أضعه في مشكلة العثور علي. وتذكرت قصة روتها لي بابا، كيف أن سالي ميد (زوجة تود ميد) قد تركت / ميد/ مرة، وبحث في الحانات، والشوارع، والفنادق لمدة ثلاثة أيام، وأخيراً عثر البوليس عليها وهي تأكل آيس كريم وحدها في الصف الأخير في سينما. لقد قضت الأيام الثلاثة، في دور السينما، ونامت في بعض الفنادق ليلاً. ولكنني لست بحاجة، إلى فعل ذلك لأنني، لا أستطيع أن أذهب إلى منزل جوانا. أستطيع أن أساعد بابا في توضيب أغراضها، سأدعه يبحث عني طوال الوقت مُقسمًا، ألا يدعني أغيب عن، أنظاره مرة ثانية.

* * *

الفصل التاسع عشر

كانت ليلة طويلة، أنزلت حقيبة من فوق، الخزانة وحزمت ثيابي. وضعت بعض جواهري (بعض الحلى قليلة القيمة وسوار ذهبي اشتراه لي) في علبة، وفي حوالي الساعة الثانية، هبطت إلى الطابق الأرضي، لأسخّن بعض الحليب، وأصخت السمع، أمام باب غرفة الجلوس. شعرت وكأنه يدور داخل الغرفة، وموسيقى تنبعث من شبابة بحزن من الراديو. ولثانية واحدة شعرت بإغراء يدفعني كي أطرق الباب وأدخل، وأن أطلب منه الغفران، وأستمع إلى الموسيقى معه، غير أنني تابعت هبوطي نحو المطبخ، وسخّنت قليلاً من الحليب، وأحضرته معي إلى السرير. كنت أستطيع دائمًا، أن أعتذر عندما يصعدويلحق بي، ولكن في تلك الليلة، نام في غرفة الضيوف، وقد شغل ذلك بالي أكثر من أي شيء.

في الصباح لم نتبادل الحديث، وبينما كان يحلق، وضعت الحقيبة في (باكاج) السيارة، ووضعت خاتم الزواج الذي، اشتراه لي في منفضة سكائر، على مكتبه. قررّت أخيراً الرحيل بعيداً لأسبوع، لكي أمنحه وقتًا كي يفتقدني، كنت أضع رسالة قصيرة، في حقيبة لأعطيها له، عندما نصل إلى دبلن. وأعربت في الرسالة، طبعًا أنني راحلة إلى الأبد.

كان الهاتف الجديد في الصالة، نظيفًا، ولامعًا، وبانتظار من يستخدمه. تطلعت / آنا/ إلى الهاتف وقالت إنها تأمل ألا يرنّ ونحن في الخارج، وقد مشّطت شعرها الأسود بلا مبالاة، وكان المرء يستطيع أن يرى المنابت السوداء لشعرها. لم أقل لها بأنني ذاهبة، لأنني أعرف أنها سوف تناشدني البقاء، أو أخذها معي.

لم يكلم أحدنا الآخر سوى بعض الكلمات، ونحن في السيارة، وتجاوزنا

السهول الحمراء، وكنا نجتاز منطقة وعرة بجانب منطقة سهلية تموج بالعشب، والأبقار، وحقول البطاطا التي، تبدو فضية من تأثير غبار منجم للنحاس قريب.

(أين سنتناول غذاءنا؟) سألت.

(في شيلبورن) قال. وتطلّعت عبر النافذة إلى منطقة التزلج.

ونحن نجتاز منطقة شجرية، مليئة بأشجار السرو قلت: (إنني أعرف الآن أسماء الأشجار) ولكنه لم يجب عليّ. وكانت أغصان الأشجار، تلمع في الفضاء تحت أشعة الشمس.

وعندما نزلنا في / ستيفن غرين/ مشيت أمامه نحو الفندق. وعندما عبرنا الباب الدوار قلت (إنني ذاهبة إلى، الحمام قليلاً ولن أتأخر) ثم تابع طريقه إلى، ردهة الفندق دون أن يجيب.

تناولت في الحمام، الرسالة من الحقيبة الورقية (كنت وضعتها في حقيبة ورقية لأحافظ على نظافتها) أخرجتها، وأعطيتها لصبيّ الخدمة، مع شلنين، وطلبت منه أن يسلّمها للسيد غالارد، الذي كان في الردهة، ثم خرجت هاربة من الفندق، وشعرت بمزيد من الإثارة، أكثر من أي وقت مضى ولعدة سنوات. أخرجت حقيبتي من (باكاج) السيارة (وهو لايغلقه أبدًا)، واستقليت سيارة أجرة إلى المنزل جوانا. وفي السيارة تصوّرت بفرح، كيف سيصدم عندما يقرأ الرسالة، وكيف سيسرع نحو، منزل جوانا بحثًا عني. كانت الرسالة قصيرة وتقول بكل بساطة:

(أحبك. ولكنني لاأريد أن، أكون عائقًا بالنسبة لك. لذلك أرحل. وداعًا).

وفي السيارة وضعت، بعض المكياج على وجهي، لكي لاأكون غريبة المنظر، عندما أصل إلى منزل جوانا.

(ياإلهي! انظروا ماذا جلبت القطة) قالت بابا وهي تفتح الباب لي، ثم تدخل إلى الصالة لتنادي جوانا.

(لقد انفجر اللغم. نفخك ذلك الرجل بطفل أعادك إلينا؟) سألت جوانا. وهي تراني أقف مع حقيبتي المهلهلة، وقد انفك أحد أحزمتها. كانت ترتدي ثوباً صيفياً، كنت قد تركته خلفي، وكان الأمر غريباً، أن أراها ترتديه. وكانت ترتدي بنطال جينز، وبلوزة من دون أكمام. وكان الطقس حاراً جداً.

(لا. لقد عدت فقط، لأيام قليلة لمساعدة بابا في حزم أغراضها ولوداعها) قلت بمرح. وأدخلتاني إلى داخل المنزل.

كانت جوانا تعد شراب الليمون، من مسحوق أصفر كثيف، ونافذة المطبخ مفتوحة، وستارتها المنقّشة بالأزهار، تهتز قليلاً وبلطفٍ فوق إطار النافذة. رأيت دراجتي في الخارج، وفكّرت بحزن بجميع ماجرى لي، منذ آخر جولة لي عليها، وبدأت بابا تستجوبني، وانهرت بسرعة شديدة.

(إن أمي كانت على صواب شديد) قالت بابا (كل الرجال خنازير).

(تلك حقيقة، حقيقة) قالت جوانا، لأن غوستاف كان في الخارج. (يدخّن ويتآمر ويبدأ بالصراخ إذا عارضت. أنا نفسي عصبية، ولاأستطيع قول أي شيء).

(دعي كيت تتحدث) أمرتها بابا، مسكينة جوانا. بدن شاحبة الوجه، بعد مغامرتها الفاشلة، وكانت تدخّن أكثر من ذي قبل.

(تعالي إلى إنكلترا) قالت لي (سوف يكون لدينا كثير من الوقت. نرى فتيات (الستريبتيز) في سوهو، ذلك ماسنفعله).

كانت ستذهب إلى إنكلترا، يوم الجمعة التالي، وقد سمح لها والدها بأخذ نقود الضمان من البنك، وربّما نفسيهما على حقيقة، أنها لن تنجح في الفحص أبداً الآن. وكانت قد أخبرتهما أنها، مصممة على دراسة التمريض.

(التمريض) قالت لي. (نكشط الرجال، ونبدّل الملاءات، أنا ذاهبة إلى سوهو، هناك سأرى الحياة. يجب أن تأتي معي).

(كلا. كلا. سوف يعيدني) قلت. وتحدّثت إليهما عن الرسالة التي، أعطيتها لصبي الخدمة. وضعتنا جوانا في الغرفة الأمامية، لأن ذلك المكان سيبدو، أكثر احتراماً عندما يجيء. وكانت نبتة المطاط تثير الدهشة، مثل ذلك الجو الحار، جو صيفي كانت فيه الأزهار، تتفتّح في الخارج. كنت لاأتوقع مجيئه إلا بعد ثلاث أو أربع ساعات، لأنني أعرف أنه سيتناول، طعام الغذاء أولاً مع سيمون وماري. وسوف يتصرّف وكأن شيئًا لم يحدث.

(قدّمي لها شرابًا) قالت / بابا/ ، لجوانا في الساعة الرابعة إلا ربعًا.

كنت أجلس قرب النافذة رافعة الستارة، وأحيانًا كنت أتركها تسقط، وأنا معتقدة بأنه سيأتي في اللحظة التي، أتوقف فيها عن التطلع إلى الخارج. كانت يداي ترتجفان، وأحس بالغثيان في معدتي.

وعند الساعة الرابعة والنصف، وعندما لم يحدث شيء، كلّفت بابا نفسها مغبة، النهوض والخروج للبحث عنه، وأدليت ببعض الأعذار لتعلقي، بأوهام غبية كما، يفعل الإنسان في ساعات اليأس. قلت (لم يتسلّم الرسالة)، (هو لايعرف أين ذهبت)، (هو ينسى دائمًا رقم جوانا) وبمثل تلك الأوهام، والدفاعات القضائية من صنع بيتّي، كانت جوانا تدفع بها، أمضيت الوقت، وأنا أنتقل من النافذة إلى الباب، إلى الصالة، إلى الطابق الأعلى، ثم الهبوط إلى الطابق الأرضي ثانية. إلى أن انفجرت جوانا أخيراً في إحدى نوباتها العقلية، أعطتني كنزة لكي أمزّقها. تصوّرت اتحادنا، وناقشت نفسي، ما إذا كان يجب أن أعبس قليلاً، عندما يصل مع / بابا/ أو أن أركض نحوه فاتحة ذراعيّ.

وعندما عاد / غوستاف/ ليشرب الشاي، صافحني، كما وصل/ جياني/ ، صاحب الملك، لالقاء نظرة كعادته السابقة على أنحاء المنزل.

(إلى أي مدى أحببت الريف؟) سأل (هل رأيت كثيراً من الحياة البرية؟)

(الحياة البرية؟) سألت. وتناولت كأساً من الشاي وعدت إلى مؤخرة الغرفة. حيث تفرك جوانا البيض والتفاح على افريز النافذة.

(سوف تعود بابا الآن) قلت وأنا أنظر، إلى الموقد، ثم إلى وجنتيّ جوانا اللتين تحمرآن، من وقت إلى اخر كان كل شيء أصبح، عفناً في الغرفة، وبات سقفها يرشح.

وحالما سمعت الباب، يُفتح اندفعت خارجة. وكانت / بابا/ تقف وحدها.

(بابا. بابا) قلت. كانت وجنتاها محمرتين، وعرفت أنها تناولت، دورة أو دورتين، من الشراب.

(تعالي اصعدي إلى الطابق الأعلى) قالت، وأشارت بوجهها نحو غرفة الطعام، لتشير بأنها لاترغب أن يسمعانا، غوستاف وجوانا.

(هل هو في الخارج؟) سألتُ وهي تتأبط ذراعي، ونحن نصعد الدرج، متوجهتين إلى غرفة النوم التي، اعتدتُ مشاركتها فيها. أغلقنا الباب.

(أين هو؟) سألتُ.

تطلّعت إليّ بإمعان لثانية، وبعد ذلك قالت (عاد إلى المنزل)

(من دوني؟) وكنت مصعوقة، (ألن يأتي من أجلي؟)

(لا) قالت وتنهدّت (لن يأتي من أجلك).

(هل ذهبت ماري معه؟)

(تلك الغبية! قولي أي شيء، فاتنة ومثيرة، أنت قلت لي، أن مظهرها كان جيداً. ياإلهي، لقد كانت في المقعد المجاور لنا، كل ماكانت ترتديه، هو ثيابها الداخلية، وقلادة تتدلى إلى خصرها، أتمنى لو أقطع بطنها) قالت بابا وهي تبتسم بانتصار.

(أين هي؟ هل ذهبت معه إلى المنزل؟) سألتها.

(لقد تركتها مع ذاك، صاحب اللحية الحمراء، الجاسوس، الذي أخذها إلى بيتها، ياإلهي. لقد غازلني ولكنني رددته. إنك ناعمة جداً، مع أسماك القرش مثله!)

(ولكن ماذا عن يوجين؟)

(اجلسي) قالت. وأعطتني سيجارة.

وابتدأت حديثها (قلت له أنك هنا، وقال «طبيعي»، ثم طلب لي البراندي، وعندها ذهب الآخران، قلت له أنك تعانين نوبة، وقال إنه سوف يفكّر بذلك).

كنت أرتجف بشكل شامل. وأمسكت بملاءة السرير في انتظار الأسوأ.

(قال يجب أن تبقى هنا) قالت بابا بصراحة (يقول إن الرجال العجائز، والفتيات الشابات، هما في حالة صحيحة فقط في الكتب، ولكن ليس في أي مكان آخر. يجب أن تبقى هنا) قالت وهي تشير إلى السريرين الحديدين (ربما إلى أن تكبري قليلاً، وبعد أن يعود من عمله، حول المجاري في أمريكا، هل أنت متفهّمة للموقف أم لا؟).

هززت برأسي، وبكيت، وشددت على ملاءة السرير، حتى ظننت أنني سوف أمزّقها. ثم تمددّت على السرير ودفنت وجهي بملاءة السرير وبدأت أبكي وأنتحب.

(ياإلهي! لاتنهاري!) وبدأت بابا ترجوني، وهي تمسك بكتفيّ لتهدئني، (تماسكي، لاتجنّي وتفقدي عقلك).

(يجب أن أثور، أو أنني سوف، أفقد عقلي) صرخت في الوقت الذي، دخلت جوانا إلى الغرفة، وهمست إلى بابا بشيء ما، ثم قامت برفع ملاءة السرير قبل أن أتلفها. ما أزال منتعلة حذائي وأتمددّ هناك. دفعتني بابا إلى حافة السرير، ثم قامتا بطي الملاءة ووضعها في جارور قريب.

(نوبة عصبية صغيرة، أليس كذلك؟) سألت جوانا، واستذكرت بابا كيف أن صديقنا / توم هيجنز/ وضع في مستشفى لوضع أقل. فقد قبَّل راهبة غربية، على جسر / أوكنول/ لأنها ذكّرته بأخته الميتة. فقد ماتت أخته في السرير المجاور لبابا، في المستشفى بسبب مرض السل، وقبل ذلك قتل أخوه في إسبانيا.

(أنا ذاهبة إلى يوجين، أنا ذاهبة إليه) قلت وأنا أجثو على ركبتيّ.

(لا. لا تفعلي ذلك) قالت بابا بشدة (هو لا يريدك).

(هو يريدني حقًا، هو يريدني حقًا) صرخت. دخل غوستاف بعد ذلك. وفتح فمه بخجل وتساءل، حين رآني أركع على ركبتيّ، على أرض الغرفة وأبكي، وكان شعري مشعثًا. بشكل وحشي.

(آنسة كاثلين اللطيفة!) قال وفكّرت، نعم كنت لطيفة، والآن أنا متوحشة، إنسانة حط من قدرها إنسان ملعون، تمددّت على أرض غرفة وأنا مستمرة في البكاء.

حملوني إلى السرير، وأعطوني حبوبًا مهدئة وقليلاً من الويسكي، لكي أهدأ. نمت مع بابا في سرير واحد. وحالما كنت أوشك على النوم، ظننت مرة بأن ذراعها الذي يطوق خصري أنه ذراعه فاستيقظت، ارتحت قليلاً وبدأت أواجه الحقيقة ثانية، والفراغ الرهيب. كان ذلك أسوأ وقت افتقدته فيه، كان ذراع بابا حول خصري، غير أني شممت رائحة جسده، رائحة صدره، وجسده الحلوة، وتخيلّت نفسي وأنا أداعب شعر صدره عابثة، وحرارة جسده وهي، تطوينا ليلة إثر ليلة، وظللت مستيقظة بعد ذلك، وذهني مشوّش من جراء حبوب التسكين والبكاء.

* * *

توقفت بابا عن الذهاب، إلى المحاضرات، وبعد الساعة الحادية عشرة، في

الصباح التالي، ذهبنا سوية نحو كشك هاتف، وقامت بابا بإجراء مخابرة لمنزله. وقال لها الشخص أن الهاتف لم يوصل بعد، ويجب أن تحاول ثانية وفيما بعد.

في المنزل جلست بجوار النافذة، وأنا أتطلع إلى أكمات الورود، التي كانت تتفتح أكمامها، وأحضرت بابا لي الشاي وخرجت لثلاث أو أربع مرات، لتخابره ولكنها لم تستطع الاتصال به.

وظننت أنه مادامت تلك الوردة التي أمامي في حالة تفتّح فإنه سيكون في طريقه إليّ، ولكنني كنت مخطئة، لأنه عندما دخلت / بابا/ في وقت متأخر، في ذلك المساء، قالت / آنا/ إن السيد غالارد قد رحل، وأخذ معه حقيبة سفر.

(ربما يكون في لندن، أو في مكان مالعدة أسابيع) قالت بابا.

(أسابيع؟) تساءلت (سأفقد عقلي إذا كان، يجب عليّ أن أنتظر أسابيع).

(أنا ذاهبة إلى لندن هذه الجمعة) قالت بابا، وهي تؤشّر بإصبعها نحوي محذّرة (بحق الإله لا تمنعيني، ولاتطلبي مني البقاء هنا لتمريضك، أريد أن أذهب لشهور، ولاأريد أي إنسان، أن يمنعني أو أي شيء آخر).

(لن أمنعك يابابا)قلت، وأنا على يقين من أنه، سوف يعود خلال أيام (سوف يأتي).

(افترضي أنه لن يأتي).

(ولكنه سوف يأتي)

(ولكن افترضي أنه لن يأتي) ومضت تكرّر ذلك، وظننت أنها كانت مثبطة الهمة، لأنها كانت غيورة. وأشارت ثانية فيما إذا كنت، أستطيع الذهاب إلى إنكلترا معها.

(سوف ترينه هناك) قالت (ربما هو الآن هناك) وكان ذلك أمراً معقولاً تماماً، لأن معظم الشركات التي تنتج الأفلام هي في لندن. وظننت أنه ربما مضى إلى هناك، لقضاء ليلة في فندق ما، في رحلة صيد قصيرة!! فهو عندما يكون قلقاً، حول شيء ما، يمضي دائماً إلى الصيد! وكنت أعرف تماماً أنه يفتقدني.

في الليلة التي لم أعطِ وعداً فيها، بالذهاب إلى إنكلترا مع بابا، إلا أنها في اليوم التالي كانت، فتحت الموضوع ثانية. وقلت إنه من الممكن أن أذهب، رغم أنني لم أكن معتقدة بأنني سأذهب حقاً. وهي تقوم بخطط للذهاب، أعطتني فترة للتفكير حوله، وظننت أيضاً أن ذلك، سوف يقدّم برهاناً له، على أنني مستقلة. كتبت له، وقلت له إنني راحلة بعيداً، وعلّمت الرسالة بـ (عاجل) وبـ (شخصي).

وفي الوقت الذي استغرقت فيه بابا، بوضع الخطط لذهابنا، هتف لأمها وقالت لها أن تخبر والدي، بأنني قد تركت يوجين، وأنني ذاهبة إلى إنكلترا مع بابا. وقد سُرّ والدي، وفي رسالة أثنى عليّ، لأنني كنت وفيّة لأسرتي ولديني. وأرسل إليّ خمسين جنيهاً، كجائزة استقرضها دون شك من عمي / آندي/ وبعض الأقرباء الأثرياء. كانوا يريدون مني العودة، إلى المنزل ولو لبضعة أيام، غير أن بابا قالت لأمها على الهاتف، أنه لايوجد وقت لذلك. وقطعت بابا تذكرتين. وكانت تدور في ذهني فكرة جميلة، أنني أستطيع استعادة ثمن التذكرة، أو أعطيها لرجل مسكين، عندما يأتي يوجين. كنت أظن أنه سوف يأتي، ويجب أن يأتي، لأنه إذا لم يفعل ذلك، فإن يجعل كل شيء بيننا لامعنى له.

كتبت إليه ثانية، وسألته أن يتناول الشراب معنا، لكي نودّع بعضنا. لم أكتب له عن نوبة الهستيريا، لأنني كنت أعلم أنه، حالما يراني فسوف يحبني، ويرغب بحمايتي ثانية. قلت لنفسي بأن أولئك الناس، كانوا هم ذاتهم، مثلما وقع لي، هم ينسونني بسرعة وبسهولة، ولكنهم عندما يرونني يتراجعون ثانية، ويشعرون بطريقة ما أنهم يودون حمايتي.

لم يصل أيّ رد على تلك الرسالة. وذهبت مرتين لكي أهتف له، ولكن الخوف أو العبثية، منعاني من محاولة مخابرته. وعلى أية حال، لم أكن أحبّ أن أتحدث إليه، على الهاتف، أردته أن يأتي ويراني، ولكنني كنت في الحقيقة، خائفة من التأكد أنه رحل بعيداً.

خرجنا كثيراً أنا وبابا. حصلنا على ألبسة جديدة، وألبسة داخلية جديدة أيضًا، وقصصنا شعرنا، وتناولنا الشراب مع أصدقاء بابا، أحيانًا وأنا في الحانة كانت تخطر لي فكرة، أنه ربما كان خارج منزل جوانا، ينتظر في سيارته الرياضية، ويجب أن أسرع بوادع أصدقائي، وأن استأجر سيارته إلى المنزل، ولكنني كنت أصاب بخيبة أمل من جديد.

* * *

كانت الليالي سيئة: التفكير به، وهو جالس في المنزل، في غرفة المكتب، يستمع إلى الموسقى. وينقّل أحجار الشطرنج من حجر العاج، أو ينزع القشدة من فوق كأس الحليب، كيلا يموت من الجلطة، في الخمسين من عمر. كانت شفتّاي تشتاقان إليه، وفكرت بقوله بأن بعض الفتيات، هن قاسيات كالحجارة، وأردته أن يعرف أن هذا اليس حقيقة.

مرّت أربعة أيام وأربع ليال، وفي اليوم الخامس كان يجب أن نسافر، كانت بابا قد حجزت كابينة مزدوجة، ووضعت التذكرتين في مغلف مسلفن صغير. حزمت أغراضي، وتظاهرت بأنني مسافرة فعلاً. ولكنني كنت أعرف أنني، حالما أكون في السفينة، فإنه سيكون واقفًا هناك يتأسّف، وأنه عندما يربّت على كتفيّ ويقول (كيث)، سأستدير نحوه، وأرتمي بين ذراعيه. وفي رسالة بعثتها له أخبرته عن الوقت المحدّد، متى نبحر ومن أين، لذلك كنت أعرف أنه سيأتي.

* * *

الفصل العشرون

في يومنا الأخير اشترينا ملصقات، وخيوطًا مجدولة من القنب. وأرسلنا عليه من خميرة البيرة وعشرين سيجارة إلى توم هيجنز، الذي كان في مستشفى عقلي. (كنا خائفتين من زيارته) وكانت جوانا، تعدّ دجاجة للغداء كحفل توديع.

بعد الغداء، حزمنا في، الدقيقة الأخيرة الأغراض. وظلّت جوانا ترجونا أن، نترك لها بعض، الثياب والعطور، وعبأت بابا زجاجات العطر الثلاث بالماء، إذ أضافت إلى النصف الفارغ، الماء وهزتها لكي يختلط مع بواقي العطر فيها، وبعد أن تأكدت بابا من عملها ذاك، قدّمتها إلى جوانا، لكي تظل هذه سعيدة.

وعندما انتهينا من، حزم أغراضنا أسرعنا، لوداع الجيران، وانتقلنا من منزل إلى اخر، نلقي بتحية الوداع، ثم رافقتني بابا إلى السيد والسيدة/ بيرنز/ في محلهما لوداعهما، حيث كنت أعمل سابقًا. وأعطاني السيد بيرنز جنيهًا، وقال إن الله وحده هو الذي، أنقذني من ذلك الرجل الرهيب، ولم يكن يتوقع أحد، أنني أودّ العودة، إلى يوجين الإبابا.

(هيا افرحي! عندما نكون في لندن، تستطيعين الكتابة إليه، ومن المؤكد أنه سيأتي، ويأخذنا لتناول طعام عشاء فخم) قالت ذلك، ونحن نسير عائدتين إلى المنزل، نشم روائح الزعتر البري التي، حملتها الريح من حدائق الناس. وكنت أتساءل ما، إذا كان سيأتي أم لا. ولمرتين أو ثلاث مرات، فكرت في سؤال بابا، أن تهتف له ثانية، ولكنني ظننت أن ذلك، سوف يتلف كل شيء، ويوقفه عن المجيء.

في المنزل، وفي الحديقة الأمامية لمنزل جوانا، كانت الورود الحمراء، قد

تفتحت براعمها، بعد أن سقتها جوانا، وكان كل شيء جميلاً، ولكنه لم يأتِ. وكانت بابا قد رتّبت للقاء مع / بودي/ و / تودميد/ في الحانة.

جاءت سيارة الأجرة إلينا، في الساعة السادسة، وساعد / غوستاف/ السائق في حمل الحقائب، وعندما ركبوا السيارة جميعًا، هرعت عائدة إلى المنزل، ووضعت ملاحظة تحت، مطرقة الباب (ذهبنا إلى الحانة المواجهة لمرسى القوارب) لكي يعرف أين يجدنا إذا جاء. لم أكن أحبّ أن تعرف جوانا، أنني تركت ملاحظة، لأنها ستقول إن ذلك، يعطي اللصوص فرصة كي يقتحموا المنزل.

كانت حانة مظلمة، وقد أقيم لها ديكور، لكي تبدو وكأنها قارب، وكانت هناك مجموعة من القوارير، مختلفة الأحجام، وتحتوي على سفن صغيرة، قد نثرت فوق المصطلى، كما كانت هناك، لوحة زيتية لروبرت ايميه، معلّقة فوق الجدار. حاولت تدوير قدمي، وأنا خلف الطاولة لتنظيف حذائي، مما علق به من غبار، وكنت أتساءل إلى أي مدى أستطيع الصمود والانتظار دون أن أهتف له؟

(هيا ياكاثلين! امرحي، ياحبيبتي!) قال بودي، وهو يناولني كأس شراب، كان شراب من الروم والليمون، ولم أحبّه.

(إذا كنتِ تودين ضرب أحد الناشرين فدعيني أعرف) قال تود ميد، الذي كنت لديه فكرة غامضة عن كتابة رواية، وكيف يصبح الإنسان مشهورا جرّاء ذلك.

(كيف حال سالي!) سألت، مع أنني لم أقابلها أبدًا. كنت أرثي لها كثيراً، منذ أن ظننا أن بابا كانت حاملاً.

(إنها في حجم هائل، وتعمل كثيراً في الحديقة) قال، وظن حقا، أنني أود أن أسأل عنها. غير أنني لم أكن كذلك، فنزقه الخفيف يردعك، عن سؤاله عن أي شيء مهم.

(إنني أتساءل كيف وضعوا تلك، السفن داخل الزجاجات؟) سأل وهو يشير

برأسه إلى سفينة، داخل زجاجة طويلة. هكذا كان يتفادى الأمور. دائمًا يغير موضوع الحديث إلى شيء ما تافه. أتذكره بعينيه الزرقاوين وسخريته المخيفة، وارتدائه لمعطف قديم، وتلك العقدة في وسط الزنار، وهو يركز نفسه كمرجع في الخمور، وفيما يتعلق بالكتّاب وحياتهم وفي وضع السفن داخل القوارير.

دخل طالبان من كلية ترينتي، لكي يودعا بابا، وحاولت أن تلاطف أحد الطالبين، بوضع شالها على رأسه، وكأنها تستطيع ممارسة ذلك بعيداً عن لندن.

كل تلك الأمور الفجائية، مراقبتها، والاستماع إلى تود، كل ذلك أثار فيّ الغضب، فنهضت وقلت بابا (أنا ذاهبة كي أهتف له).

(حسنا! اهتفي له، لا أحد يمنعك من ذلك) قالت، وهي تضع شالها المخطط فوق رأسها.

* * *

كان الهاتف في الصالة، وكان يجب علي، أن أحصل على شلن، قطعة واحدة، وبعض البنسات. ثم أنتظر لبضع داقائق، إلى أن يوصلني عامل البدالة برقمه.

وأجابت / آنا/ على الهاتف.

(لا. ليس موجودا. إنه ليس هنا) قالت وهي تصرخ عبر الهاتف، وكانت هذه هي المرة الأولى التي، تستخدم فيها الهاتف.

وبعد ذلك غاب صوتها بعيداً. وأعطتني انطباعها، بأنها تلتفت لتقول شيئًا ما، إلى شخص ما.

(آنا، أنا مسافرة إلى إنكلترا، وأريد فقط أن أودعه. اطلبي منه، أن يأتي ويودعني).

(هو ليس هنا) قالت ثانية (إنه في السهل، في الخارج، ياإلهي) وسمعتني

أبكي، فقالت (إذا جاء فسوف أجعله يسرع إليك كي يراك، أين أنت؟ وكم ستمكثين هناك؟)

وكان علي أن أصرخ داخل الحانة، لأسأل عن اسم الحانة، وصرخ عدة أشخاص باسم الحانة.

(السفر إلى إنكلترا يفيدك) قالت آنا (الحب! إنني في مشكلة، إنني على رأس خازوق، مرة ثانية. هل هناك أية حبوب تستطيعين إرسالها إلي؟)

(سأحاول) قلت (هل هو موجود؟)

(لا. هو ليس هنا لاأحد هنا، فقط أنا والطفل. هل سترسلين إليّ الحبوب، هل سترسلين؟)

(وأنت ترسلينه، إلى هنا قبل أن أرحل؟)

(عندما يأتي إلى هنا، سوف أقول له!)

(آنا، لقد كتبت إليه) قلت.

(أعرف، هناك كومة من الرسائل، هنا على طاولة البهو، لم يقم بفتحها). وتلك كانت خاصية لديه، أعجبت بها كثيراً. تلك القوة الوحيدة التي، تسمح له لأن يؤخّر أو يؤجّل رسالة فرح، أو قلق، لعدة أيام أو أسابيع.

سألت آنا إذا كانت الفتاة الأمريكية قد جاءت إلى المنزل.

(لا. لم يأتِ أحد. فقط الرجل- الفأر. إن المنزل يبدو، كدير منذ أن رحلت. غاب ليلتين، ومنذ أن عاد فهو مثل الناسك، منفر بنفسه. هل سترسلين الحبوب؟) توسلتْ. وعندما انتهت الفترة المخصصة لي، في الحديث الهاتفي نهضت وودّعتها، ثم عدت وأنا أشعر بحالة أسوأ، من ذي قبل. كنت أستطيع تخيّل عينيه البنيتين، كما رأيتهما آخر مرة في الفندق، مليئتين بالحزن وبالمعرفة التامة، بأنني لم أكن الفتاة التي، تصورها أن تكون. صلدة كالحجر كما قال.

عندما غادرنا الحانة، تركت رسالة تمكّنه من لحاقنا إلى السفينة التي، سنستقلها إلى إنكلترا. ومازلت أعتقد أنه ربما يأتي. ورغم أن الوقت قد تأخر، إلا أنني تصورّته مسرعًا وهو يهبط، طريق الجبل بسيارته الصغيرة، ملهوفًا للحاق بي. وقد وعدتّ / آنا/ أن تخرج للبحث عنه، ولكنه قد يكون في مكان ما!.

* * *

كان / بودي/ يعرف مراقب السفينة، ولذلك سعى كي يحصل لنا جميعًا، على إذن بالصعود على ظهرها. ومنح البقشيش لعدد من الحمالين، ونحن نتوّجه إلى السطح. كانت بابا تمسك ببطاقتها بين أسنانها، لكي تريها لقاطع التذاكر، بينما كانت يداها مشغولتين بالأزهار، والحقائب السفرية، ومعطف مطري جديد. ونحن نجتاز الممر الجانبي، للسطح الأعلى من السفينة، فكّرت بأنني مازلت قادرة، على العودة وانتظاره، لأنه آت، غير أنني مضيت في سيري، يحثّني صوت بودي اللطيف، وبإنسان مادفعني من الخلف، بحافة حقيبته الحادة.

كانت قمرتنا الصغيرة، مزدحمة بالجماعة: تود، بودي، جوانا، غوستاف، وبباقات الأزهار المتكسرة، التي قدّموها لنا. دورّ بودي نصف زجاجة من، الويسكي الإيرلندي على الحضور، وحثّنا على الشراب.

(لا أريد أن تنتقل إليّ جرثومة) قالت جوانا. كانت مسرورة، لأنها تناولت قليلاً من الشراب. ودفع بودي قبعتها إلى جانب، ولذلك كان يبدو منظرها يعوزه الانسجام.

(المسيح يقابل أمه المحزونة) قال لها بودي. وقد ذكرني بتلك الليلة التي، ذهبنا فيها إلى الحفلة الراقصة باللباس الرسمي، وكيف تدحرج فيما بعد، على درج منزلها. وللحظة سيطرت علينا، جميعًا برهة حزن. ولكن بودي صرخ (بابا، كاثلين، بصحتكما، وبحظكما، ابقيا جميلتين، كما أنتما الآن، ولاتدعا أي شيء

يغيركما). وغنى المقطع الأخير، عن أغنية ثم حمل بابا، من عجزيتها ورفعها في الهواء.

(ياإلهي) صرخت ورأسها يضرب، القنديل الأبيض، المعلق في سقف القمرة.

قرع بعدئذ جرس، وأعلن صوت آمر، بأنه على جميع الناس غير المسافرين، أن يغادروا السفينة.

(ياإلهي! يجب علينا أن نعبر القنال سباحة) أشار بودي مازحًا، وقالت جوانا (لقد انفجر اللغم وسحب تود ياقة معطفه، وأشار بعلامة الصليب في حركة ساخرة نحونا، ثم هرعوا جميعًا نحو الباب، وتركونا بين باقات الأزهار المتكسرة، ونصف زجاجة من الويسكي، مازالت آثار شفاهم، مطبوعة على فوهتها، وآثار أصابعهم تبدو على عنقها.

(لن يأتي أبدًا) قلت لبابا، وطوّقتني بذراعيها، وبدأنا نحن الاثنتين بالبكاء.

(أكاد أجّن، أكاد أُجن) قلت، وأنا أنتحب أمامها.

(آه، لاتكوني، فتاة ريفية صغيرة خرقاء) قالت (انتظري حتى نذهب إلى إنكلترا، كل شيء حرّهنا) وتذكّرتْ أننا نملك مالاً كثيراً فقالت (حقائبنا، ياإلهي نقودنا) ونفضت معطفينا والحقائب عن السرير، ثم عثرت على الحقيبة، تحت الطرود الورقية الكثيرة، وحتى اللحظة الأخيرة، وجدنا أننا لم نضع كل، ثيابنا المناسبة في الحقائب، وكنا مضطرتين لحمل طرود كثيرة، وضعنا فيها بعض الثياب. وقالت بابا إننا نحتاج إلى عربة بدولابين، عندما نهبط من السفينة في / ليفربول/ لحمل أمتعتنا.

(سنظل صاحيتين طوال الليل) قالت (فأنت لاتعرفين من، يدخل إلى هنا، ويغتصبنا، ويأخذ نقودنا).

(لن أنساه أبدًا) قلت لها، وأنا أتوجّه لتنشيف عينيّ، أمام المرآة فوق المغسلة.

(لاأحد يطلب منك ذلك) قالت. (على أية حال، هيئي نفسك، فأمامنا وقت كثير، نقضية في حي سوهو).

وكان هناك نداء اخر، من المذياع المكبّر في السفينة، وأصبخت السمع وأنا أرتجف فلربما يكون هو، ولكن ذلك لم يحدث.

(هل تعرفين بمجرد، النظر إليّ أن لي ماضٍ؟) سألتها. ولم أكن بحاجة إلى، مص خديّ كي أبدو نحيفة.

أجابت وهي تنظر إلى وجهي عبر المرآة. (أنت تعرفين أنك، لم تنامي ليلة واحدة، بشكل جيد منذ حوالي الستة أشهر، وذلك ماتعرفينه بالتأكيد) ثم ضغّطت على زرين، بجانب السريرين المثبتّين في الجدار، وجاء النادل.

(فعلت ذلك من أجل العبث لاأكثر ولاأقل) قالت، وهو يتطلع إلى حالة الفوضى في قمرتنا، الثياب على الأرض، والزهور على الأرض، وبكائي، وبابا تضع زجاجة الويسكي في حضنها، هزّ رأسه وخرج.

(إذا كانوا يتساءلون، عن حجم البقشيش الذي، سينالونه غداً، فيجب أن يراقبوا خروجنا، أو أنهم لن يحصلوا على شيء) قالت بصوت عالٍ.

(إن رثاءً يكمن، خلف كل مانقوله، وهو مختبئ في قلب الحب) قلت وأنا أشعر بنشوة، نتيجة لتناولي الويسكي، ولعثوري على قسط من العزاء، في ترديد تلك الكلمات.

وضعت يديها فوق أذنيها (لا. لا. بحق المسيح، هل ستردديّن تلك الشعارات، التي تتلى فوق، رؤوس الموتى ثانية؟).

(هو دائماً يغسل جواربه الخاصة، ويضع بداخلها أشياء معدنية، للحفاظ عليها خوفاً من الترهل) قلت (وهو يغلي/ بناطيله/ في يوم واحد، ثم يعمد إلى استخدامها فيما بعد، عند الاهتراء، كثياب للفزاعات التي يضعها في الحقل).

(أريد أن أقول لك شيئًا مهمًا، أعتقد أن مسًا من الجنون، ومن الأفضل لك، أنك هربت منه) وفركّت جبينها، (إنه سيصبح ناسكًا).

وبدأت السفينة تهتز، وكنت أتارجّح قليلاً، وقالت: (إننا نكاد ندوخ، تعالي، دعينا نلوّح لهم) وقادتني بعد ذلك من يدي، ونحن نصعد راكضتين إلى سطح السفينة، لرؤية آخر معالم دبلن. كان بودي والآخرون ما زلوا على رصيف الميناء. يلوّحون بأيديهم، وقبعاتهم، وبصحف المساء، ولم يكن هناك أي أثر له.

(إن بودي رجل مخلص) قلت لبابا، وأنا أتذكّر كلمات أمي.

لوّحت بابا بيدها، ثم انحنينا فوق حاجز السفينة، وشعرنا بأن السفينة تبحر بنا ورأينا المياه الوسخة تحتنا، وقد علتها رغوة بيضاء.

(كأن مئة مغسلة تفيض) قالت بابا، وهي تشير إلى رغوة الماء، وكان من الصعوبة أن، أصدّق أننا نغادر إيرلندا. ومن خلال دموعي، رأيت أصدقاءنا يلوّحون بأيديهم لنا بعيداً، وشيئًا فشيئًا، بدأت معالم دبلن تختفي، وسط الشمس الغاربة لمساء من شهر أيار. المدينة التي قبلّته لأول مرة فيها، خارج عادات المنزل، المدينة التي قلعت فيها سنّين، من أسناني، المدينة التي رهنت، فيها خاتمًا من خواتم، أمي المدينة التي أحببتها، وكنا نبكي نحن الاثنتين.

(مسكين / توم هيجنز/ إنه محبوس، في مستشفى أمراض عقلية) قالت، وكأنها تبكي من أجله، ولكنني ظننت أنها تبكي أيضًا، لذلك الجزء من حياتها، الذي ضيّعته عبثًا، ومن أجل العذابات المرّة التي عانتها، ومن أجل جميع، قاطعي التذاكر، في الباص الذين غازلوها.

كنا نستطيع رؤية رمال / دولمونت/ الآن. حيث كنت مع السيد غينتلمان أولاً وفيما بعد، وكلا المرّتين في حالة حب. تصورّت كثبان الرمل، وعليها عشب نامٍ، لم تطأة قدم بشرية أبداً. حب أو لاحب، شعرنا بالمتعة، وقد نسينا أن نضع

معطفينا، فوق أكتافنا وقد حل الظلام، وبدأت أضواء المصابيح، تشتعل على جانبي الخليج.

وكان ركاب الدرجة الثالثة تحتنا، يرمون زجاجات شرابهم، إلى الخارج، وهو ينحنون على جدران، الممرات الجانبية ويغنّون.

(إننا محصورتان في القمرة) قالت بابا. وكان معنا بين المسافرين، كثير من الرهبان، والعرسان يسافرون في الدرجة الأولى.

كانت طيور النورس تحلّق ببطء فوقنا، وصراخها المتعالي، يتردّد في داخلي، وكانت السماء قد ادلهمت بالظلام، وعلا الضباب القادم من البحر، وترصّعت السماء بالنجوم.

(لقد أحضرت حبوباً، في حالة تقيأنا فوق السفينة الملعونة) قالت بابا. ولذلك عدنا إلى داخل السفينة، وتناولنا ثلاث حبات، على أمل أن نكون في أحسن حال.

افتقدته آنئذٍ، واشتقت إليه، أكثر من أي ،قت، لقد كانت جلسة مخيفة على ذلك السرير، وأنا أدرك أنه قد اختار، ألا يأتي إليّ.

(إذا مرضت، فإن ذلك سوف، يفسد كل شيء) قالت بابا، وهي تتجشئ، وقد وضعت منشفة يد، فوق ثوبها الجديد من أجل السلامة.

(ذكرتّني لكي نشتري، بعض المناشف) قالت. وعرفت أنه إذا كان، هناك إنسان ماسوف ينقذني، من الجنون فستكون بابا، بصوتها الصاخب واللاهي.

(نحن في طريقنا) قالتي وهي، ترفع ذراعيها بمرح نحو السقف، (نحن قادمتان، والرجاء من الصحف الإنكليزية والأميركية أن تنشر ذلك). وكانت السفينة تتقدم ببطء، عبر الليل المظلم نحو فجر / ليفربول/ .

* * *

الفصل الحادي والعشرين

أعمل في دكان لبيع الأغذية المعلبة، في / بايسروتر/ وأذهب إلى جامعة لندن، ليلا لدراسة اللغة الإنكليزية. وتعمل بابا. في حي سوهو. ولكن ليس في نادٍ/ للستربتيز/ ، كما أملتْ. إنها تدرس لكي تصبح موظفة استقبال، في فندق كبير. ونتقاسم غرفة نوم وجلوس، في ذات الوقت وترسل خالتي لي، طرودا من الزبدة كل أسبوعين. تقول بابا إن ذلك، يجعلنا نبدو، كزوج من عربتي نقل، صغيرتين، ونحن ننقل تلك الطرود، الكئيبة والمربوطة، بخيطان الشعر. وظللت أقول لخالتي، أن مادة الزبدة، لاتوزع بالبطاقات هنا، غير أنها استمرت في إرسالها، فهي المادة التي تستطيع، أن تعبر بواسطتها عن حبها.

ليس الطقس صيفًا، غير أنني أشتاق، إلى الحقول والنسيم الناعم، وأفكر أحيانًا بسلسلة الجبال السمراء، وأشجار الصفصاف، والبطم تكسوها، وأتذكر ذلك اليوم الذي، ذهبت معه لاصطياد السمك، هناك في النهر المنساب، بين تلك الجبال الجميلة. لحظات لاهية، كنت أنشّف وجهه المبتل، وأنا أطل من نافذة السيارة. وأسأل نفسي لماذا تركته؟ لماذا لم أتشبث به بشدة؟ كالطريقة التي تتشبث بها، الحيوانات القشرية، بالصخور، بواسطة أرجلها الكلابة.

كتب إليّ بعد أن، جئت إلى هنا، رسالة جميلة جداً. قال فيها، إنني فتاة جميلة، وعذبة جداً، وأنه يتأسف جداً، لأنه ليس أصغر سنًا، أو لو أنني كنت أكبر قليلاً في السن!

أجبت على تلك الرسالة، وكتب إليّ ثانية. غير أنني لم أتلق شيئًا منه،

خلال شهرين أو أكثر. وحسبت أن سبب ذلك يعود إلى زوجته، أو أنه مشغول في جنوب أمريكا، يعمل في ذلك الفيلم المتعلق بالري.

وإذا رأيته ثانية، فسوف أهرع لتقبيله، وحتى لو لم أراه، فلدي صورة له في ذهني، يمشي عبر الغابة ويقول جوابًا، على سؤالي وخوفي، من أنه ربما يتركني وقد قال في رسالته، بأن الأمر تجربة حب، وأن الإنسان له قدر مكتوب، وله يوم واحد، ولكي يتذكر ذلك، فتلك هي السمة العامة التي، يندرج الناس جميعًا في إطارها.

كلنا يترك بعضنا الآخر، نموت، ونتغيّر، وعلى الأغلب نتبدّل، نفقد أفضل أصدقائنا، ولكن وحتى، لو أنني فعلاً، هجرتك فإنني لابد، قد نقلت إليك شيئًا من نفسي. سوف تكونين إنسانة مختلفة، لأنك عرفتني، وذلك أمر حتمي).

تلك حقيقة صائبة. وحتى بابا، فقد لاحظت أنني أتغير، وهي تقول أنه، إذا لم أترك هذا التعليم في الليل، فإنني سأنتهي حتمًا، إلى نظّارة على عينيّ، وأنتعل حذاء دون كعب. والأمر الذي، لاتعرفه بابا فعلاً، هو أنني عثرت على طريقي، وأنني عندما أكون قادرة، على التكلم، فإنني لن أكون وحيدة أبدًا، ولن أكون بعيدة جدًا، عن العالم الذي، حاول أن يغمسني فيه، وأن يدفعني إليه، وقد فعل.

* * *

الفهرس

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٥

عدد الطبع ١٥٠٠ نسخة





سعر النسخة داخل القطر ١٢٥ ل.س في الأقطار العربية مايعادل ٠... ل.س
٢٠٠٥